الأسئلة المهمة

في عمل الأمة

((التبليغ والدعوة))

١٣٠ سؤال وجواب

بقلم

محمد علي محمد إمام

تقديم

فضيلة الدكتور/ عبد الغني القاسمي الجزائري[حفظه الله تعالى]

وفضيلة الشيخ/ توفيق محمد فيضال المغربي[حفظه الله تعالى]

الجزء الأول

دار الكتب والوثائق القومية بمصر

الشئون الفنية

إدارة الإيداع القانوني

كتاب الأسئلة المهمة

في عمل الأمة ((الدعوة والتبليغ))

المؤلف/ محمد على محمد إمام

رقم الإيداع	٨٦٦٤
تاريخ الإيداع	٢٠١٨/٤/١٢
عدد الصفحات	٨٤٠ صفحة
المقاس	١٧سم X ٢٤سم
تليفون المؤلف	٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

ـ أهدي كتابي الأسئلة المهمة في عمل الأمة(التبليغ والدعوة):

- إلى مشايخنا وعلمائنا في مصر وجميع بلدان العالم جزاهم الله عنا كل خير.
- إلى كل الخارجين في سبيل الله على وجه المعمورة.
- إلى كل الدعاة إلى الله من خطباء ووعاظ ومعلمين.
- إلى المدرسين وطلاب العلم العاملين.
- إلى الآباء والأمهات المهتمين بإحياء الدين ونشره في العالم كله.
- إلى الشباب المسلم الحريص على نشر دينه، وإحياء سنة نبيه.
- إلى كل من يحب الله ورسوله.
- إلى كل مسلم يهمه أمر دينه ودنياه وآخرته.
- إلى كل مؤمن بالله واليوم الآخر.
- إلى كل طالبي الحق. (المؤلف)

تقديم

فضيلة الدكتور/ عبد الغني القاسمي [حفظه الله تعالى]

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم بعث الرسل لإرشاد الناس إلى الطريق القويم الذي ارتضاه الله لهم للفوز في الدارين والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد الذي ختم الحق به ديوان الأنبياء والمرسلين والذي أعلم أمته بقوله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "....إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ (١)، وعلى أله وصحابته الغر الميامين الذين شرقوا وغربوا وتركوا المال والبنين من أجل نشر رحمة رب العالمين بعدما علموا في أخر حجة نبينا الكريم أنهم مأمورون بتبليغ الدين الى العالمين أما بعد :

فقد اطلعت على هذا السفر المبارك : ((**الأسئلة المهمة في عمل الأمة**)) لصاحبه المفضال الأستاذ محمد علي محمد إمام حفظه الله والذي جمع فيه (مائة وثلاثون مسألة دعوية) تطرق فيها لبيان عمل أهل الدعوة والتبليغ والذي يعد أصل العمل الدعوي الذي كان في عمل النبوة .

---

(١) صحيح البخاري «كتاب الوضوء « بَاب صَبِّ الْمَاءِ عَلَى الْبَوْلِ فِي الْمَسْجِدِ (٢١٧).

ونقول هذا لأن عمل الدعوة قد تشعب وتنوع تبعا لمستجدات الحياة وتغير الحياة في نمطها وطبقات أناسها وطبائعهم وحاجاتهم وثقافاتهم وسياساتهم فاحتاجت الدعوة الإسلامية إلى وسائل لمواكبتها فتعددت بذلك أنواع وأساليب الدعوة الى الله تبعا لحاجات الزمن ومتطلبات الوقت ، إلا أن العمل الأصلي للعمل الدعوي الذي كان في زمن النبوة انفرد به أهل الدعوة والتبليغ الذي أعاده الشيخ العلامة الدعاية محمد إلياس الكاندهلوي (*رحمه الله*)بطريقة بسيطة والتي كانت في عهد النبوة، وببساطتها احتضنها البسطاء لتماشيها مع الفطرة .

ولكن في المقابل ببساطتها قد تخفى معالم هذا المنهج منهج الدعوة والتبليغ على الكثير، وسببه الرئيسي أن هذا العمل يعرف ممارسة، والمؤلفات فيه تكاد تنعدم لعدم حاجة اصحبها لها لأنه منهج عملي بامتياز والتقعيدات النظرية فيه قليلة جدا، فقام صاحبنا المفضال الشيخ محمد علي محمد إمام بهذا العمل لرفع اللبس على البعض ولبيان ما أجمل فيه لمن أراد الحق وألقى عصابة التعصب على عينيه وسمع بإذنه لا بأذن غيره وقرأ بعينه لا بعين غيره .

ومما ميز هذا السفر المبارك أن صاحبه سلك فيه مسلكا علميا بامتياز وهذا بالتقعيد قبل التفريع وهي طريقة علمية في الحاق الفروع بالأصول

والجزئيات بالكليات، كما سلك مسلك السؤال والجواب وهو أسلوب متداول معروف في الفقه والأصول والعقيدة كما امتاز بالاستدلال على تأصيلاته بنصوص الوحيين وأقوال الأعلام الكبار كشيخ الاسلام ابن تيمية والحافظ ابن كثير و العلامة ابن القيم ، ومن المعاصرين الذين ملأوا الدنيا علما ودعوة وما كان هذا وصفه فحري أن يقتنيه كل داعية وطالب علم بل كل مسلم أراد أن يعرف هذا المنهج الدعوي المبارك .

هذا و أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل هذا السفر المبارك نبراسا يستنير به القاصي و الداني و يجعله في ميزان حسناته

و أخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. عبد الغني القاسمي

دكتوراه في علوم الحديث

تقديم

فضيلة الشيخ/ توفيق فيضال

نحمده ونصلي على رسوله الكريم وبعد:

فقد طلب مني الشيخ الأستاذ الباحث محمد الإمام مقدمة لكتابه فتأخرت عليه طويلا، بسبب الانشغالات، لأني لم أقرأ الكتاب، فلما قرأته ، أخذ بروحي إلى أجواء روحانية رقيقة ، فأنت ترى الرجل يعرض أصول الدعوة وآدابها بغزارة النهر المتدفق، ثم لا يرضى بعرضها فقط، بل يؤصل لها ، وهذا نادر في الناس، قلما جمع شخص بين العلم والدعوة، ثم يعرض أقوال العلماء، والجميل في هذا أنه عَرَّفَ بطائفة منهم، خاصة أهل الهند، عَرَّفَ برجالاتها وجهادهم في مرحلة حرجة من تاريخ الأمة، مرحلة إسقاط الخلافة وتعويضها بالدويلات القطرية، بالحدود الوهمية والأوطان المصطنعة، رجالات الهند جزء من أمتنا ، وتاريخ جهادهم حق للأمة ، بل صيانته أمانة في أعناقها، والاستعمار الثقافي الخبيث قسم الأمة ثقافيا إلى ثلاثة: (شرق أوسط ، مغرب أقصى ، الشرق الأقصى).

فأما الأول، فاطلع عليه العالم الإسلامي بحكم قداسة الموقع .

وأما الثاني والثالث فيجهلون بعضهما البعض، ويجهلهم أهل الشرق الأوسط..فلا المغاربة يعرفون الهنود ولا الهنود يعرفون المغاربة ولا الشرق الأوسط يعرفهما .

لكن الشرق الأوسط اشتهر بقداسة المكان- الحجاز- وبالمراكز الثقافية قبل مرحلة الاستعمار؛ بغداد ودمشق والأزهر الشريف.

من هنا اكتسى الكتاب أهمية، فهو معول من معاول كسر طوق الفكر الاستعماري وهيمنة التغريب.. من حيثُ قاموا بالتثبيط عن فكر الدعوة إلى الله ، بأن بثوا فينا أن الدعوة في المسجد ، أي لا يخرج الدين من المسجد، فيصبح الناس في وادٍ، والدين في وادٍ آخر، وهو ما يُسمى فصل الدين عن الدنيا ، فغربوا الأمة عن دينها.

وكان هذا الكتاب معول من معاول الفكر الهدامة التي تهدم فكر المثبطين عن جهد الدعوة والتبليغ .

ثم ازداد الكتاب رونقا بأسلوب السؤال والجواب.

الخلاصة:

✸ أنك ستتعرف على أصول دقيقة في الدعوة، يحتاجها الداعي الراقي الفكر، العالي الهمة، المتشبع بهم النبوة، وستتعرف على أدلتها من الكتاب والسنة والسيرة.

✸ والقراءة للمؤصلين تقوي فيك ملكة التأصيل والاستنباط، ولن أتورع، بناء على ذلك، في تسمية هذا الكتاب مدرسة.

✸ أنك ستقترب من روح الدعوة النبوية التي أحياها الشيخ إلياس (رحمه الله تعالى)، والتي لم ينصفها كتاب الحركة الإسلامية، فهي وإن مدحت كثيراً، لكنها لم تحلل وتدرس إلا نادرا ، وشيخنا الجليل سد هذه الثلمة بمؤلفاته .

✸ أنك ستتعرف على كنوز من الرجال، هم رصيد الأمة وفخرها، بسيرتهم ترفع همم شبابها حتى يكونوا كالجبال ثباتا وشموخا.

لا يسعني أخيراً إلا الشكر للشيخ؛ شكر الله جهودكم في خدمة دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا يسعني إلا الاعتذار، فما وفينا للشيخ في مقدمتنا لكتابه حق جهده البديع.

جزاك الله خيرا عن خدمة أمة حبيبه ، وفتح عليك من العلوم الربانية ما يزيدك منزلة عند الله و عند عباده.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

الأستاذ توفيق فيضال

دراسات عليا في علم الحديث

المملكة المغربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمدُ لله حق حمده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

أحبتي في الله ! وأنا أقدم لكتابي هذا : **الأسئلة المهمة في عمل الأمة** ((**التبليغ والدعوة**)) والذي قد أوضحتُ فيه كثير من المسائل والشبهات التي تلقى على الدعاة إلى الله (ﷻ)، رأيت أن أكتب هذه الكلمات ردا على سؤال يوجهه لي كثير من الأحباب المعجبين بكتاباتي في شأن الدعوة _ أسأل الله (ﷻ) القبول _ يقولون لي: ماهي الدوافع التي دفعتك إلى كتابة هذه الكتب؟.

فأجيب بكل صراحة وأريحية لكثرة السؤال إنه ما راودتني نفسي يوما أن أكتب كتابا لقلة بضاعتي ولعدم أهليتي لذلك، وكيف لمثلي أن يُصور جهد الحبيب (ﷺ)؟ وهو جهد سادات البشرية (الأنبياء وأتباعهم).

شاءت الأقدار الإلهية أن مات والدي وأنا في الخامسة عشر من عمري، وكنت أكبر إخواني وأخواتي، وكان والدي رجلا يعمل بالزراعة ولكن كان طيب القلب، كل أهل القرية يحبونه، ولا زال الذين عاصروه يُثنون عليه لطيب أخلاقه، وقد أخذني يوما وأنا صغير في عمر الخامسة من عمري إلى المسجد لصلاة العشاء في شهر رمضان، وكان من عادة الناس

يرجعون من حقولهم آخر النهار فيفطرون في بيوتهم ثم يذهبون لصلاة المغرب في المسجد ثم يجلسون يستمعون الوعظ من إمام المسجد حتى صلاة العشاء، فعندما دخلنا المسجد، نظر إلى الواعظ في المسجد، ثم قال لي أبي كلمة لا زلت أذكرها ولا أنساها : يا بني أريد منك أن تقول للناس مثل هذا الرجل، ثم مرت الأيام ومات أبي وبعد موته بعام جاءت إلى قريتنا ((كفر ميت العز التابعة لمركز ميت غمر)) جماعة من أهل الدعوة والتبليغ من مسجد أنس ابن مالك بالمهندسين أيام الشيخ إبراهيم عزت(*رحمه الله*)، وكان فيهم الشيخ رمضان التهامي والشيخ شحات وكنت حينئذ في الصف الأول الثانوي، فأحببتهم حبا عظيما، وكنتُ كلما انظر إلى وجوههم، كأني أنظر إلى وجوه صحابة النبي محمد (ﷺ)، فتحركت معهم كدليل حيثُ أن الناس في ذلك الوقت كانوا مشغولين بلقمة العيش وينظرون إليهم مستغربين مندهشين ما بين مؤيد ومعارض ومستهزئ، ومتعجب، وهذا شأن الدعوة الإسلامية، في كل أطوارها لا تجد في بدايتها من يؤيدها إلا القليل، والمستضعفين، ثم تقوى بعد ذلك شيئا فشيئا، والذي ينظر في السيرة النبوية يجد ذلك.. فعَنِ عَبْدَ اللهِّ ابْنَ عَبَّاسٍ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا

سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ: لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَ اللهِ لَوْلا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ لا قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ قَالَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ..... (١).

فتحركت معهم في الزيارات وفي الجولات على المنازل، وفي يوم من هذه الأيام أمطرت السماء بفضل الله تعالى، والمسجد كان قديما وسقفه من ألواح الخشب، وليس بين الخشب التحام، وكان الماء ينزل علينا في المسجد، وكنا بالقرب من المغرب فجمع الأمير الجماعة وطلب من أحد هم وكان طالبا في الجامعة فدعا الدعاء المسنون: " اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ"(٢).

---

(١) صحيح البخاري» كتاب بدء الوحي» رقم الحديث:(٧).

(٢) متفق عليه.

والله ما انتهى من دعائه حتى توقف المطر، ورأيت ذلك بأم عيني ، فكان ذلك تأييدا لهذا الجهد المبارك (١).

ثم صلينا المغرب وبعد صلاة المغرب، قام أحدهم، وأعلن: إن فلاحنا ونجاحنا في الدنيا والآخرة فقط في امتثال أمر الله (ﷻ) وعلى طريق رسول الله(ﷺ) فمن أجل هذا المقصد نصبر أنفسنا بعد أذكار الصلاة وصلاة السنة لنتفكر كيف يحي فينا جهد النبي (ﷺ) وجزاكم الله كل خير.

وبعد الأذكار وصلاة النافلة، قام أحدهم وبين آداب الجولة، ثم خرجنا وكنت أنا دليلهم فتحركنا في الشارع وما أدراك ما الشارع؟، ممتلئ وحلا وطينا ، وكانت الكهرباء قد أطفئت بسبب المطر وهكذا يكون حالة البلاد الريفية أثناء هطول الأمطار، فما كان من الجماعة إلا أن خلعوا أحذيتهم ومشوا في الشوارع حفاة، وأنا دليلهم أَطرقُ الأبواب وأعرفهم على الناس، وكانوا يشكلون الناس على المسجد، وكنا نسمع منهم في الجولة كلاما جميلا في عظمة الله وفي بيان آثار قدرته وبيان نعمه، فكيف نمتثل أمره ونتبع النبي(ﷺ)، وكيف نحافظ على الصلاة، والدين مسئوليتنا.

وقبل العشاء رجعنا إلى المسجد بالاستغفار على التقصير، وبعد العشاء قام أحدهم وتكلم في البيان، وكان من محافظة بور سعيد _ وأنا الآن لا

---

(١) وقد وضحنا في كتاب التاج الجامع للأصول _ في باب مصطلحات دعوية (التأييد، النصرة، الكرامة).

أعرفه ولكن الله يعرفه _ وكان كلامه مؤثراً جداً، فكأن كلامه الآن في أُذناي ما أجمله وما أحلاه مع بساطته، ولا أنسى كثيراً مما سمعته منه.

وكنت أرجع كل ليلة إلى والدتي وإخواني وأخواتي أحكي لهم ما سمعته منهم في المسجد من المشايخ فيتأثرون وبالذات والدتي حفظها الله _ فكانت ولازالت تحرضنا على أعمال الدين وأهمها الصلاة، وتحضر دائما حلقات تعليم النساء _، ثم خرجنا مع الجماعة إلى قرية أخرى.

وفي وجود الجماعة في القرية رأيت رؤية وأنا نائم، والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة كما جاء في الحديث: عن أَبَي هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا (١) مِنْ النُّبُوَّةِ وَمَا كَانَ مِنْ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُ لَا يَكْذِبُ قَالَ مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَقُولُ هَذِهِ قَالَ وَكَانَ يُقَالُ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ حَدِيثُ النَّفْسِ وَتَخْوِيفُ الشَّيْطَانِ وَبُشْرَى مِنْ اللهَّ فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلَا يَقُصَّهُ عَلَى أَحَدٍ وَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ قَالَ وَكَانَ يُكْرَهُ الْغُلُّ فِي النَّوْمِ وَكَانَ يُعْجِبُهُمْ الْقَيْدُ وَيُقَالُ الْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ "(٢).

---

(١) لأن الوحي كان بالرؤيا الصالحة من ربيع الأول إلى رمضان وهذه ستة أشهر ومدة الوحي كان ثلاثا وعشرين سنة، وستة أشهر مقدمة، فإذا نسبة الستة أشهر إلى بقية زمن الوحي كان جزءا من ستة وأربعين جزءاً. أي :" ٢٣ سنة" فيها "٤٦ من ستة أشهر" وهي مدة الوحي بالرؤيا الصالحة من ربيع الأول إلى رمضان.

(٢) صحيح البخاري» كتاب التعبير» بَاب الْقَيْدِ فِي الْمَنَامِ(٦٦١٤).

وفي صحيح البخاري أيضا: عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ (ﷺ) يَقُولُ:" لَمْ يَبْقَ مِنْ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ قَالَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ "(١)، وأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ " أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) كَشَفَ السِّتَارَةَ وَرَأْسُهُ مَعْصُوبٌ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ " الْحَدِيثَ .

وَحَدِيثُ أُمِّ كُرْزٍ بِضَمِّ الْكَافِ وَسُكُونِ الرَّاءِ بَعْدَهَا زَايٌ الْكَعْبِيَّةِ قَالَتْ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) يَقُولُ :" ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ " (٢).

فرأيت في الرؤيا أنني وأختي فوزية رحمها الله تعالى أننا نعمل في حديقة كبيرة وتأتي إلينا السيارة لتحملنا من القرية إلى الحديقة، وكنا في طريقنا إلى الحديقة نشاهد أننا نمشي بين الجنان، وكان عملنا في هذه الحديقة نخرف الثمار، ولما حان الوقت لانتهاء العمل خرجنا خارج الحديقة لنركب السيارة للعودة، فإذا بي أجد سيدنا عبد الرحمن بن عوف [ﷺ] صاحب الحديقة يجلس أمام الحديقة على جذع نخلة على شاطئ نهر صغير يلبس قميصا وعليه قلنسوة، فاقتربت منه وأتمنى لو أن الهواء يحرك ثوبه لأرى جسده ، لأنني كنت قرأت

---

(١) صحيح البخاري» كتاب التعبير» بَاب الْمُبَشِّرَاتِ (٦٥٨٩).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ حِبَّانَ .

أنه(ﷺ) كان بجسده حكة فرخص له النبي في لبس الحرير(١)، ولكن دون جدوى فلم ينكشف ثوبه ولم أرى جسده.

ثم التفت فإذا أرى بعض بنيه وكانوا أصحاب أجسام كبيرة وذوو هيئة حسنة وكأن نضرة النعيم تجري في وجوههم، وكانوا يلبسون ثيابا بيضاء، رأيتهم جالسون يتشاورون أيهم غداً يكون موجوداً في الحديقة للإشراف على العمال الذين يخرفون الثمار وبأيديهم ورقة يكتبون فيها الشورى، وكنت في ذلك اليوم لا أعرف شيئا عن الشورى.

فانتبهت من نومي والسعادة والفرحة تغمران قلبي، فأولت الحديقة هي الإسلام وعملنا في الحديقة هو القيام بهذه الدعوة المباركة، وجني الثمار هو ما نجنيه من الفوائد والبركات في هذه الحياة الدنيا وبعد الممات من هذه الدعوة، فشرح الله صدري لهذا الجهد المبارك (نسأل الله الثبات).

فكانت هذه الرؤية برهانا وتأييداً لهذا الجهد المبارك، وتشجيعا لنا على اللحاق بركب الدعوة المبارك والانتظام في درب السلسة المباركة: الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين لعلنا نفوز معهم يوم الدين:

---

(١) عَنْ قَتَادَةَ ،عَنْ أَنَس ، قَالَ: رَخَّصَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي لُبْسِ الحَرِيرِ، لِحِكَّةٍ بِهِمَا.(صحيح البخاري_ كتاب اللباس _ باب ما يرخص للرجال من= =الحرير للحكة _ حديث رقم ٥٥٢٥، مسلم في صحيحه – بَابُ إِبَاحَةِ لُبْسِ الْحَرِيرِ لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ بِهِ حِكَّةٌ أَوْ نَحْوُهَا – حديث رقم ٣٩٨٥)

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْت مِنْهُمْ * * * لَعَلِّي أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَـــاعَهْ

وَأَكْرَهُ مَنْ تِجَـــارَتُهُ الْمَعَاصِي * * * وَإِنْ كنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَهْ

وبعد ذلك في عام ١٩٨٧م منَّ الله علينا وذهبنا إلى بلاد الجهد باكستان وبنجلاديش والتقينا بالمشايخ والعلماء مثل الشيخ إنعام الحسن والشيخ عبد الوهاب والشيخ زبير والشيخ مستقيم والشيخ مشتاق والشيخ أحمد اللات والشيخ شفيق وابنه فضيلة الشيخ إحسان، وقد حبب إلي المطالعة وكتابة الفوائد التي أسمعها فكنت أكتب وراء المشايخ وكان يمنعنا من الكتابة الشيخ عبد الوهاب(**حفظه الله**) ، ولكن الشيخ محمد عمر البالمبوري(**رحمه الله**) كان يقول لنا: اكتبوا كلام الشيخ عبد الوهاب(١) فكل كلمة يقولها من كلام الشيخ إلياس أو الشيخ يوسف الكاندهلوي فما ترك صحبتهما حتى ماتا.

والكتابة هي شأن السلف الصالح، فقد قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: إِلَى كَمْ تُكْتَبُ الْحَدِيثَ؟ قَالَ: لَعَلَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي أَنْتَفِعُ بِهَا لَمْ أَسْمَعْهَا بَعْدُ (٢).

---

(١) وبفضل الله جمعت كلامه كتاب سميته فرضية الدعوة طبع منه الجزء الأول وأسأل الله أن يوفقنا لطباعة الجزء الثاني .

(٢) الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين لابن المفضل المقدسي، شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي مَنْ قَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يَكْتُبَ الْحَدِيثَ إِلَى حِينِ الْمَوْتِ_ رقم الحديث: (١٣٦).

وعن الْحَسَنَ بْنَ مَنْصُورٍ الْجَصَّاصُ، يَقُولُ : قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ: إِلَى مَتَى يَكْتُبُ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ؟ قَالَ: حَتَّى يَمُوتَ (١).

وعن عَبْدَ اللهَّ بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيَّ ، سمعت أَبَا عَبْدِ اللهَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ : أَنَا أَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَى أَنْ أَدْخُلَ الْقَبْرَ(٢).

وعَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ ، قَالَ : سُئِلَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنِ الرَّجُلِ ، يَكُونُ لَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً ، يَكْتُبُ الْحَدِيثَ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ، يَحْسُنُ أَنْ يَعِيشَ(٣).

فكنت أكتب لنفسي كلام العلماء والمشايخ، وكذلك فوائد الكتب التي أقرأها، وذلك للاستفادة الشخصية، فلما اكتمل عندي كثير من فوائد عمل الدعوة والتبليغ كنت أطالعها بين الحين والحين في أوقات الفراغ، وأكثر ما كنت أطالعه لمرات عديدة، كلام شيخنا الندوي (رحمه الله)، والشيخ محمد أحمد الأنصاري(حفظه الله)، والشيخ عبد الوهاب(حفظه الله)، والشيخ محمد عمر البالمبوري(رحمه الله) .

ثم رأيت أن أجمع خلاصة ما كتبته وأترك ما تكرر من كلام، ففعلت ذلك، فلما أن اكتملت فائدته رأيت أن أسطر ما كتبت في كتاب لتعم فائدته على كل الأحباب، وكنت أهيب ذلك حيثُ أنني لستُ أهلا لتلك

---

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي مَنْ قَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يَكْتُبَ الْحَدِيثَ إِلَى حِينِ الْمَوْتِ_ رقم الحديث: (١٣٧).

(٢) المرجع السابق _ رقم الحديث: (١٣٨).

(٣) المرجع السابق _ رقم الحديث: (١٣٩).

الصنعة، فترددت كثيراً، حتى أراد الله عز وجل فاستعنت به ويسر الله لي هذا الأمر، فإنه إذا أراد الله أمراً يسر أسبابه، فبدأت بكتاب كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله، ثم كتاب اليقين في معرفة رب العالمين، ثم يسر الله لي بقية ما كتبت وكله من توفيق الله تعالى.

ولقد راودتني فكرة قديمة قبل ذلك كله أن أجمع من أبواب كتاب مشكاة المصابيح (١)، كتابا في الصفات الست ولكن أحجمت عن ذلك، ففجأة وجدت أن كتاب رياض الأحباب نزل المكتبات وإذا به ما كنت أردت أن أفعله، وهو نفس كتاب الأحاديث المنتخبة في الصفات الستة للشيخ يوسف الكاندهلوي رحمه الله.

وأما الكتاب الثاني : أنني جمعت حوالي خمسة وأربعين حديثا في بيان عظمة الله تعالى ونقلته من أبواب كتاب المشكاة وسودته في أجندة وأردت

---

(١) وكتاب المشكاة كانت لي معه قصة: فأول مرة عيني تقع عليه، أنني كنت خارجا في سبيل الله في قرية وقاص بالأردن وفي مسجد الصحابي عامر أخو سيدنا سعد بن أبي وقاص، وقعت عيناي على كتاب المشكاة طبعة الهند، فأخذت في الوقت الانفرادي خلال الثلاثة أيام أتصفحه فتأثرت به تأثرا كبيرا.. ووددت لو أنني تحصلت على هذا الكتاب، وكنت أسكن في مدينة إربد، وبعد أيام قليلة ذهبت إلى عمان فإذا بي أمام مكتبة كبيرة، فنظرت فيها فإذا أمام عيني كتاب المشكاة بأجزائه الثلاثة، فغمرت الفرحة قلبي، واشتريت الكتاب بفضل الله تعالى، وأنا دائما أحب صحبة هذا الكتاب والقراءة منه في حلقات التعليم .

أن أسميه كتاب الإيمان، وقدر الله لي أن أذهب إلى الحج، وكنت أسكن في فندق في شارع قريش بمكة، وخرجت من الحرم للذهاب إلى السكن فوجدت سيارة واقفة بجانب الشارع وصاحبها يوزع الكتب الدينية مجانا حسبة لله تعالى، فأعطاني آخر كتاب معه فإذا مكتوب عليه ((أصول الإيمان)) للشيخ محمد ابن عبد الوهاب، فذهلت حينما فتحته ونظرتُ فيه فإذا به نفس الأحاديث التي كتبتها، يزيد على ما كتبت حديثين أو ثلاثة وكتابي يزيد عليه كذلك حديثين أو ثلاثة فحمدت الله تعالى أنني لم أقدم على طباعته، لأنني لو فعلت ذلك لظن من يقرأه أنني سرقت كتاب الشيخ ووضعت عليه اسمي ويحق لمن يقرأه وقد قرأ كتاب الشيخ أن يظن ذلك ولا يلام عليه.. وقد سمعت أنه قد يلهم ويوفق لخير أكثر من واحد، فهو فضل الله يؤتيه من يشاء، ففي نفس الليلة التي رأي فيها الصحابي الجليل: عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأذان في الرؤيا، كذلك رآه عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما وعن جميع الصحب الأخيار.

وهذا شيخنا ابن القيم (رحمه الله) **كتب كتابه**: ((الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن)) من الفوائد التي يكتبها سواء من مطالعاته أو من الفوائد التي يكتبها من مشايخه.

وهذا فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين (رحمه الله) قال: [**في مقدمة كتابه المنتقى من فرائد الفوائد**]: فقد كنت أقيد بعض المسائل

الهامة التي تمر بي، حرصاً على حفظها، وعدم نسيانها، في دفتر وسميتها: ((**فرائد الفوائد**))، وقد انتقيت منها ما رأيته أكثر فائدة، وأعظم أهمية، وسميت ذلك: ((**المنتقى من فرائد الفوائد**)) أ.هـ.

وهذا آخر ما أردت بيانه على تساؤلات الأحباب عن سبب التأليف، وهذا التساؤل الناشئ عن الاعتماد في هذا الجهد على جهد الأقدام، لا الأقلام، وهذا لا ينفي جهد الأقلام، فالأقدام تحقق الجهد والأقلام تصور الجهد حتى تستنير الأفهام- كما قال الدكتور نعمان أبو الليل (حفظه الله) -، وإلا ما حفظت السنة ولا القرآن الكريم ولا آثار الصحابة ولا إجماع العلماء.

وفي ملفوظات مولانا الشيخ محمد إلياس (رحمه الله)

برقم (١٣٩) ***قال المؤلف***: في يوم أتى أحد محبي الشيخ إليه وكان له علاقة بالتبليغ ومع هذا كان انشغاله الخاص في التحرير و التصنيف.

فقال له الشيخ: إنني من قبل لم أكن أحب أن يُكتَب ويُقرَأ عن عمل التبليغ هذا كثيراً ويُدعى إليه بالتحرير، بل كنت أمنع عن هذا ولكن الآن أنا أقول: إن يكتب عنه، فأنت كذلك أكتب عنه كثيراً جداً وخذ في هذا رأي فلان وفلان القائمين في هذا العمل لبعد أن تبلغهم مقولتي هذه.

فطلبوا واستشيروا في هذا من سماهم الشيخ فأشاروا بأن ما نحن عليه من الطريقة فعندنا هي الأفضل فلما أخبر الشيخ برأيهم فقال: إنما نحن من

قبل كنا في (حالة غير معروفة) وكنا لا نجد أحد يسمعنا ولا كان أحد يفهم ما كنا نقوله ففي تلك الحالة كان من الضروري أن نتجول في الناس ونولد فيهم الطلب ونفهم بتطبيقه عملياً.

ففي تلك الحالة لو دعونا الناس تحريراً فربما يفهمون الناس خلاف ما نقصده فكل حسب فهمه يكن له رأي فإذا فهم أحد شيئا فاختاره فحسب فهمه قام بأدائه عملياً مع أنه أصاب في بعض وأخطأ في بعض ثم إذا ظهرت النتائج خطأ فقالوا إن طريقتنا نحن هي الناقصة فلذا ما كنا نستحسن أن تصل دعوتنا عند الناس تحريرا وأما الآن فبفضل الله وكرمه وبنصرته قد تغيرت الأحوال.

فكثيرا من الجماعات خرجت في أطراف البلاد وحققت عملنا أما الآن الناس بأنفسهم يقدمون إلينا طالبين له فقد يسَّر الله لنا قدراً كافياً من الناس يمكن إرسال عدة جماعات في شتى المدن إذا ألزمنا الطلب.

فلذا جمودنا على نفس الطريقة السابقة (في حالتنا الغير المعروفة) ليس بصحيح فلذا أنا أقول لك أنه لا بد من أداء الدعوة تحريراً. (١).

ويقول الشيخ محمد إلياس (*رحمه الله*): إن الكتب هي وسيلة هامة للاقتداء بالسلف الصالح، فيلزم الارتباط القوي بها، ولكن الكتب لن

---

(١) ملفوظات الشيخ إلياس _ رحمه الله – رقم ١٣٩.

تنفع إذا لم تكن هناك التربية الحكيمة، والتدريبات العملية تحت إشراف أهل العلم والتقوى(١).

والشيخ (رحمه الله) يعلم أن الكتابة في الصحف والتحرير لا يغني عن تحرك الأقدام وإنفاق المال ومفارقة الأهل الأوطان.

ومع ذلك إخواني وأحبابي في الله! لا ننسى قول الشيخ فاروق(حفظه الله)(٢): القلم قبل القدم يُفسد الأمة، والقلم بعد القدم يُصْلِحَ الأمة(٣).

فالوحي الذي به حياة القلوب نزل على النبي(ﷺ) بعد الجهد والمشقة فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: ... جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِيغَارِ حِرَاء ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:" اقْرَأْ " فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ

---

(١) أهمية العلم والذكر في الإسلام ومدى احتياج الإنسان إليهم د / عبد الخالق بيرزاده ص٨٢ باختصار. مكتبة الإيمان القاهرة.

(٢) من علماء ومشايخ الدعوة والتبليغ بكراتشي بباكستان.

(٣) سمعته من في مسجد رايوند التابعة لمدينة لاهور باكستان.

فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) ...(١).

فالقلم يصور الجهد، والحركة تحقق الجهد، والاثنين معا لا يستغنى بإحداهما عن الأخرى.

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى وأن ينفعني وإياكم بكل كلمة كتبتها، وأسألكم الدعاء لي بالتوفيق والإخلاص، فلا خلاص لنا إلا به.

وقد جمعت في هذا الكتاب الذي بين أيديكم بعض الأسئلة التي تدور على ألسنة وأذهان الناس حول هذا العمل المبارك والأجوبة عليها لتوضيح هذا العمل المبارك، ليزيل الالتباس والاشتباه عن عقول الناس وقلوبهم، وإن كان هذا العمل واضح، لأن الدعوة توضيح الواضحات، والفتوى توضيح الغامضات.

فهذا الجهد واضح كالشمس في وضح النهار لا ينكره إلا من كان في قلبه ظلمة، وقديما قال الشاعر:

قد تُنْكِرِ العَيْن ضَوء الشَّمْس مِن رَمَدٍ ويُنْكِرِ الفَمُ طَعْمَ الْماء مِن سَقَمِ

وقد قال المتنبي:

وَلَيسَ يَصِحُّ في الأَفهامِ شَيءٌ إِذا اِحتاجَ النَهارُ إِلى دَليلِ

(١) صحيح البخاري» كتاب بدء الوحي ـ رقم الحديث:(٤).

فو الله! ثم والله! ما وجدنا في هذا الجهد شيئا يخالف الوحيين (الكتاب والسنة) وسيرة الصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسان.

(فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) إِرَادَةَ الْعَيْبِ هِيَ سَبَبٌ لِمَنْعِ الْغَصْبِ؛(والحقيقة أنها قبل الخرق أنها ليس فيها عيب) قُدِّمَتْ عَلَيْهِ؛ إِذْ هَذَا الْعَيْبُ يَحْمِي هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ وَسَفِينَتَهُمْ مِنَ الْغَصْبِ؛ إِذْ يَرَاهَا لَيْسَتْ مِمَّا يُرْغَبُ فِيهِ؛ فَيَمْتَنِعُ عَنْ غَصْبِهَا؛ لَا كَرَاهِيَةً لِلْغَصْبِ فِي ذَاتِهِ؛ وَلَكِنِ اسْتِحْقَارًا لَهَا بَعْدَ هَذَا الْعَيْبِ.

وَالْعَيْبُ يُمْكِنُ إِصْلَاحُهُ؛ وَالْمُهِمُّ إِنْقَاذُ السَّفِينَةِ مِنَ اغْتِصَابِ الْمُغْتَصِبِ.

وَإِنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ظَوَاهِرَ الْأُمُورِ قَدْ تَكُونُ ضَارَّةً بَادِيَ النَّظَرِ؛ وَلَكِنَّهَا فِي غَايَتِهَا خَيْرٌ وَفِيرٌ؛ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ؛ هَذَا هُوَ تَأْوِيلُ خَرْقِ السَّفِينَةِ؛ أَوْ بَيَانُ مَآلِهِ(١). واللبيب بالإشارة يفهم.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بهذا الكلام، وأن يجعله دافعا لنا على أرض الواقع في ميدان الدعوة إليه.. وأن يجعل هذا الجهد

---

(١) زهرة التفاسير» تفسير سورة الكهف» أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا.

البسيط مقبولا عنده، وأن يصحح نياتنا وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، فقد قال الإمام مالك(رحمه الله): [ما كان لله بقي] (١)

((اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَعْمَالَنَا صَالِحَةً، وَاجْعَلْهَا لِوَجْهِكَ خَالِصَةً، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيْهَا شَيْئًا))

مَا ابيضَّ وجهٌ باكتِسَابِ كَرِيمَةٍ .. حتَّى يُسَوِّدَهُ شُحُوبُ المَطْلَبِ

أخوكم/ محمد إمام

السؤال الأول

س: من هم أهل التبليغ والدعوة ؟.

ج: هم الأنبياء والرسل [عليهم السلام] وأتباعهم: قال تعالى ﴿ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

---

(١) روي أنه لما ألف مالك موطئه قيل له: ما الفائدة في تصنيفك؟ فقال: (ما كان لله بقي)، ذكر ذلك السيوطي في تدريب الراوي.

٢) سورة التوبة – الآية ١١٢.

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ (١).

وقال تعالى:﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (٢).

أي بعض قوم موسى، وقيل أنهم الأنبياء الذين أرسلوا من بني إسرائيل.

أما أمة النبي محمد(ﷺ) فقد ذكر الله تعالى أنهم كلهم يقومون بالدعوة إليه، قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (٣)، يقول ابن كثير(رحمه الله): وَقَدْ جَاءَ فِي الْآثَارِ : أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ ، هِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ(٤) .

وقال تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(٥).

وقال تعالى:﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦).

وقد قامت هذه الأمة المحمدية بالدعوة إلى الله في حياة نبيها خير قيام، وبعد انتقال نبيها إلى الرفيق الأعلى ظلت لقرون طويلة قائمة بجهد نبيها ،

---

١) سورة آل عمران – الآية ٢١ .
٢) سورة الأعراف – الآية ١٥٩ .
٣) سورة الأعراف – الآية ١٨١ .
٤) تفسير ابن كثير.
٥) سورة آل عمران – الآية ١١٠ .
٦) سورة يوسف – الآية ١٠٨.

فلما قامت بالدعوة جعل الله لها العزة والكرامة، ولما تركت الأمة الدعوة صار لها الذل والهوان، فالبدعوة تكون الأمة قيادية، وبترك الدعوة تكون انقيادية، وصدق النبي(ﷺ) حيثُ قال: " إِذَا عَظَّمَتْ أُمَّتِي الدُّنْيَا نُزِعَ مِنْهَا هَيْبَةُ الإِسْلامِ، وَإِذَا تَرَكَتِ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ حُرِمَتْ بَرَكَةَ الْوَحْيِ" قَالَ: مَعْنَاهُ: سَأَنْزِعُ عَنْ قُلُوبِهِمْ فَهْمَ الْقُرْآنِ(١).

فبعد أن تركت الأمة الدعوة صار حال الأمة إلى ما صارت إليه .

وأصبح المسلم ناسيا أنه ناسي أنه من أمة النبي (ﷺ) ووظيفته هي الدعوة إلى الله، ونسي أنه مبعوث من الله للقيام بوظيفة الدعوة، كما قال ربعي بن عامر الصحابي لما وقف أمام رستم وسأله مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ فَقَالَ: اللهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللهِ . قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللهِ ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ (٢).

---

(١) ذكره الحافظ بن أبى الدنيا في كتاب ذم الدنيا، وكتاب الزهد عن فضيل والترمذي في الدر .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير .

فقيض الله لهذه الأمة رجلا من الهند وهو الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) والذي ينتهي نسبه إلى صديق الأمة أبو بكر صاحب رسول الله، وبدأ بالجهد متبعا في ذلك خطى الأنبياء والرسل والصحابة في الدعوة إلى الله، وقد أحيى الله به جهد التبليغ في بعوث جماعية كما كان الحال في عهد الصحابة، بعد أن مات الجهد الجماعي ولم يبق جهد الدعوة إلا بصور فردية.

وإليك نبذة مختصرة عن التعريف بجهد التبليغ والدعوة:

أولا: الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (رحمه الله):

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي(رحمه الله): تحرّيت عن سبب هذا الانقلاب وشدتني رغبة جامحة لمعرفة المؤثّر على هذه البلاد فذكر لي أنها لا جامعة ولا جمعية ولا دعاية ولا صحيفة ولا كتاب، إنما هو رجل متواضع من دلهي قد بثّ الروح في هذه الأمة؟ وهذب النفوس ونشر الدين والعلم.

وحدا بي الشوق إلى زيارته فجئت إلى دلهي فإذا هو رجل نحيف أسمر اللون على وجهه مخايل الهم والتفكير والجهد الشديد.. ليس بمفوّه ولا خطيب بل يتلعثم في بعض الأوقات ويضيق صدره ولا ينطلق لسانه، ولكنه كله روح ونشاط وحماسة ويقين.. لا يسأم ولا يمل من العمل، ولا يعتريه الفتور والكسل.

لقد صحبت (مولانا محمد إلياس) مركز هذا النشاط الذي وصفته، مدة طويلة، ورافقته في السفر والحضر، فرأيت نواحٍ من الحياة لم تنكشف لي من قبلُ، وكان أغرب ما رأيت يقينه الذي عرفت به يقين الصحابة رضوان الله عليهم.

فكان يؤمن بما جاءت به الرسل إيماناً يختلف عن إيماننا اختلافاً واضحاً كاختلاف الصورة عن الحقيقة.. إيماناً بحقائق الإسلام أشدّ وأرسخ من إيماننا بالماديات والمحسوسات وبخواصّ الأشياء والأدوية، ومضارها ومنافعها، وبتجارب حياتنا.

فكان كل شيء صح في الشرائع وثبت من الكتاب والسنة حقيقة لا يشك فيها، وكان يرى الجنة والنار رَأْيَ العين.. ورأيته في حال عجيبة من التألمّ والتوجعّ والقلق الدائم.. عرفت برأسي معنى الحب وفهمتُ ما روي عن العشاق والمتحابين، ومن استولى عليه الحب، وصدّقت ما نُقل عن الأنبياء من الحزن والقلق والحرص على الهداية .

ورأيت أعجب ما فيه أنه كان في مرضه الذي توفي فيه لا يستطيع القيام والقعود، ولكن يأتي إلى الصف يتهادى بين الرجلين حتى تقام الصلاة، فيستقل بنفسه فإذا كبر الإمام ترك الرجلان وقام بنفسه كأنه غير الرجل ويقوم ويركع ويسجد من دون مساعدة، حتى إذا سلم الإمام خارت قواه

وعاد ضعيفاً لا يستطيع النهوض، وبقي على هذا الحال شهوراً حتى أتاه اليقين وانتقل إلى الرفيق الأعلى وما فاتته في مرضه صلاة إلى الليلة التي قبض فيها (١).

إن بيان صفات الداعي أجمل مقدمة لدعوته، لأن الصفات كان دائماً لها الأثر الأكبر في دعوة الناس وقد كان لها أكبر الأثر على التابعين ومتأخري الصحابة وأهل الأمصار حتى أعداء الإسلام كان أثر الصفات سبباً لدخولهم في الدين فإن الداعي جُلُّ صفاته في عمله وفي تجارته وفي رحلاته وفي كل أحواله .. وهذا مما تأثر به كذلك كثير من علماء الهند ورافقوا الشيخ إلياس منهم من ذكرنا ومنهم من سنذكره في موضعه وعلى رأس قائمتهم الشيخ الفاضل أبو الحسن الندوي رحمه الله.

و الشيخ (*رحمه الله*) قد جعل لدعوته ثلاث ركائز :

الركيزة الأولى: إعلاء كلمة الله.

والركيزة الثانية: إشاعة الإسلام وتبليغه.

والركيزة الثالثة: الاتحاد بين متفقي العقيدة والمسلك، مع الإصلاح المذهبي والأخلاقي والتعليمي.

---

(١) الدعوة الإسلامية وتطوراتها للشيخ أبو الحسن الندوي.

وقد عرض هذه الدعوة على علماء نجد والحجاز، وعلى جلالة الملك سعود وتفصيل ذلك في كتاب (العروة الوثقى) لفضيلة الشيخ احتشام الحسن.

وبذا اطمأنت نفوس كبار العلماء في الحجاز إلى دعوة الشيخ محمد إلياس رحمه الله وأجازوه بكتبهم وكتاب ملك المملكة العربية السعودية في حينه، وما زالت فتاوى المشايخ النجدية وأولهم الوالد الشيخ ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين والجزائري(رحمهم الله) وغيرهم من أهل العلم والفضل؛ بهذا انطلقت دعوة الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) فقد انطلق من الميوات بعد أن نجح في دعوته (وأثره باق فيهم إلى يومنا هذا) يجوب الأرض الهندية من مشرقها إلى مغربها يُعّلم الناس ويشرح لهم، ويجلس إلى العلماء ويحاورهم، فأيده منهم خلق كثير وتأثر بدعوته العلماء وناصروه وخرجوا معهم إلى الأصقاع والقرى.

أنقل لكم ما تحدث به الأستاذ الفاضل الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله عن دعوته في كلمة وجيزة قال رحمه الله: لقد رأى مولانا محمد إلياس ما أصاب المسلمين من التحلّل والإفلاس في الإيمان والروح والشعور الديني في هذا الزمن، وما أثّرت فيهم الحكومة الإنجليزية والحضارة الغربية والتعليم المدني، وغفلة الدعاة والانشغال الزائد في الحياة والانهماك في المادة،

حتى صارت المدارس الشرعية والأوساط الدينية كجزرٍ في بحر محيط، فأصبحت تتأثر بمحيطها الثائر على الدين ولا تؤثر بضعفها وعزلتها على الحياة.

فرأى أن التعليم لوحده لا يكفي، وأن الانعزال لا يفيد والانزواء لا يصح ولا بد من الاتصال بطبقات الناس، ولا بد من التقدم إليها من غير انتظار، لأنها لا تشعر بمرضها وفقرها في الدين ويجب أن يبدأ بغرس الإيمان في القلوب ومبادئ الإسلام ثم الأركان والعلم والذكر مع مراعاة الآداب التي تقوي هذه الدعوة وتحفظها من الفتن.. منها إكرام المسلم، ومنها عدم الانشغال بما ليس هو من الدعوة وما ليس من سبيل الداعي، وترك ما لا يعني.

لقد دعا إلى هذا النظام بكل طاقته وقوته ونفوذه، ودعا إلى الخروج في سبيل هذه الدعوة وبثها في القرى والمدن وبدأ دعوته في منطقة هي أحط المناطق الهندية خلقاً، وأبعدها عن الدين، وأعظمها جهالة وضلالة وهي منطقة ميوات في جنوب دلهي العاصمة الهندية.

ودعا الناس فيها إلى الانقطاع عن أعمالهم لفترات كي يتعلموا دينهم ويفرغوا أوقاتهم ويخرجوا إلى المدن والقرى، وبذلك يكون التغيير في أخلاقهم من السوء إلى الحسن والأحسن، لأن الصلاح لا يكون في أرض

الفساد، فإذا هم خرجوا من أرض الفساد ورأوا أحوال الناس وصفاتهم رجعوا إلى قراهم بأخلاق فاضلة وصفات عالية وهمة طيبة.

انتشر فكره وقبل دعوته في هذه المناطق الألوف من الناس، وخرجوا في سبيل الله شهوراً وقطعوا مسافات طويلة ركباناً ومشاة فتغيّرت أخلاقهم وتحسنت أحوالهم، واشتعلت عواطفهم الدينية، وانتشرت الدعوة في الهند وباكستان من غير نفقات باهظة ومساعدات مالية ونظم إدارية بل بطريقة بسيطة تشبه طريقة الدعوة في صدر الإسلام، وتُذكّر بالدعاة المخلصين المجاهدين المؤمنين الذين كانوا يحملون في سبيل الله والدعوة والجهاد متاعهم وزادهم وينفقون على أنفسهم يتحملون المشقة محتسبين متطوعين.

انتشرت هذه الدعوة وانتقلت خارج القارة الهندية وتوفي الشيخ محمد الياس (رحمه الله) سنة ١٣٦٣هـ في شهر رجب وخلفه نجله الشيخ محمد يوسف رحمه الله وقام بأعباء الدعوة خير قيام.

وفي عهده (رحمه الله) توسّعت الحركة توسّعاً كبيراً وانتشرت بعثاتها في أنحاء العالم الإسلامي والغربي على السواء ودعا إلى الإيمان وإيثار الروح على المادة، والآخرة على الدنيا، والاعتماد على الله تعالى وبذل الوسع والطاقة في سبيل الله دعوة قوية صريحة أثرت في ألوف الناس فأصبحوا دعاة متطوّعين.

ولا يزال مركز الدعوة في نظام الدين في دلهي مركز حياة دينية ودعوة إيمانية يؤمُّه الناس من جهات الأرض الأربع.

لقد كانت جهود المخلصين وتجاربهم ثروة إسلامية.

هكذا نشأت الدعوة على فكرة سلفية وقاعدة شرعية وعلم شرعي من الكتاب والسنة وندعو الله كما دعاه الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) من قبلُ أن يشرح صدور العلماء للمشاركة في هذا العمل وإنني على يقين أن الدعوة دائماً بحاجة إلى التجديد والتفكير والتطبيق والتوفيق بين الإسلام الخالد والعصر المتغيّر، واستعراض الشؤون والمسائل، وما يطرأ على العقول من الضعف والقوة، وأن العصمة لله وحده وأنه لم يُختم شيء مما أكرم الله به هذا الأمة إلا النبوة التي ختمت برسول الله (ﷺ) آخر الرسل وخاتم النبيّن.

وإن كل ما ذكرنا عن أحوال الدعوة من نماذج ومثلٍ للدعوة ونمطِها وأسلوبِها منهاجاً قد شرح الله بها صدور أناس أصحاب نفوس زكية على ضوء الكتاب والسنة وإننا نعتقد أن جهود المخلصين وتجاربهم ثروة إسلامية عامة ليست مُلكًا لبلد ولا حِكراً على أحد أو شعب دون شعب، بل هي بضاعة المخلصين في كل بلد ونبراس المصلحين في كل عصر .. يحق

لهم عامة وللعرب خاصة أن يقولوا كلما أهديت إليهم ونقلت من بلاد إلى بلاد وبصوت الحق: " هُذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا " أ.هـ (١).

ونحن بصدد البحث عن حاجة الأمة إلى عمل الدعوة .. وهي حاجة لا تقل بأدنى أحوالها عن حاجة العطشى للماء.

إن الدعوة هي في أدنى أحوالها حاجة الروح، وهي النور الذي يهدي الله به الخلق إلى صراط مستقيم.

فهي إذن أول ركيزة للإسلام، وهي أول شروط التكوين الإسلامي، وهي صرح السعادة في الدارين.

لقد أغفلت الدعوة واشتغل الناس في حوائج الدنيا واشتغل العلماء في البحوث والمصنفات وتزين الكتب بالغلافات وانتشرت دور النشر والكتاب وظهرت أفكار ودراسات وكتب تحدثت في كل أمور الحياة الدينية والدنيوية وكثرت الوسائل الحياتية وأصبحت الدنيا في أغل الأحوال هي مبلغ العلم وغاية الإرادة .. فالوالدان يحثّان أبنائهم قائلين: يا بني أريدك طبيباً.. يا بني أريدك صيدلانياً.. يا بني أريدك محامياً، وأريدك تاجراً، وأريدك وأريدك أريدك !! .

نمت هذه الأفكار المادية، وأصبح الناس عبيداً لشهواتهم ورغباتهم، وتطوير حياتهم، وتزيين منازلهم، وتعليق شهاداتهم التحصيلية في الأماكن

---

(١) عن الشيخ النعماني في (ملفوظات إلياس) بتصرف قليل.

البارزة من البيت.. وكل هذا في غفلة عن الآخرة، وفي ضلالة عن الدرب إلا من رحمه الله.

وبدأت الحياة بالتناقضات في الفكر في الآداب وفي الدين وفي العلوم والسباق على المناصب في خداع من الدنيا واختلافٍ في الاتجاهات الدينية ولم تبقى فكرة في رأس إلا ولها تناقض في رأس آخر وأسباب هذا التناقض كثيرة منها تنوع الحضارات التي تسبب بها طلب العلوم الدنيوية في بلاد المشرق والمغرب فمن دولة جاءنا خريجون يحملون طابعا حضاريا معيناً له أثر في تناقضات حياتنا ومعاملاتنا، في التجارة والمخترعات وتحديث الآلات والتكنولوجيا والعلوم الحديثة وشبابنا يسارع الزمن للحاق بمن سبقه في هذه المجالات فأنبت حَيْلُة وهو يركض ولم يدرك شيئا واعترف بالهزيمة النفسية والحضارية فركن إلى عيادة إن كان طبيباً واكتف بما يقرأ في المجلات الطبية ومتابعة مخترعات الأجانب، وكيف يحصل على الأجهزة من بلادها، ليزيد دخلُه ويحسّن مستوى معيشته، وينتقل من بيته إلى بيئة أرقى وهذا الحال في كل مستويات العلوم حتى في العلوم الشرعية أصبح العلماء والدارسون وحملة الشهادات العليا في العلوم الشرعية أصبح هم أكثرهم كيف يصل إلى منصب سياسي أو جامعي.. أو اشتغلوا في التأليف والمحاضرات واكتفوا بأن لكل منهم مجموعة من الطلبة يقدمون الدارسات أو أن لهم وظائف

في إحدى الوزارات وكما قلت لكم إلا من رحمه الله.. في كل هذه الأحوال والتناقضات والصراعات الدنيوية.

لا بد من أن يظهر تجديد وأن يظهر أسلوب ذو فعالية مجددٍ للأنماط المشتهرة وفكرةٍ جديدةٍ قديمةٍ يستيقظ بها النائم، ويجد إليها المجتهد، ويسعى إليها جميع طبقات الناس بكل علومهم واتجاهاتهم العلمية ولتسخر هذه كلها لفكرة واحدة، ودعوة واحدة، ويقين واحد (١).

ثانيا: أهل التبليغ والدعوة:

جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في قوله تعالى:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ قَالَ عُمَر بْن الْخَطَّاب: لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَقَالَ " أَنْتُمْ "، فَكُنَّا كُلّنَا، وَلَكِنْ قَال: {كُنْتُمْ } فِي خَاصَّة مِنْ أَصْحَاب رَسُول اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ صَنَعَ مِثْل صَنِيعهمْ، كَانُوا خَيْر أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَر (٢)(٣).

---

(١) هذه دعوتنا _ لمحمود عبد الكريم (من مشايخ الأردن).

(٢) حياة الصحابة – ١ / ١٧ .

(٣) قَالَ أَبُو جَعْفَر: فَإِنْ سَأَلَ سَائِلٌ فَقَالَ: وَكَيْفَ قِيلَ: " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ "، وَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّ تَأْوِيلَ الْآيَةِ: أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ خَيْرُ الْأُمَمِ الَّتِي مَضَتْ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ "، لِقَوْمٍ كَانُوا خِيَارًا فَتَغَيَّرُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَى ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: أَنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ ، كَمَا قِيلَ: (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ) [الْأَنْفَال: ٢٦] وَقَدْ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ) [الْأَعْرَاف: ٨٦] فَإِدْخَالُ "كَانَ " فِي مِثْلِ هَذَا وَإِسْقَاطُهَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ، لِأَنَّ الْكَلَامَ مَعْرُوفٌ مَعْنَاهُ. وَلَوْ قَالَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ

فقد شاء الله عزَّ وجلَّ بواسع رحمته ودقيق حكمته، أن يختار من عباده ثلَّة يجعل منهم المثل الذي يحتذى والنموذج الذي يقتدى به في الانقياد لأوامر الله وتطبيق تعاليمه وأحكامه.

وكأنه عز وجل قضى، بباهر حكمته، أن يجعل من حياتهم وواقع سلوكهم في الجملة، وسيلة إيضاح لمن بعدهم، يهتدون بهديهم كلما غُمَّ عليهم الأمر والتبست عليهم الحقائق بأشباهها.

وقد تمثلت هذه الثلة المختارة في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم.

وليس في اختيار الله لهم ما يثير دهشة أو يبعث على تساؤل، فهم الرعيل الأول الذين تبلغوا عن الله وعن رسول الله(ﷺ)، بعد فترة من الرسل. وهم الذين رأوا رسول الله (ﷺ) وأخذوا منه وتعلموا على يديه، وهم الذين سرى نور النبوة إلى أبصارهم التي اكتحلت بمرأى رسول الله(ﷺ)، ثم سرى منها إلى قلوبهم التي فاضت بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قَائِلٌ: "كُنْتُمْ "، بِمَعْنَى التَّمَامِ، كَانَ تَأْوِيلُهُ: خُلِقْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَوْ: وُجِدْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ، كَانَ مَعْنًى صَحِيحًا. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ عِنْدَ اللَّهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ (تفسير الطبري).

فحق أن يكونوا ظلاً لرسول الله (ﷺ) ثم أن يكونوا من بعده الهداة الذين يقتدى بهم والنموذج الأسمى لكيفية السير على صراط الله عزَّ وجلَّ.

وقد نظرنا، ثم تأملنا طويلاً في موقف هؤلاء الصحابة الذين جعلهم الله، بعد رسوله (ﷺ) ، قدوة لنا، في كل من الواجبات التي كلفهم الله بها وأنهضهم إليها، والحقوق التي بشرهم بها وتكفل لهم بإنجازها، فرأينا أنهم توجهوا بكل مشاعرهم وقدراتهم إلى الواجبات التي حمَّلهم الله إياها، وسعوا في ثبات واستمرار إلى النهوض بها، دون أن تطوف بأذهانهم أحلام تلك الحقوق التي وعدهم بها، ودون أن يدخروا شيئاً من جهودهم للبحث عن تلك الحقوق، بل دون أن يربطوا بين تلك الواجبات وهذه الحقوق بشيء من رابطة العلة والمعلول، أو اثمن والسلعة. بل تأملنا فلم نجد إلا دفعاً خفياً واحداً ينهضهم إلى القيام بالوظائف التي ألزمهم الله بها، ألا وهو دافع العبودية والمملوكية لإلههم المالك.

ما إن يبايع الواحد منهم رسول الله (ﷺ) مؤمناً بالله رباً وبمحمد رسولاً حتى يعود إلى نفسه فيلزمها بإتباع أوامر الله والانتهاء عن نواهيه، مجاهداً نفسه ضد أهوائها، مطهراً ذاته من بقايا الجاهلية، ثم يقبل إلى من يعيل، ثم إلى سائر من حوله من عباد الله عزَّ وجلَّ، يعرفهم على الله

ويبلغهم أوامره وأحكامه، مخترقاً إلى ذلك المخاطر كلها، مضحياً بحقوق نفسه إن أهينت، متجملاً بمشاعر الحب لعباد الله والشفقة عليهم جميعاً، وقدوتهم في ذلك كله سيدهم وحبيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولم يكن من شأن أيَّ منهم أن يعود في المساء إلى داره ليسأل نفسه: متى وكيف تكون الحاكمية في الأرض عن الله لنا؟.

كما لم يكن من شأن أيَّ منهم أن يتقلب ذات ليلة في أحلام هذا النعيم الذي وعدهم الله به: كيف يكون مذاقه، أو إلى أي مدى يمتد ظلُّه؟ بل كانوا يقطعون الليل، بعد أخذ حظهم من الراحة والرقاد، بنجوى الخائف من تقصيره الطامع في تجاوز الله وعفوه، وربما اتهم أحدهم نفسه، لتقصير تخيل أنه قد ألم به، بلون من النفاق قد ابتلى به، فيتقلب من ذلك في هم يكاد يذيبه، ثم لا يسكن روعه حتى يشكو أمره إلى رسول الله (ﷺ)، فيذكره بعظيم رحمة الله وكرمه، و يبشره بأن إحسان الله لعباده يأتي على قدر ضعفهم وعجزهم، إن هم عظموا حرمات الله، واستشعرت قلوبهم مهابته.

تحت سلطان هذه الدوافع والمشاعر، أدوا واجباتهم هذه، وصمدوا لكل ألوان الأذية في مكة.. وتحت سلطان هذه الدوافع والمشاعر ذاتها، هاجروا في سبيل الله إلى المدينة، وقد نفضوا أيديهم عن كل زاد إلا زد التقوى والعمل الصالح.. وهم خلال ذلك كله يعرفون الناس على الله

ويبلغونهم كلمات الله، ويقدمون نفوسهم وحظوظها قرابين رخيصة على طريق تطبيق أوامر الله.

هل كان أي منهم يخلط بين قيامه بواجباته هذه، والتخطيط لكيفية القضاء على الامبراطورية الساسانية أو الرومانية؟.. هل كان فيهم من يفكر بكيفية الانتقام من قريش التي أخرجتهم من ديارهم، أو يفكر بالغد القريب الذ ي يصبحون فيه الحكام المهيمنين عليهم والمتنفذين فيهم؟

معاذ الله... لم يكن هذا شأن أحدٍ منهم، بل كانوا قد وضعوا همهم كله في أن يوفقوا إلى أداء حقوق العبودية التي في أعناقهم لله عزَّ وجلَّ، أو يرحلوا إليه وهو راضٍ عنهم غفَّار لهم.

فلما صدقوا فيما ألزموا أنفسهم به من حق الله عز وجل، وفَّاهم الله حقهم الذي تكفل لهم به، فأعادهم إلى الأرض التي أخرجوا منها، وأورثهم أرضاً وديارا أخرى لم يعرفوها ولم يحلموا بها، وجعل منهم قادة العالم، ووُرَّاث الحضارة، فكانوا بحق سدى ولحمة المجتمع الإسلامي.

هل كان سعيهم وجهادهم قبل ذلك تخطيطاً لبلوغ حكم، أو إمعاناً في قهر حاكم، أو مناورة لإنشاء حلف.

لم يكن هذا شأنهم قط، بل لم يخطر لهم شيء من هذا على بال.

بل مما لا شك فيه أنهم لو ولّوا وجوههم شطر شيء من هذه المشاغل أو صرفوا أفكارهم إليها، لما حقق الله لهم شيئاً مما قد أكرمهم به، ولما جعل منهم أئمة الارض ووراث الحكم وقادة العالم، بل لوكَلهم عندئذٍ إلى أفكارهم المخططة، وأحلامهم المهتاجة، ولما جاءت قدراتهم من ذلك كله بشيء.

فذلك ما نقرؤه واضحاً في كتاب الله: واجبات كلفنا بها وأناطها بأعناقنا، وحقوق تكفل بها لنا، إن نحن أخلصنا القيام بتلك الواجبات.

وهذا ما فعله أصحاب رسول الله (ﷺ)، وفعله الله لهم:عاهدوا أن ينفذوا أوامره، وأن يمارسوا عبوديتهم له بإخلاص وصدق، وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه...وعندئذٍ وفَّى الله وعده لهم فورثهم الأرض والديار، وألقى أزمَّة الحكم في أيديهم، وبثَّ الهيبة منهم في قلوب الناس.

وقد علمنا أن الله عزَّ وجلَّ جعل من أصحاب رسول الله النموذج الذي يُتبع في صحة التوجه والسلوك، فهم الذين يصدق عليهم قول الله عزَّ وجلَّ:(أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (١).

وإذا كان الأمر كذلك، فليس لنا عن الاقتداء بهم أي محيص، إلا إن أردنا أن نسلك سبل الغواية بدل الرشاد، أو أن نغامر في اتباع ما لا يجدي أو غرس ما لا يثمر. ونسأل أن يسلّمنا ويقينا من الوقوع في هذا التيه.

---

(١) سورة الأنعام _ الآية ٩٠.

ونحن اليوم نعلن عن صدق إيماننا بالله واستسلامنا لألوهيته وحكمه، تماماً كما أعلن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويظهر اليوم في الساحة الإسلامية من يسمون بالإسلاميين أو الجماعات الإسلامية، يضعون أنفسهم من عامة الناس موضع الصحابة ممن بعدهم، فهم النموذج الذي ينبغي أن يقتدى به اليوم بعدهم، إذ هم طليعة رجال الدعوة إلى الله، والقائمون بأمر الله والمجاهدون في سبيله، والمنافحون عن حرماته.

والحق أن على عامة المسلمين، في هذه الحال، أن يقتدوا بهم وينهجوا نهجهم، إذ هم الوارث للخصائص التي تميز بها الصحابة عمن سواهم.

ولكن، أفيسلك هؤلاء " الإسلاميون " فعلاً مسلك رسول الله (ﷺ) ومن ثم مسلك أصحاب رسول الله؟ أفيحصرون أنفسهم، فعلاً، في نطاق الواجبات كلفهم الله بها، في حق أنفسهم والناس الذين من حولهم، ويفوضون ما التزم لهم به الله إلى الله.

أننا ننظر، فنجد، ويا للأسف، عكس ذلك تماماً.. لقد نامت في نفوسهم مشاعر الواجبات الذاتية، التي أذاب أصحاب رسول الله (ﷺ) أنفسهم في ضرام السعي إليها والنهوض بها، واستيقظت بدلاً من ذلك لديهم مشاعر التطلع إلى الوعود التي تكفل الله لهم بها.

أمرهم الله عزَّ وجلَّ أن يصطبغوا بذل العبودية لله عزَّ وجلَّ؛ شعوراً وتبتلاً وأخلاقاً وسلوكاً، فشردوا عن واجبهم هذا بأحلام السعي إلى إقامة الحكم الإسلامي!..

وأمرهم الله عزَّ وجلَّ أن يعرفوا الناس على الله وأن يبلغوهم كلماته وأحكامه، وناشدهم ذلك رسول الله (ﷺ) قائلاً : (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ) (١).

فتشاغلوا عن واجبهم هذا بهموم الوصول إلى الحكم، ومناوأة من يصدُّهم عن ذلك.

والخلاصة: أنهم قصروا كل التقصير فيما طلبه الله منهم، واجتهدوا كل الاجتهاد فيما ضمنه الله لهم!.. فصدق عليهم قول ابن عطاء الله السكندري: اجتهادك فيما ضُمِن لك، وتقصيرك فيما طُلِب منك، دليل على انطماس البصيرة منك (٢).

هما كلمتان، خاطب الله بهما عباده المسلمين من خلال قرآنه: حققوا في أنفسكم أهلية الحكم في الأرض عبودية وإخلاصاً لله، وتزكية نفسية ومن ثم أخلاقاً زكية مع عباد الله، أصعدْ بكم إلى سدَّة القيادة في الأرض، وأضع بين يديكم مقاليد الحكم من حيث لا تحتسبون.

---

(١) صحيح البخاري» كتاب أحاديث الأنبياء» باب ما ذكر عن بني إسرائيل(٣٢٧٤).

(٢) الحكم لابن عطاء الله السكندري.

وقد رأينا كيف وعى أصحاب رسول الله هاتين الكلمتين، فعكفوا على الواجب الذي ألزمهم به الله عبودية وإخلاصاً وتزكية وأخلاقاً.. وما هو إلا أن ورثهما الله مقاليد الحكم، من حيث لا يحتسبون.. أجل من حيث لا يحتسبون!..

ثم خلف من بعدهم خلف، تجملوا من حيث الألفاظ والشعارات، بما يرقى بهم إلى مصاف صحابة رسول الله ﷺ، وتنكبوا من حيث العمل والسلوك عن هذا النهج الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، ثم جعلوا كل همهم بدلاً عن ذلك في طرق أبواب الحكم، بكل ما تطول إليه أيديهم من الوسائل التكتيكية والاسباب المتنوعة.

أين هي ليالي التبتل بين يدي الله ؟ .

وأين هي مجالس: " تَعَالَوا نُؤْمِنْ بِرَبِّنَا سَاعَةً " ؟.

وأين هي معارج التزكية بالنفس؟: إلى حيث الإيثار بدلاً من الأثرة، والحب بدلاً من الحقد، والتضحية بالحظوظ بدلاً من التضحية بالخصوم؟ وأين هي حِلَق الذكر التي كانت تزدان بأصحاب رسول الله ﷺ فتورثهم الأفئدة الرقيقة والعيون الدامعة؟

أين هي مجالس التبليغ عن الله والتعريف بألوهية الله وعظيم سلطانه ؟ .

أين هو البحث عن التائهين والشاردين والضالين؟ وما أكثرهم في كل فجٍّ وصوب، للحوار معهم و الإجابة عن مشكلاتهم وتذويب شبهاتهم والصبر في سبيل ذلك على أذاهم؟

أين هو السلاح الأول في حياة المسلم الرباني القائم على حدود الله وأوامره؟ وهل هو إلا صدق التوكل على الله والثقة بالله والرضا عن الله، ثم الاصطباغ في التعامل مع الناس بأخلاق رسول الله (ﷺ) الذي قال فيما صحَّ عنه: " إِنَّكُمْ لا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ" (١). إنني أنظر.. وينظر الناس جميعاً معي، فلا نر ى إلا انصرافاً عن هذا كله.

آلاف التائهين والشاردين، تتصيدهم كل يوم شباك الشهوات والأهواء، أو تتربص بهم جهود الدعاة إلى النار، وقد تسلحوا بما كان أولى بالإسلاميين أن يتسلحوا به، من حسن المعشر ـ وخفض النجاح ولين الجانب، والصبر على مشاق الرحلة، ومخاوف الصدِّ والردِّ.. ولسان حال هؤلاء التائهين والجاهلين يصرخ قائلاً: ألا من منقذٍ يخلصنا من رقِّ أهوائنا التي تحكمت بنا، أو من هؤلاء الماكرين المبشرين الذين يحيطون بنا؟

---

(١) أخرجه البزار في (مسنده) (١٧ / ٩٩ / ٩٦٥١).

أين هم ورَّاث شريعة الله و رجال الدعوة إلى الله، ينتشلوننا من عذاب نفوسنا ومن كيد المتربصين بنا ؟

غير أن لسان حال الإسلاميين والجماعات الإسلامية يردُّ قائلاً: نحن في شغل شاغل عن هذا الذي تدعوننا إليه وتستنجدون بنا من أجله؛ إننا مشغولون عنكم باتخاذ أسباب الوصول إلى الحكم ولسوف ننعطف إليكم من فوق كراسي الحكم، لنقودكم إلى الحق عندئذٍ كرهاً، بدلاً من أن نحاوركم وندعوكم إليه عن طواعية ورضا! أجل.. هذا ما يقوله اليوم لسان حال هؤلاء الإسلاميين.

بل هذا ما يقوله كثير منهم بألسنتهم عندما يأتي من يذكرهم بتنكبهم عن الطريق، وهذا ما قاله لي كثير منهم في كثير من المناسبات.

ولكن، ألا ترى، يا قارئي الكريم، أن هذا الاعتذار الذي يأتي بلسان الحال أو بلسان المقال، إنما هو في الحقيقة تطاول إلى تصحيح النهج الذي قضى وأمر به الله؟ إن المضمون الذي يختفي وراء هذا الاعتذار، ليس إلا قراراً تصحيحياً لما أمر الله به عباده ولما تعهد لهم به، ثم للسلوك التطبيقي الذي لبى من خلاله الصحابة أمر الله، وللعهد الذي أنجزه الله لهم لقاء ذلك، وإن هذا القرار التصحيحي لينطق قائلاً: خير من سلوك هذا الطريق الطويل إلى نشر دين الله في الأرض وبسط سلطانه على النفوس والبلاد،

عن طريق دعوة الناس ومحاورتهم فرداً فرداً، أن نقفز إلى كراسي الحكم فنتبوأها، فنفرض سلطان الإسلام على الناس من هناك شرعة ومنهاجاً.

والحكم الذي سيحققه الله لنا، باتباع هذا المنهج الطويل، من حيث لا نحتسب، بوسعنا أن نناله الآن، بسلوك الأسباب والوسائل التي يسلكها غيرنا، من حيث ندري ونحتسب!..

هذه هي مأساة العمل الإسلامي الذي تحول إلى جهد خائب وسعي ضائع، وأخفى عن كثير من الأذهان الحقيقة العلوية المشرقة للإسلام، ثم أبرز له صورة زائفة أخرى ما هو منها في شيء تبعث على الاستحياش والنفور منه، بل وربما بعثت على الارتياب في مصدره وحقيقته.

غير أنا لا بدَّ أن نستثني قلة من المسلمين الإسلاميين يسلكون سيرة رسول الله (ﷺ) وأصحابه في سكينة وهدوء، يبلغون عن الله كما كانوا يبلغون، ويلقون بالدعوة إليه فلول التائهين والشارين والفاسقين في حوار ليِّن مشفق كما كانوا يفعلون، وقد تركوا النتائج التي تكفل لهم بها الله لمشيئته وحكمته.. وإني لأعدُّ أهل التبليغ والدعوة أول السالكين في هذا الطريق وخير القائمين بهذا الواجب، ولكنهم من القلة بحيث لا يسدُّون مسدّاً، وربما كانوا بحاجة إلى دعامة من العلم والعلماء يكونون رفداً لهم في

سلوكهم، وسلاحاً إضافياً أمام الشبهات وعكر الفلسفات الجانحة التي تواجههم.(١).

❁وكتب الشيخ صدر الدين عامر الأنصاري [في رسالته التعريف بالدعوة والتبليغ] معرفا عمل الدعوة: لم أُرِدْ في هذا السطور أن أُحلّل هذه الدعوة تحليلاً فلسفيًا، كما لم أرد التأليف في حياة مؤسّسها، ولكنه بمنزلة بطاقة الدعوة إلى المأدبة التي أقامها سيّد المرسلين (ﷺ) منذ أربعة عشر قرنًا ، وجدّد الدعوة إليها من بين من جَدَّد ، الشيخ الداعية محمد إلياس الكاندهلوى رحمه الله تعالى مستنبطا من التعليمات الإلهية ، ومضت نحو تسعة عشر عامًا إلى أن توفّي الشيخ(رحمه الله تعالى) ، وقام بالعمل بعده نجله الوحيد الداعية الكبير الشيخ محمد يوسف (رحمه الله) ، فاحتمل أعباء الدعوة ووفّقه الله تعالى إلى تأدية هذا الواجب حقّ أدائه ، فكان بجانب أشغاله الأدبيّة منهمكًا ليل نهار في الدعوة ، وأعانه الله تعالى فلم ينحصر صوته في مدينة أو بلد وإنما يلبّي الملبّون نداءه ، ويخرجون لا من بلد إلى بلد فحسب، بل من قارة إلى قارات ، ولكن لا بقاء إلا لوجه الله تعالى ، فتوفّي إلى رحمة الله عام ١٩٦٥م ، فكان أمر الله تعالى قدرًا مقدورًا ، وقام بالدعوة بعده الشيخ الفاضل محمد إنعام الحسن رحمه الله تعالى وقد

---

(١) هذه مشكلاتنا _العلامة د. محمد سعيد البوطي .

أجاد القيام بواجبه .

أرى من اللازم في هذه الفرصة أن أصرّح بأن هذه الدعوة بينما لا تمنع المسلّمين من الاشتغال بأمورهم المباحة التي تُكْسِبُهم المعاش وتؤهلهم لخدمة الإنسانية وبينما لا تمنع المؤلّفين من الكتابة في مواضيعهم المحببّة لم يختر الشيخ محمد إلياس رحمه الله تعالى استخدام الكتب والمؤلفات وطبع النشرات وإلقاء المحاضرات بطرقها الرائجة لدعاية هذا الجهد وتجنب دائما استعمال وسائل الدعاية الرائجة .

بل كان يؤكد أن يقوم الجهد كله على العمل وأن ينشر بالتمرين والتدريب بدون استخدام الوسائل الحاضرة للنشر والإذاعة .

كان الشيخ يرى أن المقصود من الدعوة هو تأثر القلب بحيث تظهر آثار هذا التأثر في حياته العملية، فتجري طبقا للسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، ورأى أن هذا المقصود لا يحصل إلا بالتمرن العملي، فإن الكتب والمحاضرات مع أنها تؤثر في فكر الإنسان بحيث تجعله يُثني على المؤلف، ولكن قلّما تُحْدِث تأثيرًا وتغييرًا في سلوك الفرد وأعماله .

كان الشيخ محمد إلياس _ رحمه الله _ يرى أن المؤلف يكتب الكتاب جالسا ولكن القارئ يقرؤه مستريحا مضطجعا ولا يعدو الأمر أن يتلذذ بالقراءة ويُثني على المؤلف ثم ينسى كل شيء عندما يدخل حياته اليومية ،

بدون أن يطرأ أي تغيير على سلوكه وعمله ، ألا نرى أناسا ألفوا وقرأوا كتبًا كثيرة في المواضيع الدينية والخلقية ولكن لم يظهر في حياتهم العملية أثرٌ ما ممّا ألّفوا أو قرئوا ، وأما إذا تدرب الإنسان تدريبًا عمليًا واهتم بصرف أوقاته طبقًا للسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم فإن قلبه يتأثر بحيث تتجلّى آثار هذا التأثر في حياته وسلوكه ، وإذا واظب العبد على هذا التدريب العملي صبغت حياته في قالب الشريعة.

قال الشيخ: المنهاج العمومي للتعليم والتربية الذي نتوخّى ترويجه بهذا الجهد ، هو نفس المنهاج الذي كان متداولاً رائجًا في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ، إذ لم تكن لديهم كتب ولا نشرات ولا مدارس بمعناها الحاضر ، بل كان تعليم الدين يجري على هذا المنهاج ، وأما الطرق التي ابتكرت فيما بعد لهذا الغرض فهي التي أنشأتها الضرورة الحادثة ، ولكن الناس نسوا المنهاج الأصلي الذي راج في عصره عليه الصلاة والسلام وأحلّوا محلّه الطرق المبتكرة وأخذوا يرونها أصلاً ، مع أن الحق أن التعليم والتربية على نطاق عام لا يمكن تحقيقه إلا بتلك الطريقة الأصلية .

وقال مرّة: إنّ الأهداف التي علمنا النبيّ الكريم (ﷺ) وصحابته الكرام رضي الله عنهم تحقيقها بالمخاطرة وبتضحية الأنفس تريدون أن تدركوا تلك الغايات عن طريق الكتب فقط ! ويؤيد التاريخ هذه الفكرة فإنّ

الصحابة الكرام رضي الله عنهم لم تكن لديهم كتب ولا نشرات ، حتى القرآن الكريم كله لم ينزل في بداية العهد ، بل كانوا يتلقون من معلم الكتاب والحكمة رسول الله (ﷺ) دروسًا عملية يُدرّبون أنفسهم على تنفيذها، ولم يُؤتوا القرآن الكريم إلا بقدر تدرّبهم فتشرّفوا بالحصول عليه شيئا فشيئاً في مدة ٢٣ سنة .

وما أحسن ما روي عن جندب بن عبد الله حين قال لشباب عصره : (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا) (١).

وبناءً على ذلك كلّه لم يختر الشيخ (رحمه الله) أبدًا استخدام وسائل الدعاية لترويج هذا الجهد بل قام بنفسه ودعا الآخرين إلى الجهد العملي والتدريب العملي ، وكلّ ما ترى في هذه الآونة من تجاوب لدعوته هو نتيجة لجهده العملي بدون الالتجاء إلى وسائل الدعاية .

وتمسّك بهذا المبدأ نجله المغفور له الشيخ محمد يوسف رحمه الله تعالى الذي مع غزارة علمه لم يَحِدْ عنه قيد شبر ، وكذلك تمسّك به المشرف العالي الشيخ إنعام الحسن رحمه الله تعالى ، الذي بالرغم من سعة علمه وتفقهه في الدين لا يشجع على تأليف الكتب عن هذه الدعوة .

---

(١) سنن ابن ماجه» كتاب المقدمة» باب في الإيمان(٦١).

ومن أجل هذا لم يطبع أي كتاب لهذه الدعوة بالقائمين بها، وكلّ ما أُلّف فيها أو عنها فهي آراء للكتاب والمؤلفين أنفسهم، ولا تعتبر صوتًا لهذه الدعوة بتاتًا، وهذه الكتب حيناً تنجح وحيناً تفشل في إيضاح الدعوة.

إنّنا نعرف معرفة لا تشوبها أيّة ريبةٌ أنّ الأمة الإسلامية منذ أن أُخرجت إلى هذا العالم ما زالت في ازدياد مستمر من ناحية العدد ، فلم تَعُد الآن تنحصر في مدينة أو بلد أو قارة ، بل لا نكاد نجد قطرًا من أقطار العالم أو ناحية من نواحيه إلاّ ونجد فيها أفرادًا قليلين أو كثيرين من هذه الأمة الحنيفية، وكلهم يعتزون بإيمانهم ويفتخرون بانتمائهم إلى الدين الحنيف فنحن في هذه الأيام ملايين نعيش في البلدان القرة والحارة، ونطأ الصحارى القاحلة والجبال الشامخة، ولكنها يا للأسف ، بالرغم من كثرة العدد وسعة الأرض نعاني من ضروب المحن والبلاء فالرقاب ذليلة والرؤوس خافقة والنفوس ضارعة والحمية فاترة وأصبح أبناء الأمة يرضون بخطة الخسف وأخذوا يستنامون إلى المنزلة الدنيئة ، وكبُر الفرق بينهم وبين أسلافهم المكافحين المجاهدين الذين كانوا ذوي إباء وأنفة وعزة وغيره، والأخلاف على عكسهم في حالة من التناحر والهبوط ممّا يُنذر بخطر جسيم .

ولم تعد الأمة من حيث المجموع تتمتع بمكانتها السامية الحقيقية لا روحًا ولا مادة، وحُرِمت من المعاني السامية والفضائل الخُلُقية التي امتازت بها في غابرها، ومال بها الشيطان عن سبيل الله، وبَعُد بها عن اتباع أوامره

فصارت حياتها جحيمًا، بعد أن كانت نعيمًا، وصار عيشها عذابًا بعد أن كان هنيئًا رغيدًا.

وظهر الفساد في البرّ والبحرّ مع وجود آلاف من العلماء والزهاد ، وشاعت المنكرات وسادت الكبائر مع وجود ملايين المدارس والمساجد، ولم يتبق من العبادات إلاّ ما شاء الله ، وما تبقّى منها أصبحت فارغةً جوفاءَ لا روح فيها ، فلا القلوب تخشع لذكر الله، ولم تعد الصلوات تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأصبحت الأمة في غاية الاحتياج إلى أن يعتني بها المُعتنون ويسمو بها السامون، ولكن كيف السبيل إلى توجيهها وتسديدها وتذكيرها ؟

ومع أننا نُقِرُّ ونعترف بأنّ الداء الحقيقي ليس إلا الابتعاد عن الدين القويم والاعوجاج عن الطريق المستقيم، فإنّ المدارك تعجز عن العثور على طريق ناجح يمكّن الأمة من التمسّك بالدين، ويخلّصها من براثن الشيطان، ويحضّها على الاعتصام بحبل الله المتين.

والدين دستورٌ جامع للحياة ، ليس من السهل ترويجُه مرة واحدة ، ولا سيّما عندما تجلس القوى الطاغية دائمًا بالمرصاد تهرع إلى تقويض كلّ دعامة تضعها لهذا الغرض، فهذه معضلة تبهر عقول الفلاسفة ، وتُرْبك أفهام

العلماء والزعماء ، فإنّهم مع علمهم بالداء الحقيقي لا يتمكّنون من إبادة الجرثومة الحقيقية التي تنهك القوى وتقضي على الروح .

وكلّ من يوفقه الله يتقدم ويشرح الأمر طبقًا لبصيرته ويصف له وصفة ينفع الله به من شاء وما شاء، ولا ننكر أهمية هذه الوصفات والتدابير إلا أننا لا نملك إلا أن نعترف بظاهرة واضحة: هي أن الجهود المبذولة في هذا السبيل المقدس خلال الأحقاب الماضية كانت محدودة المدى والنفع أكثر من كونها عالمية مستوعبة لجميع الأمة صغيرها وكبيرها على اختلاف طبقاتها .

وظهر في الهند شخصية جعلت حالة الأمة الإسلامية موضوع تفكيره، وجاهدت في تعيين المرض الحقيقي، وجاهدت جهادًا طويلاً حتى هداها الله، ووصفت له الدواء.

وُلد الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) في عائلة دينية، وترعرع في بيئة دينية، والتحق بالمعاهد الدينية، وتخرّج في العلوم الدينية المتداولة ، فقرأ من علوم التفسير والحديث والفقه ما قُدّر له ، ثمّ التفت إلى العلماء والزهاد والشيوخ ممن يُشهد بتقواهم واشتغل بالوعظ والإرشاد، وشرح للطلبة غوامض القرآن والحديث، على أنّه أحسّ بأن الأمة الإسلامية لا تكاد تتأثر بهذه المواعظ والخطب، ولا تكاد العلوم القرآنية والنبوية تعدو جدران معهدها

ومراكزها، ولم يعد أفراد الأمة الإسلامية يُعمّرون المساجد، ولم تعد القلوب تتذوق حلاوة ذكر الله ولا تطمئن به، ولم يبق للقرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه، فتفكّك رباطها وانحلّ عقدها وأصبح أفراد من الأمة نفسها يتخذون من آيات الله هزوًا ، وانقسمت الأمة إلى طوائف شتى ولا يكاد أحد يبالي بالعلوم الدينية فإن قُدّر لأحد أن يَرْغَبَ في تعلّم الدين فلا يَجِدْ من يُعلّمه، وإذا أحسّ عالم بالمرحمة نحو المُنهمكين في ملذات الدنيا وحرص على تعليمهم لا يجد من يسمعه .

وكانت النتيجة أن انعزل العلماء عن الأمّة العامة كلّ الانعزال ، وشاعت الفتن حتى تسرّبتْ إلى المراكز الدينية، ولم يبق من المسلّمين مجالٌ للبِرّ والمرحمة، واتخذ كل منهم سبيله لا يَرحم ولا يُرحم ، ومال إلى الانهيار البنيانُ الذي كان يَشدّ بعضه بعضًا، فَفكّر تفكيرًا عميقًا وأعمل كفاءته لتحقيق العوامل التي أفقدت الأمّة روحها الحقيقية عسى أن يوفقه الله تعالى إلى تأدية خدمة ما، فهداه إلى أن الجرثومة الأصليّة هي غفلتها عن متاعها الرئيسي وإهمالها الحجر الأساسيّ لبنائها ، ألا وهو : الإيمان بالله تعالى وبما جاء به رسوله الكريم ، فلم يعد الأفراد يدركون قيمة هذا الكنز الثمين، وأصبحت القلوب على وجه العموم تميل إلى المزخرفات والأباطيل، دون أيّ انتباه إلى ما يصير إليه الأمر، فوجدتِ التيّارات الفتّاكة

سبيل التسرّب إليها ، واغتنمت المبادئ الهدّامة فرصة التغلّب عليها .

وإنّ الحقيقة الثابتة أنّ قومًا إذا فقدوا الإيمان بالله تعالى وحُرِموا العقيدة الصحيحة في الله تعالى انفرط أمرهم وتفكّكت روابطهم ، فإذا بهم يقولون ما شاءوا وليس لهم رقيب يُخشى إذا أذنبوا، ولا ضمير لهم يحاسبهم إذا اعوجّوا ، ولا يحكّمون كتاب الله وسنة رسوله فيما بينهم وفي نفوسهم ونياتهم وعقائدهم ، فانعدمت الثقة ، وحلّ التدابر محلّ التراحم ، والفردية مكان الاجتماع .

وأمّا الفئة القليلة التي تتمتع بهذا الشعور _ أي العلماء _ فانعزلوا عن الأمة ، ممّا أدى إلى إهمال الأخوة الإسلامية وتشتّت الكلمة .

ومن هنا رأى _ غفر الله له _ أن السبيل الوحيد إلى إحياء الدين هو تذكير الأمة بمكانة كنزها الأصلي تذكيرًا يَحُضّها على التمسّك بجميع الدين، وذلك مع الجمع بين شتى الطوائف ، مع مراعاة الأخوة الصادقة ، ولمّا اطمأن _ غفر الله له _ إلى الفكرة ، حدّد للعمل مرسومًا وقام بإذن الله يدعو الأمة إلى تنفيذه ، وحالفه النجاح بفضل الله تعالى(١).

فأهل الدعوة والتبليغ هم قوم من أمة الحبيب محمد (ﷺ) حملوا همه وفكره وتحركوا في مشارق الأرض ومغاربها يبلغون دين الله عز وجل.

ما أجمل جولاتهم! وما أجمل زيارتهم وهم يتكلمون عن عظمة الله عز وجل!! .

---

(١) من رسالة التعريف بالدعوة والتبليغ _ لصدر الدين عامر الأنصاري.

فما يتحركون به وهو الدعوة إلى الله خير مدافع عنهم، والتي حملوا مسئوليتها أمام ربهم وبذلوا في سبيلها النفس والمال بأيد سخية وضحوا بأوقاتهم مع الحاجة إليها في دنياهم ولكن بذلوها راضين.

وهم الذين أحيوا هذه فريضة الدعوة التي كادت أن تموت في أمة النبي صلى الله عليه وسلم .

دعوتهم فيها التعاون مع الآخرين: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(١)، نحبهم ونضع أيدينا في أيديهم طالما ليس في عقيدتهم شائبة نتعاون معهم على قدر النور الذى يحملونه نتكامل ولا نتفاضل، نتساند ولا نتعاند، نتضافر ولا نتنافر، مع التصحيح المستمر بنية النصيحة لا الفضيحة .

تصحيحا لا تجريحا لأنهم أبناء الإسلام الذين لا شرك عندهم ولا بدعة فيهم، وهم أفضل بكثير من المسلمين المستهترين بالدين المستهزئين بأهله .

حركتهم المخلصة جذبت انتباه الأمة إلى ضرورة الرجوع بالدعوة إلى منهج النبي ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم فليس لنا في مجال الدعوة والصبر عليها سلف سواهم، أما سلفنا في علوم العقيدة والأحكام والفتوى فهم

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢.

طابور طويل من الأئمة الثقات الذين قاوموا البدع الشركية والفرق الضالة، أما في مجال الدعوة والجهد فلا نقتدى إلا بالصحابة ونبيهم ومعلمهم محمد ﷺ، ولا ننشغل أبدا عن القرون الفاضلة الثلاثة الأولى بالقرون التي تليها القرن الخامس والسابع وغيرها نحترم كل العلماء ونأخذ عنهم وخاصة الثقات منهم ونحبهم ولكن نضعهم في رتبة أقل من الصحابة عند الدعوة والبذل لله وتصبح قدوتنا التي لا تتغير فقط في جميع الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ وصحابته الكرام .

وأثر أقدامهم انتشر في بقاع الأرض كلها لا تخفى على كل منصف يهتم بأمر الدعوة إلى الله.

ودعوتهم لا تحتاج إلى الأقلام لتتكلم عنها، ولكن يكفيهم أن الله تكلم عنهم، فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (١).

اللمز الذى وصل إلى حد سوء الأدب بل تعداها إلى الكذب والافتراء في محاولة لتضليل السائرين فى هذا المنهج العظيم ليصدوهم عن هذا الجهد المبارك ثم يتركوهم فى نفق الحياة وزينتها ومشاغلها فلا يهتدون إلى حق عندهم ولا هم تركوهم فى الحق الذى كانوا عليه، والنهاية وضع العراقيل أمام الدعاة الى الله من أهل { الدعوة والتبليغ } لاهم تركوهم يدعون

---

(١) سورة فصلت – الآية ٣٣ .

الناس إلى ربهم، ولا هم سدوا الفراغ، فأخذوا بأيدي الناس إلى الهداية، فتسببوا بجهلهم وقلة فهمهم إلى وقف الدعوة في المساجد والتشويش على عقول الناس خارج المساجد الذين اغتروا بأقلامهم التي تنكر ما ليس منكر، وتلبس الصدق ثوب الزور، وتطغى أقلام وتبغى بغير حق ولا علم ولا هدى ولا كتاب منير .

أهل الدعوة والتبليغ: الله تعالى جعلهم سببا في كثير من الناس يدخلون في الإسلام على أيديهم، فهم يغزون الصحاري والقفار.. يخرجون إلى الطرقات والمنازل والمقاهي والملاهي والنوادي.. وإلى الحانات والبارات.. يقتحمون الخلوات ويجوبون الفلوات.. فيأتون بالناس من هذه الأماكن، إلى بيوت الله فيقبلون على الله عز وجل.

ينفقون من أموالهم لنشر دينهم .. يسكتون عمن خالفهم ولا يردون علي من وقع فيهم ، ولا ينشغلون بالذي حواليهم (١) وينشغلون بالذي عليهم.. اتباعا لهدي نبيهم، فيما رواه ابن مسعود ﷺ : أن رَسُول الله ﷺ ، قَالَ : " إِنَّهَا سَتَكونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا ! " قَالُوا : يَا رَسُول الله ، فَمَا تَأْمُرُنا ؟ قَالَ : " تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ ، وَتَسأَلُونَ الله الَّذِي لَكُمْ(٢)

---

(١) لا سياسة ولا أمراض أمة، ولا اختلافات فقهية ، ولا جماعات.

(٢) أي أنه يستولي على المسلمين ولاة يستأثرون بأموال المسلمين يصرفونها كما شاءوا ويمنعون المسلمين حقهم فيها . والواجب على المسلمين في ذلك السمع

" مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

مطلوبهم الله عز وجل آناء الليل وآناء النهار، به يستغيثون وعليه يتوكلون، وإياه يقصدون ويرغبون .

يعظمون الله في قلوب الناس، ويبينون لهم نعمه عليهم، كما قال الله لداود في الحديث الذي أخرجه الديلمي في الفردوس(٤٥٤٣) بلا سند، وأسنده البيهقي في الشعب: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: " إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِيهِ يخاطبُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكِ؟ أُحِبُّهُ بِحُبِّكَ، قَالَ: يَا دَاوُدُ، أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ نَقِيُّ الْقَلْبِ، نَقِيُّ الْكَفَّيْنِ، لَا يَأْتِي إِلَى أَحَدٍ سُوءًا، وَلَا يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا يَزُولُ، وَأَحَبَّنِي وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّنِي، وَحَبِّبْنِي إِلَى عِبَادِي، قَالَ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّكَ، فَكَيْفَ أُحَبِّبُكَ إِلَى عِبَادِكَ؟ قَالَ: ذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِي وبِآلَائِي وَنَعْمَائِي، يَا دَاوُدُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يُعِينُ مَظْلُومًا أَوْ يَمْشِي مَعَهُ فِي مَظْلَمَتِهِ إِلَّا أَثْبَتَّ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ."

فكم من شارد صار عابدا على أيديهم ؟.. وكم من بعيد صار قريبا ؟.

وكم ممن لا يعرف له ربا ولا صلاة ولا صياما ولا زكاة ، أصبح من كبار الدعاة معهم، ومن كبار المبتهلين لله عز وجل وحده ...؟.

والطاعة وعدم الإثارة وعدم التشويش عليهم واسألوا الحق الذي لكم من الله. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/١٢٧.

يحيون ليلهم في التبتل بين يدى الله ﷻ .. ويحيون مجالس:[تَعَالَوا نُؤْمِنْ بِرَبِّنَا سَاعَةً] ويسمون إلى معارج التزكية بالنفس إلى حيث الإيثار بدلاً من الأثرة، والحب بدلاً من الحقد، والتضحية بالحظوظ بدلاً من التضحية بالخصوم.

ويحيون مجالس الذكر التي كانت تزدان بأصحاب رسول الله ﷺ فتورثهم الأفئدة الرقيقة والعيون الدامعة .

ويحيون مجالس التبليغ عن الله ﷻ .. والتعريف بألوهية الله وعظيم سلطانه .. يبحثون عن التائهين والشاردين والضالين، وما أكثرهم في كل فجٍ وصوب، للحوار معهم والإجابة عن مشكلاتهم وتذويب شبهاتهم والصبر في سبيل ذلك على آذاهم .

سلاحهم صدق التوكل على الله والثقة بالله والرضا عن الله، ثم الاصطباغ في التعامل مع الناس بأخلاق رسول الله (ﷺ) الذى قال : " إِنَّكُمْ لا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ "(١) .

وبجميل الحكمة تنطق شفاههم.. وبروعة الأسلوب تزان مجالسهم.. غيروا مجرى حياة الأمة.. بروعة الأخلاق.. وبرقي التعامل ..نذروا نفوسهم لخدمة الدين.. فأثمرت جهودهم على كل الميادين.. يسيرون بعصمة الله وحفظه.. لن يضرهم من خالفهم أو خذلهم.. في سبيل الله ماضون.. وبنشر الخير

(١) رواه الحاكم فى المستدرك – كتاب العلم – ١/١٢٤ .

قائمون.. ولوجه الله عاملون.. لا لغيره يعملون..لا يريدون جـزاءًا او شـكورا من العبيد.. يريدون رضا من خلق العبيد.

♦ فيهم جاء: قول رَسُولُ اللهِّ (ﷺ):" لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِّ وَهُمْ كَذَلِكَ وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ قُتَيْبَةَ وَهُمْ كَذَلِكَ "(١).

♦ هم الغرباء: أليس كذلك ؟.

١. فعَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ حَنْطَبٍ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِّ، وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ:" الَّذِينَ يَزِيدُونَ إِذَا نَقَصَ النَّاسُ ". رواه الْإِمَامُ أَحْمَدْ (٢).

٢. وعَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ): إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِّ ؟ قَالَ: النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ (١)(٢).

---

(١) صحيح مسلم » كتاب الإمارة» بَاب قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ(١٩٢٠).

(٢) ومعناه: الَّذِينَ يَنْقُصُونَ إِذَا زَادَ النَّاسُ فَمَعْنَاهُ: الَّذِينَ يَزِيدُونَ خَيْرًا وَإِيمَانًا وَتُقًى إِذَا نَقَصَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ ، فالدعوة إلى الله تُزيد الخير في قلوبهم.. فكان الأنبياء عليهم السلام بسبب دعوتهم دائما في زيادة الإيمان.

٣. وعن عَبْدِ اللهِّ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عِنْدَهُ:" طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ "، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِّ ؟ قَالَ: " نَاسٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي نَاسٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ "(٣)(٤).

٤. وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَنَّةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ (ﷺ) يَقُولُ :" بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، ثُمَّ يَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى للغُرَبَاءِ " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِّ ! وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ:" الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لينحازن الإِيمَانُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا يَحُوزُ السَّيْلُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَأْرِزَنَّ الإِسْلامُ إِلَى مَا بَيْنَ هذين الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا "(٥).

٥. وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَنَّةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِّ (ﷺ)، يَقُولُ : " إِنَّ الإِسْلامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ؛ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ "، فَقِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِّ ؟ قَالَ: " الَّذِينَ يُصْلِحُونَ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ" (٦).

---

(١) سنن ابن ماجة_ رقم الحديث: ٣٩٨٦،سنن الدارمي_ رقم الحديث:(٢٦٧١)، مسند الإمام أحمد (٣٦٥٣)،مسند ابن أبي شيبة (٢٦٠)، مسند البزار(١٨٤٨)،مسند أبو يعلى الموصلي(٤٩٠٦)

(٢) ولو نظرت في الجماعات الخارجة لمدد طويلة تجدهم كل واحد من قبيلة.

٣) رواه أحمد.

٤) والأمر واضح وضوح الشمس في رابعة النهار.

٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وعبد الله بن أحمد في المسند.

٦) البدع لابن وضاح _ رقم الحديث (١٧٠).

٦.وَفِي رواية: بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِّ؟ قَالَ:" الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا النَّاسَ " (١)، لله درهم! كم من سُنة في الناس أحيوها!.

وفي رواية :" الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا عِبَادَ اللهِّ "(٢).

٧.وعَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ): قَالَ: إِنَّ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَى اللهِّ الْغُرَبَاءُ، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: الْفَرَّارُونَ بِدِينِهِمْ، يَجْتَمِعُونَ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٣).

أوليس الخروج في سبيل الله فرار من البيئات الفاسدة بعيدًا عن المألوفات والشهوات والمحبوبات والمرغوبات؟

❁ **إذا رأيتهم تذكرت صاحب يسن:** (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَّفِي

---

١) خرجه الأجري غيره وعنده: « قال: الذين يفرون بدينهم من الفتن» (كشف الكربة في وصف أهل الغربة لابن رجب الحنبلي).

٢) مسند الشهاب، رقم الحديث ١٠٥٢.

٣) سنن ابن ماجة_ رقم الحديث: ٣٩٨٦، سنن الدارمي _ رقم الحديث:(٢٦٧١)، مسند الإمام أحمد (٣٦٥٣)، مسند ابن أبي شيبة (٢٦٠)، مسند البزار(١٨٤٨)، مسند أبو يعلى الموصلي(٤٩٠٦)

ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) (١).

وإذا رأيتهم تذكرت مؤمن آل فرعون: (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ* مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ* فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) (٢).

ويحملون عاطفة الشفقة التي كانت عند الأنبياء:

---

(١) سورة يس _ الآيات من ٢٠ :٢٧.

(٢) سورة غافر _ الآيات من ٣٨: ٤٥.

١ - شفقة نوح (عليه السلام):(إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ) (١)، وتأمل هنا قوله " أَلَا تَتَّقُونَ " ترى فيها الرفق والرحمة والشفقة مع أنهم كفار.

٢ ـ **شفقة إبراهيم** (عليه السلام) :(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا) (٢).

انظر لقول إبراهيم (يَا أَبَتِ) وتكراره كم يحمل الشفقة والرحمة .

وهكذا كل الأنبياء ومن سار على ضربهم.

٣ ـ **شفقة الوالدين على ابنهما منكر البعث:** (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) (٣).

---

(١) سورة الشعراء ـ الآية ١٠٦.

(٢) سورة الشعراء ـ الآيات من ٤٢ :٤٦.

(٣) سورة الأحقاف ـ الآية ١٧ .

٤ شفقة مَعْرُوفٌ الْكَرْخِيُّ: فعن إِبْرَاهِيمُ بْنُ الأطروشِ، قَالَ: كَانَ مَعْرُوفٌ الْكَرْخِيُّ عَلَى الدَّجْلَةِ وَنَحْنُ مَعَهُ إِذْ مَرَّ بِهَا أَقْوَامٌ أَحْدَاثٌ فِي زورقٍ يُغَنُّونَ وَيَضْرِبُونَ بِالدُّفِّ، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا مَحْفُوظٍ، أَمَا تَرَى هَؤُلاءِ فِي هَذَا الْبَحْرِ يَعْصُونَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ، ادْعُ اللهَّ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: " إِلَهِي وَسَيِّدِي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُفَرِّحَهُمْ فِي الآخِرَةِ ، كَمَا فَرَّحْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا ". فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: " إِنَّا سَأَلْنَاكَ أَنْ تَدْعُوَ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ نَسْأَلْكَ أَنْ تَدْعُوَ لَهُمْ، قَالَ: إِذَا فَرَّحَهُمْ فِي الآخِرَةِ تَابَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَمْ يَضُرَّكُمْ شَيْءٌ "(١).

ﻩ ويحملون بين جوانحهم عاطفة النملة: (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (٢).

فيقولون للناس ادخلوا مساجدكم حتى لا يحطمنكم الشيطان وجنوده.

فالله سبحانه وتعالي ذكر سورة في القرآن باسم النمل.. وما ذكر سورة باسم الأسد.. لأن الأسد همه علي بطنه.. أما النملة همها علي قومها.. لو قلت : (نملة) بنية القرءان تأخذ أربعين حسنة.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي» الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ » فَصْلٌ فِيمَا وَرَدَ مِنَ الأَخْبَارِ فِي التَّشْدِيدِ ... رقم الحديث: ٦١٩٢.

(٢) سورة النمل _ الآية ١٨ .

خلد الله ذكر النملة في القرآن .. وأكرم قومها النمل بسببها.. لما حملت هم قومها ونصحتهم نصيحة عجيبة (ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ). والمقصود بالتحطيم هنا ؟!! هو تحطيم القلوب، إذا نظر النمل لملك سليمان وجنوده من الإنس والجن والطير .

ويذكروننا بالهدهد لما طلع الطلعة الاستطلاعية، حيث قال: (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) (١).

فالهدهد غار علي التوحيد وأنكر المنكر بقلبه.. ثم تحرك بجثته الضعيفة.. ليغير، وقدم بلاغ لولي الأمر (سيدنا سليمان) ليتخذ الاجراءات المناسبة.

الهدهد يقول لسيدنا سليمان(عليه السلام): أنا رأيت امرأة .. ملكة علي قومها في سبأ.. رأيتهم وهم يسجدون للشمس من دون الله، إلي أن صرخ وقال: (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) (٢).

الهدهد صرخ من شدة إنكار المنكر- ونحن نمر بالمنكر ولا ننكر - بل أحيانا نشارك فيه .

ترى من أي جامعة تخرج هذا الهدهد؟ وكم معه من شهادات؟.

---

(١) سورة النمل _ الآية ٢٥.
(٢) سورة النمل _ الآية ٢٥.

ففي الحقيقة هذا الجهد هو عمل الأميين، فعن سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ:" إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا يَعْنِي مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ وَمَرَّةً ثَلَاثِينَ " (١).

دعاة إلي الله عز وجل علي بصيرة مما يقولون فهم بحق أتباع النبي (ﷺ) .. لو كل مسلم قدم للدين مثلما يقدمون.. لتغير حال الأمة كثيرا .

هؤلاء ليس لهم اسم معين ولا جماعة معينة ولا حزب معين ولا تنظيم معين .

هؤلاء من جماعة المسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما علي المسلمين .

لم أرى أناس أقرب لهدي النبوة والقرن الأول أقرب منهم، وعندهم ما يسمى بخروج الأقدام تقريبا لما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم وزرع فكر التضحية والإنفاق للدين لا الانتفاع من الدعوة للدين .

هؤلاء الأحباب البسطاء: المتواضعون الأخفياء، يتركون أولادهم وأموالهم وأزواجهم وتجارتهم بالترتيب ويهاجرون إلى أنحاء العالم، و يتجولون في الأرض من أجل تبليغ دين الله عز وجل، ولنشر أوامر الله ونواهيه، وأخلاق وآداب وسنن نبينا وحبيبنا (ﷺ) المفقودة، لا لطلب المال، ولا لطب الملك، ولا لطلب المنصب، ولا لطلب العزة، ولا لطلب الشهرة، ولا لطلب الشهادة، ولا لطلب الجنسية ، يطرقون أبواب الناس من أجل الله ورسوله، ويؤدون الصلوات الخمس مع الجماعة في المساجد،

(١) صحيح البخاري» كتاب الصوم» بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ(١٨١٤).

ويتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، ويؤدون صلاة القيام في أواخر الليل، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسمعون من الناس السباب والشتائم والألفاظ السيئة ويصبرون على أذاهم .. قال الله تعالى:(يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (١).

التبليغ والدعوة مدرسة متحركة في جميع أنحاء العالم، فصولها المساجد ، الكل فيها طالب ، منهاجها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على فهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين، الدروس فيها عملية أكثر منها نظرية، يتمرن فيها الخارج علي الدين عمليا، بفعل الطاعات وترك المنهيات وإحياء السنن عمليا فيتفقه في الدين ويتمرن على الدعوة الى الله وتبليغ الدين عمليا { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رجعوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }(٢).

ومدة التمرن فيها: أربع شهور في العمر، أربعين يوما في السنة، وثلاثة أيام في كل شهر.. وهذا ليس تحديداً وإنما ترتيباً ولو زاد الخارج مدته لكان أحسن، ولو نقص فلا بأس والأجر على قدر المشقة.

---

(١) سورة لقمان _ الآية ١٧ .

(٢) سورة التوبة _ الآية ١٢٢ .

يتحملون الصعاب بلا مقصود دنيوي، ويجوبون الأرض، ويقطعون الأودية والسيول، والفيافي والصحاري، ويصعدون الجبال، وينزلون إلى السهول، مقصدهم واحد ، هو إعلاء كلمة الحق (لا إله إلا الله محمد رسول الله).. ولا ينتظرون الأجر من المخلوق، بل يلتمسون الأجر من الله: { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ }(١).

لم يرهب الأعداء مثل لباسهم ... ويثير ذعرهم سماع نداء
الله أكبر قد سمعت دويها في ... البر بل في البحر والأجواء
إني وجدت حلاوة ما ذقتها ... من قبل رغم تضرعي ودعاء
حتى خرجت مع الأحبة داعيا ... وعرفت بالتبليغ أصل الداء
من أجل ذلك دعوتكم يا إخوتي ... لتروا بأعينكم بغير خفاء
كم أنقذوا من شيبنا وشبابنا ... كم أرشدوا من فتية ونساء (٢)

هؤلاء هم الأحباب الذين يخرجون في سبيل الله عز وجل بنية إصلاح أنفسهم، وبنية تبليغ دين الله عز وجل في الأرض.

هم يؤدون خمس صلوات في المساجد مع الجماعة، ويقيمون حلقات التعليم في المساجد، و يتجولون على الشوارع والطرقات ويدعون الناس

---

(١) سورة التوبة _ الآية ١٢٢ .

(٢) الشعر من شبكة التبليغ والدعوة بالنت _ وضعه العضو : رعد ، بتاريخ : الأربعاء ٢٥-٠٢-١٤٢٨ هـ ١٠:٤٨٨ صباحا .

إلى الله عز وجل، ويصبرون على إيذاء الناس، ويطرقون أبواب الناس بآداب وبكل احترام من أجل الله ورسوله ﷺ، وفي المضاجع يدعون ربهم ويشتكون إلى الله .

هم هاجروا أموالهم وأزواجهم وأولادهم ووظائفهم، وتركوا ديارهم، وفرغوا أوقاتهم من أجل الله ورسوله ﷺ، يمشون على الأقدام ويتركون الركوب في السيارة لماذا ؟ لأنهم يريدون أن يمشون كما مشى رسول الله (ﷺ) من مكة إلى الطائف على الأقدام .. فبذل الجهود ينزل نصرة الرب المعبود.

إن لم تكن معهم فلا تقف في طريقهم .. نعم صحيح يخرجون في سبيل الله يتركون شهواتهم و يسيرون بين الناس نصحا ويتكلمون مع الناس عن عظمة الله عز وجل وعن سنة حبيبنا محمد ﷺ وعن الصلاة وطلب العلم وكثرة ذكر الله عز وجل وعن المحبة بين المسلمين عموما والأرحام خصوصا وعن إخلاص نوايانا لله عز وجل وكيف ندعوا الآخرين لا بد لنا من التعلم لذلك فمن أجل ذلك نخرج في سبيل الله بالترتيب وحسب الاستطاعة وإن زدنا فأفضل وإن قللنا فلا بأس من ذلك .

يا أهل الدعوة: توكلوا على الله لا تلتفتوا !. فكم من قتيل لإبليس أحييتموه؟. وكم من فاسق، إلى الحق هديتموه ؟. وكم من عاق، إلى حظيرة البر رددتموه ؟. حياكم الله، ثبتكم الله، و فقكم الله.

ولله در القائل:

هبوب السوافي لون وجهك يشحب ... وهل في ركوب البيد يطلب مكسب
وتركك للأوطـــان في كل رحـلة ... وهجـــرك للأهلين ياصاح أصعب
وإنفاقــك الأموال والدهـــر مـدبر ... وقد صار ذو الأمــوال مولا يقرب
سروا وظـــلام الليل يرخي سـدوله ... ونجم الثريا في دجى الليل يذهـــب
بفي إكسآر قد مضـــوا بعزيمـــة ... لها تخضع الدهناء والدهر أشهـــب
بظلمــة ليل تستحث ركابهـــم ... هموم لها التاريخ يصغــي ويعجـــب
همـــوم تلقـــاها النبي وصحبــه ... ومن حرها شـــعر الصبي يشـــيب
إلى أين للسودان والقيظ جمـــرة ... وأرضـــك يادوسي أندى وأطيـــب
طريقكـم وعـــر وشـــوك وغربــة ... ودعس على اللذات هل أنت ترغــب
ومن يـــقـف آثار النبيين لم يقـــل ... أريد لكـــم هـذا وهذا أجـــــنب
طووا فلــوات الأرض وهي حفيــة ... ترى المغرب الأقصى إلى الشرق يقـرب
فما الصعب منقاد ولا السهل حاصل ... إذا العبـــد لم يرج الإله ويطـــلب
كواكـــب يمن كلما احـتار مدلــج ... تبدى لعينيــه الهمــولة كوكـــــب
عزائمهـــم قد مهدت وعر دربهـــم ... لهم في بقاع الأرض زاد ومشـــرب
لها ميم ماالأهوال أن عرضـــت لهم ... تكـــدر بالا أولها القوم ترهـــب
وعدتهم في شـــدة الهـــول إن طغى ... ثبات وصبر ثم في الرب مرغـــب
نواياهـــم ما دنســـت بمطامـــع ... ســـوى الله والأخرى لها تترقــب
على رحمة الإنســـان جهرا تواثقت ... كهـــول وفتيان وشيخ مجـــرب

مســـــيرتهم قرن مضى ما تغيرت ... لها الكون والأحداث والوحي تعرب

فكم من أثيـم صار للشـــــر مدمنا ... إذا سار في الروض المورق يعطـــب

بأية حـــال لو طـلبت صلاحـــــه ... عبـــور الطباق السبع ذلك أقــرب

مددنا له كفا على الجود قد نمـــت ... فما خـــاب من مدت له أو يخـــيب

رعتكـــم عنايات الإله ومن رعـت ... فلا الذل يغشاه ولا الشـــر يقـــرب

عجـــبت لقوم ناصبوهم عـــداوة ... وبالزور والبهتان ترمي وتكـــــذب

على رسلكـــم يامن نذرتم نفوسكم ... لصد وتلفيق فما الحـــــق يحجـــب

على رسلكم ما الشمس يخفي شعاعها ... تراب لوغـــــد قام يحثو ويلعـــب

هل الكلبة الجرباء تنتج نعجـــــة ... وحـــبة ثـــوم هل لها الورد ينسب

وهل بدعة ياقـــوم تنبت ســـــنة ... وهل تلكم الظلـماء للنور تحجـــب

فغاوٍ غدا من دعوة الخير مرشـــــدا ... هو اليوم خير أم هو الأمس أصـوب

هو النور نور والخـــــلائق كلهم ... لآدم والأيـام فيهـــــم تقـلـــب

فما ضرنا أعمى البصـــــيرة أن أتى ... بقـــول به تغدو الحـــيارى فنتصـب

فأقـلامنـــــا أقـــدامنا لكلامـــنا ... وأوراقنا الأقطـــــار فيها سنكتب

وإن كتبـا ألفتموهـــــا فإننـــا ... نؤلـــف أقوامـــــا إلى الله ترغـــب

ندون فيها الصدق والصبر والرضـا ... وللجور والعصيان والشر نشـــطب

فسيان إن خـالفتهم أو أطعتـــــم ... فأمرهـــم رغم الأنوف ســـيغلب

دعـــونا دعـــونا في طريق فلاحـــنا ... لنا من فعال الصحب ورد ومشرب(١)

---

١) هذه قصيدة ابو احمد الدوسي _ منقول من شبكة التبليغ والدعوة .

السؤال الثاني

س: نود أن نعرف رأي الأئمة الأعلام في أهل التبليغ والدعوة ؟.

ج: إن الأئمة الأعلام الذين أيدوا هذه الدعوة كثيرون، وسنورد شيئا من تأييد بعض العلماء الذين خالطوا هذه الدعوة المباركة وأهلها:

۞ **الشيخ أشرف علي التهانوي[من علماء الهند(١)]**: كانت الجماعات فى " تهانه بهون " تعمل فى القرى المجاورة، وكان الواردون يتحدثون إلى الشيخ أشرف على التهانوى عن أعمال الجماعات، وخدماتها ومنجزاتها، وعن المبادىء التى تلتزمها، ومظاهر الخير والبركة التى شهدتها تلك الأمكنة نتيجة تجوال تلك الجماعات ونزولها فى تلك المواطن، وكان الشيخ التهانوى فى شك كبير من ذلك، لأنه كان يعلم أن العلماء والأفاضل الذين تخرجوا فى المدارس ، وقضوا فى سبيل التعليم ثمان أو عشر سنوات أو أكثر، ولم يقدروا بعد كل جهد جهيد، أن يكسبوا نجاحا كبيرا فى هذا المجال، بل كانت النتيجة معكوسة، ونجمت فتن جديدة ومفاسد كثيرة ، فكيف بهؤلاء الميواتيين الذين لم يتلقوا التعليم والتربية البتة، إستطاعوا أن يقوموا بهذا العمل العظيم الدقيق .

على كل فكان الشيخ التهانوى لايطمئن إلى ذلك ــ بحكم طبيعته

---

(١) المربى الكبير والمصلح العظيم سماحة الشيخ أشرف على التهانوى صاحب مؤلفات ورسائل يبلغ عددها إلى ثمان مائة مؤلف، بين كتاب ورسالة على الأقل، توفى إلى رحمة الله تعالى فى ١٧ من رجب سنة ١٣٦٢هـ .

المتحفظة المتأنية الحكيمة ـ ويخاف أن تكون هذه المحاولة نواة فتنة جديدة ، ولكن أخيرا حصل له الإقناع فى هذا الشأن بما تتابع عليه من أخبار البعثات الدعوية الطيبة ، وبما رأى بأم عينيه من تباشير الخير والبركة التى ظهرت من أجل عملها ، ومن هنالك عندما أراد الشيخ محمد إلياس أن يتحدث مع الشيخ التهانوى فى هذا الصدد، قال التهانوى: لاحاجة إلى الدلائل، لأن الدلائل إنما تقدم من أجل تقرير شيىء وتأكيده ، وقد تأكدنا من جانب هذا العمل، واقتنعنا به عن طريق نماذج عملية، فنحن فى غنى عن كل دليل، وأحمد الله، وقد حولتم اليأس رجاءا .

ومما كان يجعل الشيخ التهانوى لا يطمئن إلى ذلك، أنه كان يفكر أن هؤلاء الميواتيين أنى لهم أن يقوموا بمسئولية عرض الدعوة والتبليغ دون علم ودراسة وتربية ، ولكن زال شكه ذلك حينما أكد له الشيخ ظفر أحمد التهانوى (١) أن هؤلاء المبلغين لايتعرضون لشيىء غير الذى تعلموه وتمرنوا عليه بصورة عملية (٢).

---

(١) ابن أخت الشيخ أشرف على التهانوى والعالم الجليل والمؤلف الكبير مؤلف كتاب " إعلاء السنن " توفى فى باكستان فى ٢٣ من ذى القعدة ١٣٩٤ه .

(٢) انظر كتاب الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته إلى الله للندوي، وكتاب الشيخ محمد إلياس بين المؤيدين والمعارضين للدكتور عبد الخالق بيرزاده.

كما كان الشيخ أشرف على التهانوي يفاخر بجهود الشيخ محمد إلياس .

وقد أمر الشيخ أشرف على، أكبر خلفائـه – أمثال الشيخ شبير أحمد العثماني(١) – والشيخ ظفر أحمد التهانوي بمساعدة الشيخ محمد إلياس وأصحابه في حركتهم الإصلاحية (٢).

يقول الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي(رحمه الله): إن الشيخ أشرف على بعد اطمئنانه على المنهج وأهميته للأمة الإسلامية بدأ يزور الشيخ محمد إلياس في مركز نظام الدين بدهلي، كما كان يزور منطقة الميوات لتفقد أعمال الدعوة والتبليغ فكان يُظهر اطئنانه وابتهاجه بتلك الجهود التي كانت تبذلها الجماعة لإصلاح المنطقة، وكان يدعو دائما للشيخ محمد إلياس وحركته الإيمانية (٣).

۞ **الشيخ مفتي / كفاية الله** (٤): (**حضر إحدى اجتماعات التبليغ**) **وبعد عودته قال:** لقد قضيت خمسة وثلاثين عاما بين مختلف الاجتماعات

---

(١) يعد أحد مؤسسي باكستان، وأول من عين شيخاً للإسلام في باكستان، وأول من رفع علم باكستان الغربية حيث قال له الزعيم محمد على جناح: " أنت أحق برفع هذا العلم مني". راجع حركة باكستان ومساهمة العلماء فيها. للشيخ محمد عبدالقادر آزار .

(٢) الشيخ محمد إلياس الدهلوي حياته ومنهجه في الدعوة للدكتور عبد الخالق بيرزاده صـــ ٩.

(٣) الشيخ محمد إلياس بين المؤيدين والمعارضين للدكتور عبد الخالق بيرزاده صـــ ١٠.

(٤) الشيخ كفاية الله بن عناية الله بن فيض الله الحنفي الدهلوي.. ولد في بلدة شاهجها نپور (الهند)، وتوفي فيها.. قضى حياته متنقلاً بين ربوع الهند وسافر إلى

السياسية والدينية ولكنني لم أرى مثل اجتماعات التبليغ وما فيها من الروحانية والإخلاص والخدمة وظهور البركات، فإن تلك الاجتماعات

مصر والسعودية. التحق بالمدرسة الإعزازية في قريته، فدرس فيها العلوم= =الدينية والصوفية، ثم سافر إلى مراد آباد فالتحق بمدرسة شاهي وقرأ على بعض أساتذتها، ثم سافر عام ١٨٩٤ إلى ديوبند وقرأ بالمدرسة العالية على العلامة منفعت علي الديوبندي ومحمد حسن وغلام رسول وغيرهم، حتى انتهى بقراءة فاتحة الفراغ في عام ١٨٩٧.

عمل في صناعة القلانس وتجارتها إبان طلبه العلم، لينفق على نفسه، ثم اشتغل بالتعليم والتدريس في مدرسة عين العلم في بلدته: (شاهجها نپور) لمدة خمس سنوات يدرس ويباشر الإدارة، ثم قصد مدينة دهلي (١٩٠٣) بناء على طلب مدير ومؤسس المدرسة الأمينية، فعمل فيها لمدة أربعة وثلاثين عامًا. أسس جمعية «العلماء» عام ١٩١٩، ورأسها لمدة عشرين عامًا.

نشط في مقاومة حركة الردة في بعض الأسر التي ارتدت عن الدين الإسلامي، كما سافر في وفد جمعية العلماء لحضور المؤتمر الإسلامي عام ١٩٢٥ بدعوة من الملك عبدالعزيز آل سعود في المملكة العربية السعودية، كما شارك في مؤتمر فلسطين الذي عقد في القاهرة عام ١٩٣٨. كان له نشاطه في الإفتاء، ولقد استقبل في مصر والسعودية بوصفه مفتي الهند.

– له كتاب يتكون من أربعة أجزاء في تعليم الإسلام للأطفال المسلمين، وله مجموعة فتاوى بعنوان: «كفاية المفتي» صدرت في عدة مجلدات. (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر عبد الحي الحسني – دار ابن حزم – بيروت ١٩٩٩..

مراكز متحركة للتربية ومشاركوها رهبان بالليل وفرسان بالنهار، تراهم قائمين باكين متضرعين في عبادة الله وقائمين بالنهار في خدمة خلق الله(١).

❁ **وقال الشيخ / محمد منظور نعماني**: (مدير مجلة الفرقان): أن من أهم ركائز تحول الشيخ محمد إلياس من التدريس إلى حركة الدعوة ، ما حز في نفسه من أحوال المسلمين وهي تتلخص في أن الإمام محمد إلياس قد أحس إحساساً شديداً بأن حياة المسلمين الآن ليست هي الحياة التي كانت على عهد محمد (ﷺ) ، لأنها لا تتسق مع حياة الصحابة رضوان الله عليهم ، لا في ظاهرها ولا في بواطن أمورها، حتى في معظم الناس من المسلمين، وكذلك في معظم أفراد الأسرة الدينية، فالنتيجة واضحة: وهي أن حياة المسلمين من حيث المجموع هي حياة زائفة مثلما كانت حياة أهل الكتاب وقت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

ويترتب على ذلك طبقاً للأوامر القرآنية، وسنة الله في الكون ، وتاريخ الأمم التي تبرهنها الظروف الراهنة، أن كل تلك الأحداث والأوضاع تؤدي إلى غضب الله وقهره .

---

(١) الشيخ محمد إلياس بين المؤيدين والمعارضين للدكتور عبد الخالق بيرزاده صـ ١٨.

ومن المؤكد أنه لو استمرت حالة مسلمي الهند على هذا المنوال، فليس ببعيد أن يتحول عدد كبير من المسلمين إلى الكفر، وبذلك ينزع الله سبحانه وتعالى من هؤلاء القوم نعمة الإيمان، ويزيغ قلوبهم بالكفر والعصيان، لأن الأمر قد وصل إلى درجة أن معظم مسلمي شبه القارة لا يعرفون حقيقة نسبتهم إلى الإسلام، بل يعرفون أنهم مسلمون فقط وأنهم قد ورثوا الإسلام عن آبائهم وأجدادهم، ولا حاجة لهم بالتعرف على أحكام الإسلام ومبادئه وتاريخه، بل من الملاحظ أنه لو تغيرت الأحوال في شبه القارة – خلال تلك الظروف القاسية ، حل الخطر المادي، وأحاط بأرواح المسلمين ، فليس لهم إلا أن يرتدوا إلى الكفر ، إذ ليس لهم حاجة أن يبذلوا جهودهم للبقاء على الإسلام أو نسبة أنفسهم إليه(١) لأن إيمانهم لم يكن عن عقيدة ، بل ورثوه بالتقليد ، وليس بالتحقيق والاقتناع بماهيته وأصوله .

ثم يذكر العلامة النعماني استدلالا على صحة هذه النظرية أنه عقب أحداث عام ١٩٤٧ ارتد العديد من الناس عن الإسلام حين استقلال شبه القارة الهندية الباكستانية ، وذلك خوفاً على أموالهم وأنفسهم من الهندوس الآريين، وحين عاد الأمن والسلام في المنطقة لم يرض هؤلاء الآلاف

(١) دعوت وتبليغ صـــ٣ وما بعدها بتصرف.

بالعودة إلى الإسلام ، كما لم يعد إلى الإسلام مئات الآلاف مثلهم من المرتدين عن الإسلام إبان حركة الردة عام ١٩٣١ في وسط الهند(١) .

وكان هذا هو حال عامة الشعب من البسطاء، أما من بقي في الإسلام وادعي معرفته به ودرايته بأصوله، فهم يمثلون خمسة وتسعين في المائة من سكان المدن، ولا غرابة أيضاً يعد تعليمهم وتثقيفهم في المدارس الأجنبية أن يبتعدوا عن الروح الدينية، فهم يعتدون على حرمات الإسلام، ويتجاوزون حدود الله أملا في الوظائف العالية في المناصب الحكومية، فلا يشعرون بالخزي والعار من أفعالهم هذه، ولا يلومون أنفسهم عليها .

والحقيقة الواضحة الثابتة هي أن أي شيء يمكن أن يؤثر على هؤلاء المسلمين البسطاء ، فيؤدي بهم إلى ترك أحكام القرآن ، أو ترك دينهم كلية ، لأن الإيمان لم يكن راسخاً في قلوبهم(٢) .

وبعد ذلك يضيف العلامة النعماني: إنه لم يمض عام واحد على الدور الجديد في الهند(٣) إلا وقد تغيرت الأحداث بشكل ملحوظ، لأن

---

(١) وقد بلغ عدد هؤلاء المرتدين ما بين أربعمائة إلى خمسمائة ألف.

(٢) وهؤلاء يصدق عليهم قوله تعالى :(وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) سورة الحج _ الآية ١١.

(٣) يقصد العلامة فترة استقلال حكم الآريين وتأسيس باكستان الإسلامية .

الموظفين المسلمين في الدوائر الحكومية كانوا يحاولوا إخفاء صورة الإسلام وسيرته خوفاً من الهندوس ، وتقرباً إليهم ، وتذلفاً لهم حتى أنهم خلال أسفارهم ، أو في محلاتهم التجارية كانوا يتبعون نفس الأسلوب، أي إخفاء هيئتهم الإسلامية، حتى لا تؤذي مشاعر الهندوس برؤية المسلمين داخل بلاد الهند التي رجعت إلى الوثنية مرة أخري بعد عدة قرون .

وبلغ الأمر غايته لدرجة أن الهندوس كانوا لا يستعينون بالعمال المسلمين مساعدين لهم في المحلات التجارية أو الدوائر الحكومية، وكذلك كان التجار المسلمون وأصحاب المحلات يأخذون مساعديهم من غير المسلمين أيضاً ، حتى يتوجه إليهم الكافر والملحد دون قلق .

ولو استمر هذا الابتعاد الجزئي عن الإسلام ، فليس من المستبعد – مع مضي الوقت – أن يتركوا الإسلام بصورة نهائية(١) .

هذا من ناحية رجال المسلمين ، أما من ناحية المرأة المسلمة في شبه القارة ، والتي اشتهرت بالحجاب اقتداء بأمهات المؤمنين، فيري الشيخ محمد إلياس أن المرأة المسلمة الأولي، كانت هي المسئولة عن تربية أهل البيت وتكوين الأسرة تكويناً دينياً سليماً لا غبار عليه، كانت هي المؤثر الأول في

---

(١) دعوت والتبليغ ص٥ وما بعدها، وراجع: الأصوات المجهولة في الهند لوزارة الاعلام الباكستانية، والفحص الاجتماعي والسياسي للمذاهب العالمية لأحمد عبدالله المسدوسي.

تكوين المجتمع الإسلامي القويم ، وكانت تربيتها هي العامل الرئيسي في تحسين أوضاع البلاد للأجيال التالية ، ولها أهمية بالغة في الكيان البشري .

ولكن للأسف ، فقدت المرأة أهميتها ، وخرجت إلى الشوارع ، وأغرقت نفسها في ظلمات البر والبحر – مع أنها كانت اللآلى النادرة ، فأضاعت مكانتها ، وفقدت كرامتها في الأسواق بعد أن حرضها المستغلون والحاقدون على الإسلام للمطالبة بشعار كاذب هو "حرية المرأة" بدعوى أن تنال مكانتها الرفيعة في المجتمع بعد خداعها بهذه الأباطيل، ولكنها لم تنل السعادة الزائفة بالتقدم المزعوم بعد أن نالت تلك الحرية .

وهكذا تغير المجتمع الإسلامي، وبدأ كيانه يتلون بالتقاليد الدخيلة ، وبذلك تحولت السكينة إلى اضطراب ، والراحة إلى حزن ، وكان هذا نتيجة أن المسلمين قد نهلوا من مفاسد الأعداء، ولم يتركوا شيئا منها إلا وأخذوه عنهم بل إنهم اتبعوا خطوات الشيطان ، فلم يأخذوا من محاسن الإسلام شيئا، كما لم ينالوا من حسنات الأغيار ! وانحصرت جهودهم في كسب المادة وأغراضهم الخاصة بدلا من رضاء الله، فالحاكم المسلم لا يتكلم عن الإسلام إلا لتقوية حكمه وبقاء سلطانه ، ويصلى المسلم صلواته أملاً أن ييسر له الله أموره المادية هذا إلى جانب الصورة البشعة للتقاليد المسمومة والمشبوهة التي تسللت من المجتمعات المجاورة .

كل ذلك كان سبباً في الانحطاط السياسي والاقتصادي والديني والخلقي ، مثلما يوضحه الشيخ محمد أكرم في كتابه "موج كوثر" : إن انحطاط المسلمين السياسي قد وصل إلى ذروته في نهاية القرن الثالث عشر الهجري ، حيث خرجت معظم مناطق الهند من أيدي المسلمين ، والمأساة الكبرى هي أن معظم المسلمين الجدد كانوا لا يعرفون عن الإسلام شيئاً فكانت حياتهم مثل الهندوس الوثنيين في جميع شئون الحياة ، فإذا كانوا يسجدون لتماثيل آلهتهم في الكفر فقد بدأوا في الإسلام يعبدون مقابر أولياء المسلمين ، كما حل الشيوخ المرشدون محل كهنة البراهمة ، وكان الحصول على التعاويذ والتمائم ، وتقديم النذور لكهنة المسلمين هو غاية الإسلام عندهم ، إذ أن جميع المشاكل المادية والروحية كانت تحل لدي سدنة تلك الأضرحة (١).

ويقول الشيخ محمد منظور النعماني(رحمه الله): أنا لم أكن أؤمن ببعض ما قرأت من تاريخ رجال الدين وأولياء الله الصالحين، وبما ذكر في كُتب التاريخ عن تفانيهم وتضحياتهم وتحملهم الشدائد في سبيل الدين، بل كنت أرميه في باب المبالغة، ولكن الأيام الأخيرة التي قضيتها مع الشيخ محمد إلياس، وما رأيت فيه من الحب والانهماك والتضحية والتفاني

(١) كتاب الشيخ محمد إلياس الدهلوي حياته ومنهجه في الدعوة د. عبد الخالق بيرزاده.

في سبيل إعلاء كلمة الحق، قضى إلى تصديق كل ما قرأته في التاريخ لمثل هؤلاء العباقرة الأفذاذ. (١).

ويقول: بعد دراسة نظرية وعملية تيقنت بأن هذا هو الطريق الوحيد لتجديد وإحياء الحياة الإيمانية في الأمة بصورته الشاملة.

وطبقا للأساليب العلمية التي اخترتها للدراسة العملية للوصول إلى هذا المنهج لم أكن أتأثر بأفكار الشيخ محمد إلياس حتى ولو قام هو بنفسه بشرحها وإفهامها، بل كنت أدرس الموضوع في ضوء الكتاب والسنة، مع ما تحتاجه الأمة الإسلامية في هذا العصر، فالدراسة المتواصلة ومصاحبة الشيخ في الرحلات الدعوية أثبت بأن هذا المنهج هو ضرورة الوقت الراهن وأيسر المناهج الإصلاحية والتربية الدينية في هذا العصر الحديث(٢).

۞ **وكتب الشيخ أبو الحسن الندوي** [كلاما هاما جعله مقدمة لكتاب الأحاديث المنتخبة في الصفات الست]: ولديهم علماء تهتز لعلمهم الجبال، ولا يظهرون في الإعلام، دكاترة في مختلف العلوم منها الشريع المعمق ومختلف علوم الفقه، ولكن يعملون في صمت، حتى العلوم الأخرى، لا

---

(١) الشيخ محمد إلياس بين المؤيدين والمعارضين للدكتور عبد الخالق بيرزاده صـــ ١٠.

(٢) المرجع السابق صـــ ١٠.

تصدر أحكامك من بعض الأفراد البسطاء ربما لم يلجوا التعليم، لكن لديهم همَّ الدعوة والتبليغ، ونصرة دين الله .. كم من واحد مشاء الله في العلم ماذا قدم لدين الله لم تستفد منه الأمة ؟!، علمه وبال عليه.ومسئول عنه يوم القيامة .. فإن كانوا بالجهل تحركوا.. فما بال العلماء جلوس ؟؟؟!!!.

حكماء يأتون بالناس من بيئة الغفلة إلى بيئة الرحمة بيوت الله المساجد وتقديمهم إلى العلماء ليتعلموا أمر دينهم الإسلام ومن أماكن الغفلة والخمور إلى أن يهديهم الله ويصبحون دعاة إلى الله .

العلم الذي ليس بالتضحية لايدخل إلى القلوب ولا يرسخ في الأذهان .

أهل الدعوة يخرجون في سبيل الله ليتعلموا دينهم ، عليك أن تفرق بين الدعوة والفتوى، الدعوة تضحي وتخرج إلى الناس لتذكرهم بخالقهم وتحببه لهم، أما الفتوى مثل المريض عندما يذهب إلى الطبيب ليشخص له مرضه ، أنت تذهب تسأل العلماء عن الفتوى ، إذا تركنا الحركة والجولة من يزور العصاة في محلات الخمور والمقاهي وأماكن الغفلة ؟؟ لابد من مؤمنين يضحون بأموالهم وأنفسهم وأوقاتهم ويتركون بيوتهم وأولادهم من أجل الدعوة إلى الله وإنقاد البشرية من الظلمات إلى النور .

❁ **وفي رسالة لأبي الحسن الندوي** (رحمه الله): إن جماعة الدعوة والتبليغ التي أنشأها العلامة الداعية الجليل الشيخ محمد الياس الكاندهلوي في الأربعينات من هذا القرن العشرين، والتي عرفت في العالم كله بنشاطاتها الدعوية والإصلاحية العظيمة، واعترفت الأوساط العلمية في شبه القارة الهندية بإخلاصها وتفانيها واستقامتها على الجادة وجهودها الجبارة المحيّرة للعقول والمغيّرة للمجتمعات من حياة الغفلة والفسق والمعاصي إلى حياة التذكر والصلاح والتقوى، ولم يُحرم أي بلد لا في العالم الإسلامي ولا في البلدان الأوربية وبلدان القارات في العالم من وفودها الدعوية وإرسالياتها المبشرة بالدين الحنيف.

إن هذه الجماعة الإسلامية الصالحة هي – من دون شك – من أكبر الجماعات بل كبرى الجماعات الإسلامية على الإطلاق في العالم: أثرت على حيات مئات الآلاف من الناس، فأصبح عبّاد الدنيا العاكفون على الملذات والشهوات، والغارقون في حَمْأة المعاصي والانتهاك للحرمات والاستهتار، من عباد الله المخلصين والمسلمين الأبرار المتقين.

إن هذا التغيّر قلما شهدته المجتمعات، وقد كان هذا التأثير لكبار المجددين والمصلحين في التاريخ من أمثال الحسن البصري إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني إلى الدعاة الأجِلّة في مختلف البلدان الإسلامية، وعلى

سبيل المثال الإمام ولي الله الدهلوي، أحمد بن عرفان الشهيد وأصحابه وخلفائه الذين تركوا في الهند أمثلة رائعة من مآثر التجديد والإصلاح العظيمة، فأصلحوا العقائد وقاوموا الشرك والبدع والتقاليد الهندوسية والطقوس الشركية، وجميع أنواع المحدثات حتى كانت حركتهم اكبر وأقوى وأنشط حركة في سبيل إرساء دعائم التوحيد في شبه القارة الهندية، والقضاء على كل أنواع الشرك والبدع والضلالات وإظهار شعائر الدي ، وإقامة الشريعة الإسلامية الغراء، ورفع راية الجهاد ضد قوى الباطل والطاغوت حتى سماهم الإنجليز المستهترون: بالوهابية، وأثاروا الضجة ضدهم وملئوا بهم الزنزانات والسجون.

لقد كان الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي خليفة هؤلاء العظماء الأبطال من المصلحين والمجددين، الذي قام أيام كانت الهند تموج بالاضطرابات الطائفية التي كان يثيرها الإنكليز المستعمرون، وكان مثلث المسيحية والهندوسية والمادية يسيطر على الهند ويأخذ بخناق المسلمين ويذيب شخصيتهم ويفقدهم دينهم وعقيدتهم وثقافتهم.

قام الشيخ محمد إلياس في ضمن من قام من العلماء الأجِلّة المثابرين المناضلين بحركته الإصلاحية التي أسسها على العقيدة السلفية الصريحة الثابتة بالكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة من دون مواربة ولا

مجاملة ولا خوف من الحكام المشغبين المثيرين للفتن، ولا من المبتدعة البريلويين الذين كانوا فتنوا الناس بالإشراك وعبادة الأضرحة والقبور والبدع والخرافات وضلالات الفرق الباطلة، ولا من الساكتين المُسالمين للانحرافات، قام بهمة عالية تنوء بالأقوياء الشجعان، ولم ينتظر مجئي الناس إليه بل خرج إليهم بإخلاص وإيمان واحتساب وحرقة في القلب ولوعة في النفس يذكرهم بمعاني التوحيد الحقيقية والرسالة.. بعقيدة التوحيد التي غشيها ضباب الشرك والوثنية الهندية، ويذكرهم بالعبادة وعلى رأسها الصلاة: التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وبالذكر لله تعالى الذي يطمئن القلوب ويشرح النفوس ويثبت الأقدام، وبالعلم النبوي الشريف الذي يبقى الإنسان بدونه ميتاً وإن كان يدعى حياً، وبالإخلاص في العقيدة والقول والعمل ويذكرهم بأخلاق المؤمنين بتراحمهم وتعاطفهم وتوادهم، وأن يعودوا إلى اجتماعيتهم، ثم بأن يتحركوا وينفروا وينشطوا في سبيل الله، دعاة مبشرين ومنذرين ، يخلفون الأنبياء في أعمالهم ومهامهم فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ ". رواه البخاري (١).

---

(١) رياض الصالحين – الحلم والأناة .

لقد قامت هذه الدعوة في هذا الجو وبهذه الدفعة الإيمانية والشرارة الإسلامية، وأنا عشتها وصحبتها ، وأنا أشهد بالله أن هذه الجماعة رغم ما يوجد في كل فرد وفي كل جماعة من مآخذ أو بعض مواطن الضعف – أصلح الجماعات الإسلامية عقيدة وعملاً وسلوكاً، وأقواها تأثيراً وأكثرها إخلاصاً وتفانياً في العمل.

إن هذه الجماعة قامت على يد الشيخ محمد إلياس الذي كان من جماعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد والشيخ إسماعيل الشهيد وعلى مذهبها في التمسك بالتوحيد الخالص والسنة الصحيحة الصريحة.

لقد عُرِفَ الشيخ الإمام إسماعيل الشهد – عدا جهوده الدعوية وجهاده – بكتابه العديم النظير باسم " تقوية الإيمان " الذي ترجمته مع تعليقات باسم " رسالة التوحيد " وقد طبع ونشر مراراً، لقد كان لهذا الكتاب من التأثير البالغ القوي والنفوذ العجيب ما أطار نوم المبتدعة والخرافيين، فأثاروا فتنة تِلْوَ فتنة ضد هذا الكتاب، الذي ضرب على الوتر الحساس وتناول جميع أنواع الشرك الجليّ والخفيّ، وأنواع البدع الدولية والمحلية بالرد والتفنيد والدحض بالحجج القرآنية الساطعة والأدلة الحديثية الباهرة ، بحيث قطع دابر المبتدعة الضالين ، وغني عن القول أن هذا الكتاب على

غرار كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب المعروف بكتاب "التوحيد" بل أقوى منه ردّاً وإفحاماً وقطعاً لحجج الخرافيين.

ومن هنا فإن جماعة التبليغ والدعوة معروفة في طول الهند وعرضها وفي بنغلادش وباكستان بأنها جماعة وهابية تدعو إلى منابذة التقاليد الشركية ومحاربة القبوريين، وإن أشد الناس عداوة لجماعة التبليغ هم الطائفة البريلوية المبتدعة الخرافية التي تنتمي إلى الشيخ أحمد رضا خان التي تناصبها العداء، وتتهمها بالعمالة للحركة الوهابية، وتحارب كتاب تقوية الإيمان للإمام إسماعيل الشهيد، ولا تدع هذه الجماعة تدخل في مناطقها ومساجدها، وقد تشعل حرباً وتتعدى ضرباً لأصحابها، شأنهم في هذا الشأن الجاهليين الذين كانوا يقولون:{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ }(١).

ولكن يشهد الله أن كل هذه المحاولات والاتهامات والمناوشات لا تزيد الجماعة إلا صبراً واستقامة ، فيجازيهم الله تعالى بقلب الأحوال وتغيير النفوس والقلوب ، فكم من مبتدعة عادوا إلى حظيرة السنة؟ وكم من واقعين في الشرك عادوا إلى التوحيد الخالص ؟ وكم من ضُّلال اهتدوا إلى الحق ؟.

---

(١) سورة فصلت _ الآية ٢٦.

يشهد بذلك ويراه رأي العين كل من يجول هذه المناطق والقرى والأحياء وإن كان هناك من مآخذ على بعض المنتمين إلى الجماعة فذلك يرجع إلى تقصيرهم وقلة استيعابهم وفهمهم للأسس والأهداف والمناهج والله على ما أقول شهيد (١).

۞ **فضيلة الأستاذ أبي الأعلى المودودي** (رحمه الله) **يقول**: إنني أقدر ما قامت به جماعة التبليغ من خدمات جليلة، وأن الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي خير خلف لخير سلف، فهو الذي قام بأداء الواجب نحو الدعوة إلى الله بمعنى الكلمة، فبينما كانت هذه الحركة على المستوى المحلي، في شبه قارة جنوب أسيا جعلها الشيخ محمد يوسف حركة عالمية انتشرت أعمالها في جميع بلدان العالم(٢).

ويقول الأستاذ محمد أبو الفتح البيانوني: سألت مرة فضيلة الأستاذ أبي الأعلى المودودي (رحمه الله) في مكة المكرمة عن رأيه في جماعة التبليغ التي قامت في الهند وتنتقل في العالم كله، وكان قد سبق لي أني سمعت أنّ في الهند والباكستان أن بين الجماعة الإسلامية وجماعة التبليغ خلافاً وشقاقاً، فأجابني الشيخ (رحمه الله) بمقولة أعجبتني جدا ولا نستطيع أن نصل إلى مثل هذا التوازن في النظرة إلى الآخرين إلا إذا فهمنا

---

(١) رسالة لأبي الحسن الندوي جواباً على سؤال عن جماعة الدعوة والتبليغ.

(٢) كتاب الشيخ محمد إلياس بين المؤيدين والمعارضين للدكتور عبد الخالق بيرزاده.

الدعوة فهما واسعا شاملا لجميع أعمال الرسول.ﷺ فقال: إنهم يسدون عنا ثغرة لا نستطيع سدها، ولا ننتقدهم ومنهم من ينتقدنا (١) .

۞ **السيد سليمان الندوي**(٢): يقول لأهل الدعوة والتبليغ: حينما أراكم أشعر بأن الدنيا مليئة بالخير، وإذا غبتم عن نظري فأحس أنها مليئة بالشر(١).

---

(١) وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع لمؤلفه الدكتور الشيخ (محمد أبو الفتح البيانوني).. ومقال: تحديث الصفحة التبليغ والدعوة.....وأبى الاعلى المودودى موقع : إسلام أون لايف.

(٢) العلامة النحرير المفسر المحدث والفقيه والكاتب القدير، النابغة في الإنشاء والأدب والتحرير، سليمان بن أبي الحسن بن محمد شير، المعروف بالحكيم محمدي بن عظمة الله على بن وجيه الدين المعروف بالأمير جكن ، يصل نسبه الشريف إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه(١٣٠٢ - ١٣٧٣هـ). رئيس علماء الهند، ورئيس المجمع الإسلامي العريق (دار المصنفين) لكهنؤ، ومؤسس مجلة (معارف) العلمية الشهيرة، من أبرز تلامذة وخلفاء حكيم الأمة المحمدية مولانا أشرف على العمري التهانوي (١٢٨٠ - ١٣٦٢هـ) ومن كبار علماء الشريعة الإسلامية وعلومها ومعارفها وآدابها في شبه القارة الهندية. =

= من أبرز أعمالة العلمية وأرفعها ذكراً واسماها مكانة إكماله كتاب (سيرة النبي صلى الله عليه وسلم) الذي كان بدأ تأليفه أستاذه ومربيه والمحقق العلامة شبلي النعماني رحمه الله ، ثم أوصى تلميذه أن يكمله على المنهج الذي سار عليه أستاذه ، فعلا ثبت أن التلميذ خير مكمل لما بدا به أستاذه ، وطلعت هذه المعلمة أمام العالم من عيون ما ألفه علماء الإسلام منذ قرون ، ومن غرر ما أتحف به علماء الهند المكتبة الإسلامية العامة ، وتفتخر به المكتبات الإسلامية(شبكة المدارس الإسلامية بباكستان على النت).

۞ المفكر الإسلامي: وحيد الدين خان (*رحمه الله*):

تكلم الشيخ وحيد الدين خان (٢) في كتابه الدين الكامل عن حكمة الدعوة، وأخلاق الداعية ومكانة الداعية والنصح، والإعراض، فقال: تحت صفة الإعراض: إن الإعراض من أهم صفات الداعية كما جاء في القرآن: { وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }(٣)، ومعنى ذلك أن الإعراض مهمة تقع على عاتق الداعية، فهو المطالب بالإعراض، وهي مسئولية ينبغي أن يقوم بها الداعية من طرف واحد.

---

(١) كتاب الشيخ محمد إلياس بين المؤيدين والمعارضين للدكتور عبد الخالق بيرزاده صـــ ١٦.

(٢) الداعية والمفكر والكاتب الإسلامي فضيلة مولانا وحيد الدين خان، من مواليد ١٩٢٥م في أزمغار بالهند؛ الرجل الذي وهب حياته للعمل الدعوي ولنشر الفكر الإسلامي، وللذود عن دين الإسلام، ومخاطبة غير المسلمين بأسلوب فكريٍّ وعلميٍّ متحضِّر، وذلك لأكثر من ستين عاماً. فلقد تميز فضيلته بكتابته الإسلامية القيمة في بلد أكثر سكانه من غير المسلمين، ولقد بلغت مؤلفاته أكثر من مائتي (٢٠٠) مؤلَّف في مواضيع مختلفة، منها: الفكر، والدعوة، والتفسير، والحديث، والفقه، والسيرة... وغيرها من المواضيع الطيبة.

وكانت باكورة مؤلفاته عام ١٩٥٠ بكتاب "على باب قرن جديد" وكان آخرها كتاب "يوميات الهند وباكستان" عام ٢٠٠٦. (مصدر الترجمة : شبكة معرفية).

(٣) سورة الأعراف _ الآية ١٩٩ .

إن الإعراض هو ما يطلق عليه في الإنجليزية) أي : التجنب والتفادي، أي تفادي قسوة المدعو وطغيانه، وهذا يعني أن مسئولية المحافظة على الجو السلمي تقع على عاتق الداعية، فيلزم على الداعية أن يصمد ويثبت على سلوكه الإيجابي مهما كان سلوك المدعو، وأن يتحاشى ردة الفعل إلى آخر مدى، وعليه أن يثبت بصفة النصح، أي: إرادة الخير للآخر، بغض النظر عن المدعو.

مثل ساطع: إن الشيخ محمد إلياس (١٨٨٦ - ١٩٤٤) هو أحد المصلحين المشهورين في العصر الحديث، وكان موهوبا بهذا المزاج الدعوي، ونذكر هنا واقعة تعطينا مثلا واضحا على ذلك: في الربع الأول من القرن العشرين :ان (الشيخ إلياس) يعمل في ميوات) في منطقة هاريان) في الهند، وكان يزور هذه المنطقة بشكل منتظم، وذات يوم بينما كان يؤكد على أهمية الكلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في موضوع العقيدة، وأهمية الصلاة للمسلمين، فقام الرجل الذي كان يكلمه الشيخ إلياس وضربه ضربا شديدا حتى طرحه أرضا، فنهض حين تمالك نفسه من الضربة بدون انفعال أو غضب، وقال لمهاجمه: ها أنت قمت بعملك فدعني أقوم بعملي، واستمع لما أريد قوله، وهكذا بدون أنم يضيع لحظة واحدة في توجيه

الاتهام، استسلم لهذا الظلم الفادح، وبعد لحظات قليلة استأنف نشاطه لمساعدة هذا الرجل على إدراك (الكلمة) و (الصلاة).

إن هذا الأسلوب في معالجة هذه الحالة فيه من لطف ونبل، حتى إن الرجل لم يتمالك نفسه تأثرا، فاستمع بانتباه وصبر، وليس هذا فحسب بل طلب العفو أيضا، وعبر عن عزمه في إصلاح سلوكه، وأخيراً صار من المساعدين الدائمين لجماعة الدعوة.

إن أخلاق الداعية _ في كلمة واحدة _ تقوم في جوهرها، على السلوك النبيل من طرف واحد، وإن هؤلاء الذين تتوفر فيهم الشجاعة لتبني هذه الأخلاق هم وحدهم الذين يكونون أهلا لهذه المهمة(١).

۞ الشيخ حسين أحمد المدني(٢) **[كان يشارك فى اجتماعات التبليغ، ويلقي الكلمة في الاجتماع]** فيقول: أنتم لا تعرفون ما تقومون به، فإنما

---

(١) كتاب الدين الكامل وحيد الدين خان صـ ٢٩١ الناشر الرسالة للإعلام الدولي مدينة نصر القاهرة.

(٢) هو الشيخ الإمام العالم الجليل، المحدث الكبير، البطل الجرئ السيد حسين أحمد المدني، ابن حبيب الله المعروف في ديار الهند ب: شيخ الإسلام: أصله من مدرية فيض آباد بولاية يو،بي (الهند). وُلِدَ سنة ١٢٩٦هـ ببلدة باكر مئو بمديرية أناؤ بـ : أترابراديش: وتوفي سنة ١٣٧٧هـ بمدينة ديوبند ودفن بها.

تلقى مبادئ العلوم في بلدة تاندة بمديرية فيض آباد ثم التحق بجامعة ديوبند الإسلامية، وتعلم على أساتذتها البارعين، أمثال الشيخ الأديب ذوالفقار علي الديوبندي، والشيخ المحدث خليل أحمد السهارنبوري، والشيخ المفتي عزيز الرحمن

هي وظيفة الرسول (ﷺ)، وكم من الأجيال التي مرت لم تهتم بها بهذه الصورة وبهذه التضحية، اشكروا الله على ما أنتم فيه، يقول الله تعالى:((

الديوبندي، وأخذ الفقه والحديث عن الشيخ العلامة محمود حسن الديوبندي، ولازمه مدة طويلة إلى أن تخرج في الجامعة.

هاجر مع أسرته إلى الحجاز سنة ١٣١٦هـ ، وأقام بالمدينة المنورة يدرّسُ في المسجد النبوي الشريف إلى أن عاد إلى الهند عام ١٣٣٣هـ وقد أسر الشريف حسين أمير مكة الشيخ محمود حسن وأصحابه ومنهم الشيخ؛ في مكة المكرمة، على إيعاز من الحكومة الهندية الإنجليزية، حين سافروا إليها للحج، وأسلمهم إليها، فنقلتهم إلى مصر، ثم إلى مالطا حيث مكث سجيناً نحو ثلاث سنوات. ولماحمي وطيس حركة تحرير البلاد، خاضه بقوة وثبات. وألقى خطباً مثيرة حماسية ضد الاستعمار، يجول في البلاد والأمصار، فحُبِس مراراً

وبالرغم من هذه الخدمات الوطنية والسياسية، اعتزل الشيخ بعد الاستقلال ولم يأخذ منصباً، ولا وظيفة في الحكومة، وعكف على الدرس، والدعوة إلى الله، وقد أنعم عليه رئيس الجمهورية بلقب فخري يسمى بـــ بدم بهوشن فرفضه قائلاً : إنه لا ينسجم وطريقةَ أسلافه

وقد كان له الأثر الكبير في اجتماعات الدعوة والتبليغ العامة والخاصة، وكان يلقي المواعظ والإرشادات والتعليمات للخارجين في سبيل الله للدعوة والتبليغ، واستفاد منه الألوف من العلماء والعوام . =

= كان رحمه الله عالماً ربانياً، محدثاً جليلاً، زعيماً بارزاً، جامعاً لمحاسن الإنسانية ومزاياها، تتمثل في حياته النموذجية حياة الصحابة رضي الله عنهم.

وكان قليل التصنيف لأجل نشاطاته الساسية، والدعوية، والتدريسية.

له نقش حيات، والشهاب الثاقب: وجمع بعض تلاميذه دروسه لسنن الترمذي، وهي مطبوعة لم تتم. (تاريخ جامعة دارالعلوم / ديوبند (بالأردية) ٢/٨٢-٨٤؛ نزهة الخواطر ٨/١٢٦-١٣٢. ط: لكناؤ ١٩٩٣م .

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) (١):((يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)) (٢).

كما كان يؤكد أن هذا هو أسلوب الصدر الأول من الإسلام في نشر الدعوة الإلهية في العالم(٣).

۞ **وقال الشيخ مفتي محمود**(٤): إن حركة الشيخ إلياس ليست لإصلاح طبقة أو فئة تعمل لمصالحها أو لحل مشاكل مؤقتة، بل هي حركة لإصلاح الناس كافة ولإحياء الدين كله.

---

(١) سورة التكوير – الآية٢٩ .

(٢) سورة الحجرات – الآية١٧ .

(٣) كتاب الشيخ محمد إلياس بين المؤيدين والمعارضين للدكتور عبد الخالق بيرزاده.

(٤) ولد المفتي فى السادس من الربيع الثاني ١٣٣٨ ١٩١٩م ببنياله (ديره إسماعيل خان) إقليم خيبر بختون خوا بباكستان. نجح في إختبار الثانوية العامة الحكومية (ميترك) سنة ١٩٣٣م.

أتم الدراسة النهائية من الدرس النظامي وحصل على شهادة العالمية من الجامعة الإسلامية بديوبند الهند ١٩٣٧م. واختار عضوية جمعية علماء الهند ١٩٣٧م. انتخب كمستشار لجميعة علماء الإسلام ١٩٤٣م وكان عضواً للجنة العاملة للجمعية.

صاحب شيخ الإسلام حسين أحمد المدني في إلقاء خطباته الانتخابية ١٩٤٦م. =

=انضم إلى جمعية علماء الاسلام التي أسسها العلامة شبير أحمد العثماني بعد استقلال باكستان ١٩٤٨م.

وهي وسيلة عظيمة لترسيخ حقائق الدين في القلوب ونشر تعاليم الإسلام في العالم، ومعرفة الشعوب الأخرى رغم أن بعض الأفكار الخاطئة قد دخلت في بعض الأذهان نظرا لجهالتهم بحقيقة هذا المنهج.

عقد العلامة شبير أحمد العثماني مؤتمر الجمعية في ملتان ببنجاب فاشترك فيه المفتي محمود بكل نشاط ورغبة ١٩٤٩م. انتقل إلى رحمة الله تعالى والده (الشيخ محمد صديق) ١٩٥٠م.

وعيّن المفتي محمود مدرساً بجامعة قاسم العلوم بملتان ١٩٥١م. قررته رئاسة جامعة قاسم العلوم مدير التعليم وأستاذ الحديث ورئيس المدرسين ١٩٥٢م.

إشترك بدعوة الرئيس المصري الأسبق جمال عبدالناصر رحمه الله تعالى في مؤتمر العالم الإسلامي بالقاهرة ١٩٦٤م وخطب أمام مائة وخمسين عالما على توحيد كلمة المسلمين وتطبيق الشريعة الإسلامية فى الدول الإسلامية وكتب هناك عدة مقالات على مواضيع مختلفة نشرت فى الصحف المصرية وكان إقبال الناس على تلك المقالات كثيراً.

والتقى بالشيوخ العظام ١٩٦٤م في جدة والمدينة المنورة ومكة المكرمة والطائف وحاورهم حول إحياء التراث الإسلامي وتطبيق النظام الإسلامي فى العالم الإسلامي.

قدّم لأول مرة فى النواب الباكستاني الإضافات الدستورية ١٩٦٤م.

رفع الصوت ضد خرافات مجلس الفكر الإسلامي بإسلام آباد وضد اباطيل مشرفها الدكتور فضل الرحمن ١٩٦٨م حتى إختبأت تلك الفتنة وكان من أعظم خرافات الإدارة تحليل الذبيحة الآلية. فى ١٩٦٨م عقدت الحكومة الباكستانية مهرجاناً باسم (مهرجان ملتان) وكان هذا المهرجان مشتملا على الرقص والاغنية الفاحشة فأعلن الشيخ المفتي محمود مقاطعته على عموم الدولة فأعتقل فى السجن إلى مدة.

ويوم ١٤ اكتوبر ١٩٨٠م إنتقل الشيخ المفتي محمود إلى ذمة الله تعالى تغمده الله في رحمته وطيب الله ثراه و جعل الجنة مثواه..

فسواء قام أحد بهذه الجهالة وادعى أنه قائم على المنهج التبليغي أو اتهم أحد الجماعة بسبب ما رآه في هؤلاء الجهلة فلا علاقة له بهذا المنهج ولا بالإسلام.

إن الحقيقة هي أن أمر الإصلاح يناله كل واحد ، قدر تحمله وكفاءته الفكرية.

ومن هذا المنطلق لا يجوز أن يوزن الناس كلهم في ميزان واحد فيعتبر العالم والجاهل، والذكي والغبي، والورع التقي والفاجر الفاسق، والذاكر والغافل، والقديم من متعلمي تلك الجماعة والجديد فيها، والمثقف وغير المثقف، والمتعلم وغي المتعلم، والمدني والبدوي، وذو الخلق الحسن وذو الطبيعة الخشنة، يعدهم على طريقة واحدة في الأخذ والفهم والإبلاغ (١).

۞ العلامة المفتي عزيز الرحمن (٢) [ألف كتابا عن حياة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي] قال فيه: كان الشيخ محمد يوسف يقول:

---

(١) كتاب الشيخ محمد إلياس بين المؤيدين والمعارضين للدكتور عبد الخالق بيرزاده صـ ٢٣.

(٢) هو الشيخ الإمام العلامة، الحبر الفهامة، المحدّث الفقيه، المحقق النبيه، العامل الزاهد التقي، العالم الرباني الحنفي العلامة المفتي الأعظم عزيز الرحمن العثماني الديوبندي، ابن الشيخ فضل الرحمن العثماني، الشقيق الأكبر لكل من العلامة شبير أحمد العثماني، والشيخ حبيب الرحمن العثماني، الرئيس الأسبق لجامعة ديوبند

إن المبادئ الستة للشيخ محمد إلياس وأساليب الخروج في سبيل الله بهذه الكثرة هو الحل الوحيد لقطع دابر الإلحاد والعلمانية الأوربية ، ولكنني لم أكن أفهم كلماته هذه رغم الإفاضة في هذا الموضوع ولكن الله شرح صدري واليوم أقول بكل يقين إن هذا المنهج والقيام بتلك الأساليب هو سعادة الدنيا والآخرة وهي وسيلة هامة لعودة المسلمين إلى الإسلام من جديد(١).

كان أمة في عصره في الفقه، والفتوى، ودقة النظر، وسعة الدراسة لكتب الأصول، والاستحضار لمتون الفقه، وجزئياته، يكتب الجواب عن الاستفتاء عفو الساعة، ولا يحتاج إلى المراجعة في أغلب الأحيان، مع تحرّ للصواب، وإلمام بالحوادث والنوازل، واطّلاع على مقتضيات العصر واتجاهات الفكر، ورؤى الزمان.

تولّى الإفتاء في الجامعة الإسلامية دار العلوم / ديوبند نحو أربعين سنة.

وكان غاية في إنكار الذات، والتواضع، وستر الحال، والاجتهاد لإسداء الخير، والنفع للخلق، حتى كان دائب التطواف بعد صلاة العصر على البيوت حتى يطلع على حوائج الأرامل والعجائز، والعفيفات من النساء اللاتي يفقدن كفلاء الأمر، فيحقق لهن حاجاتهن من السوق وغيرها ويحملها إليهن بنفسه. كما كان يتابع سطوح بيوت الفقراء أيام المطر، فيرممها بنفسه .

وُلدَ رحمه الله في ١٢٧٥هـ الموافق عام ١٨٥٨م. وتخرج من جامعة ديوبند عام ١٢٩٨هـ. وتوفي ١٧/ جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ بديوبند. ودفن بالمقبرة القاسمية.(شبكة المدارس الإسلامية بباكستان)

(١) كتاب الشيخ محمد إلياس بين المؤيدين والمعارضين للدكتور عبد الخالق بيرزاده صـ ٢٣.

۞ **ويقول الدكتور محمد بكر إسماعيل(رحمه الله) أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر عن { أهل الدعوة والتبليغ }** في مقدمته لكتاب (**حياة الصحابة**) للعلامة المحدث محمد يوسف الكاندهلوى الذى قام بالتعليق عليه صـ ٩، ١٠ : عُرفت هذه الجماعة بإسم أهل الدعوة والتبليغ وهو اسم طابق مسماه فإن أهل الدعوة والتبليغ يقومون بأمرين أساسيين :

الأول: تبليغ من لم تبلغه الدعوة الإسلامية وهدايتهم إلى الإسلام بالحجة البالغة والسماحة التى اكتسبوها من سيرة الصحابة رضوان الله عليهم ومَرنوا عليها بكثرة المجاهدة والذكر .

الثانى: دعوة العاصين من المسلمين إلى الصلاة أولا بوصفها عماد الدين ولأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإذا ما صلوا خشعت قلوبهم ولانت جلودهم لذكر الله وانكسرت شهواتهم، وضعف ميولهم إلى المعاصى فكفوا عنها بسهولة ويسر ، وسهُل عليهم أن يستجيبوا لله فى سائر ما أمر به ونهى عنه، ثم يخرجون بهم فى سبيل الله أياما ليروا صورة من صور الإيمان الصادق والإخلاص الكامل والحب الغامر والإشراق الساطع من خلال قراءة القرآن والذكر المتواصل بالليل والنهار وليتعلموا كيف يكونوا قوما صالحين ودعة مرشدين.

ثم قال (رحمه الله) أيضا فى موضع آخر : لقد عرفتهم عن قرب وخرجت معهم فما رأيت منهم ما يخالف كتابا ولا سنة بل لقد تعلمت منهم ما لم أكن أجده إلا عندهم .

فهم قوم يكثرون من قراءة القرآن والذكر المشروع، ويقيمون الصلاة فى المساجد، ولا تكاد تجد رجلا منهم يتخلف عن صلاة الجماعة، لا يخوضون فى أعراض الناس ولا يتكلمون إلا بخير، ويبتعدون كل البعد عن الخوض فى الخلافات المذهبية حتى تظل قلوبهم مؤتلفة على طاعة الله ورسوله فإن الخوض فى الخلاف كثيرا ما يحدث العداوة والبغضاء بين المتحابين، الأمر الذى يمزق وحدة المسلمين ويفرق جمعهم ويذهب ريحهم ويشغلهم بأنفسهم عن نصرة دينهم وتأدية ما أوجبه الله عليهم، وهم أغنياء بالله فقراء إليه لا يسألون الناس شيئا ولا يتخذون على دعوتهم إلى الله أجرا، ولا يعتمد بعضهم على بعض فى النفقات بل كل واحد منهم ينفق على نفسه من ماله الخاص فى السفر والحضر، فلا تكاد تجد واحدا منهم يعيش عالة على غيره .

ليس لهم أمير دائم فكلهم أمراء إذا خرجوا فى سبيل الله أمروا عليهم واحدا منهم ، بعضهم خدم لبعض، لا يحب واحد منهم أن يتميز عليهم فى شىء فترى أكبرهم سنا وأكثرهم علما وأوفرهم مالا وأعلاهم منصبا

يطهو الطعام ويعده لإخوانه فى تواضع جم وسماحة نفس، وسلامة طبع وحسن خلق .

وقد رأيتهم يحبون العلماء ويجلونهم الإجلال كله، ومن آدابهم فى توقير العلماء خفض الصوت فى مجالسهم، وحسن الإنصات إليهم والتفانى فى خدمتهم، والتغاضى عن زلاتهم وهفواتهم، وطلب الدعاء منهم، وما رأيت قوما أطوع إلى العلماء العاملين منهم (١) .

❁ **ويقول عنهم الشيخ عبد الله بن باز** (رحمه الله) **{ في رسالته ردا على الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الحصين }: أما بعد**: فأخبركم أني لا زلت على رأيي في الجماعة المذكورة فيما كتبته عنهم قديماً وحديثاً من الكتابات الكثيرة، وما كتبه سلفي شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ قدس الله روحه ونور ضريحه وما كتبه غيرنا من العلماء. وأيده جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله وجلالة الملك فهد وفقه الله فيما كتبه إليّ، لأنهم قد نفع الله بهم نفعاً كبيراً وهدى بهم جمعاً غفيراً، فالواجب شكرهم على عملهم وتشجيعهم وتنبيههم على ما قد يخفى عليهم، وذلك من باب التعاون على البر والتقوى والتناصح بين المسلمين إلا أني أنصحهم وجميع المسلمين، لا

---

١) منقول من تقديم الدكتور محمد بكر إسماعيل لكتاب حياة الصحابة للشيخ يوسف الكاندهلوي .

سيما الشباب أن لا يسافر منهم إلى بلاد الكفار إلا أهل العلم والبصيرة، لما في ذلك من الخطر العظيم على كل من ليس له علم بالشريعة الإسلامية والعقيدة الصحيحة التي بعث الله نبيه محمداً ﷺ ودرج عليها سلف الأمة.

أما ما نسبه المعارضون لهم عني من الرجوع عن رأيي فيهم فهو كذب علي، بل إني نصحتهم ووبّختهم على عملهم، وقلت لهم فيما قلت متمثلاً بقول الشاعر:

أقلوا عليهم لا أباً لأبيكمُ من اللوم أو سُـــدُّوا المكان الذي سَـــدُّوا

وحرّضتُهم على كثرة الاجتماع بهم والخروج معهم، وأوضحتُ لهم ما فيه من الفوائد، وطلبتُ منهم أن يتهموا الرأي وينظروا في العواقب، وبينتُ لهم ما في انشقاقهم وخلافهم من الشر العظيم وسوء العواقب في الدنيا والآخرة، وأن ذلك من الشيطان، أعاذنا الله منه ليصرف الناس عن الدعوة إلى الله ويشغلهم عنها بفساد ذات البين وكثرة القيل والقال.. هذا ما أدين الله به وأعتقده وأسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويمنحنا الثبات عليه والباطل باطلاً ويمنّ علينا باجتنابه، ولا يجعله ملتبساً علينا فنضل، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله الذي بعثه رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين (١).

---

١) من رسالة للشيخ ابن باز في الرد على الشيخ إبراهيم عبد الرحمن الحصين حفظه الله تعالى بالمدينة المنورة المؤرخ ١٤٠٧/١/٢٧هـ. .

۞ **ويقول أيضا الشيخ عبد الله بن باز** { في الرد على رسالة لفضيلة الشيخ سعد ابن عبد الرحمن الحصين }: فقد وصلني كتابك المؤرخ ٣/ ٣/ ١٤٠٨هـ، ومشفوعاته كتابك لفضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري وفضيلة الشيخ يوسف الملاحي وما أرفقت بهما، واطلعت عليها كلها.

ولا أكتمك سراً إذا قلت إني لم أرتح لها ولم ينشرح لها صدري لأن هذه الطريقة التي سلكت لا تفيد الدعوة شيئاً، لأنها تهدم ولا تبني وتفسد ولا تصلح، وضرها أقرب من نفعها، ولم يعد ضررها إلا على الدعوة وعلى إخوانك في الله من خيرة المشايخ وطلبة العلم نشئوا على التوحيد والعقيدة الصحيحة علماً وتعليماً ودعوى وإرشاد وقد استغلها من لا بصيرة له في مناصبتهم العداء وتكفير بعضهم لهم، واستباحة بعضهم لدمائهم والعياذ بالله مع الوشاية بهم واستعداء المسئولين عليهم وتهويل أمرهم عندهم وتخويفهم منهم ورميهم بالعظائم، وإلصاق التهم بهم مما هم برآء منه، حتى حصل على الدعوة والدعاة من الضرر ما الله به عليم، أما من أقمتم الدنيا وأقعدتموها من أجلهم فينطبق عليكم قول الشاعر:

وناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرّها وأوهى قرنه الوعل

لكونهم بمنأى عنكم في بلادهم سائرين في دعوتهم في حماية من دولتهم لاحترامها لهم لأنك ذكرت في بعض كتابتك لنا أن رئيس الحكومة يحضر

اجتماعاتهم ويشجعهم. كما ذكر لنا هذه الأيام بعض أبنائنا المتخرجين من كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية ممن شاركهم في الدعوة سنين طويلة، أن مركزهم في رائيوند مفتوح ٢٤ ساعة، وجماعات تخرج في سبيل الله، وجماعات ترجع.

فما دام الأمر هكذا فلن تخضعهم كتاباتك وكتابات أمثالك المشتملة على الفظاظة والغلظة والسب والشتم، بل أن هذه الكتابات ستكون سبباً في نفرتهم من الحق وبعدهم عنه، لقول الله سبحانه لنبيه محمد رسول الله ﷺ الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }(١).

وقول النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ"(٢).

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٥٩.

(٢) والحديث بتمامه: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: « اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ : قُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ » .(متفق عليه .رواه البخاري – واللفظ له – (٥٧٨ ح ٦٩٢٧) و (٥٣٧ ح٦٣٩٥) ومواضع أخرى، ومسلم (١٠٦٣ح ٢١٦٥))

وعَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ " (١)، وَفِي رِوَايَة :" إِنَّ اللهَّ رَفِيق يُحِبّ الرِّفْق، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْق مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْف، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى سِوَاهُ ".

والله سبحانه وتعالى نهى عن سب الكفار إذا كان يفضي إلى سب الله، فكيف بسب المسلمين إذا كان يفضي إلى تنفيرهم من الحق وبعدهم عنه وعن الداعين إليه؟! فالواجب أن تسعوا في الإصلاح لا في الإفساد، وأن تخالطوهم وتنبهوهم على ما قد يقع من بعضهم من الخطأ بالرفق واللين لا بالعنف والقسوة.

أما تشديدك في إنكار البيعة على التوبة فقد اقترحت على قادتهم لما اجتمعت بهم في موسم الحج الماضي بمكة، وحصل بيني وبينهم من التفاهم ما نرجو فيه الفائدة، أن يكون عهداً بدل بيعة، فقبلوا ذلك ولعلهم تعلقوا بما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الجزء ٢٨ ص٢١ من الفتاوى من عدم إنكار ذلك.

وكذلك تشديدك النكير عليهم في إبقائهم أحد الدعاة في المسجد للدعاء لهم، ولعل قصدهم الاقتداء بالنبي ﷺ حين بقي في العريش يوم بدر مع الصدّيق يناشد ربه النصر حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده

---

(١) صحيح مسلم - (ج ١٢ / ص ٤٨٧).

الصدّيق وقال: يا رسول الله! كفاك مناشدتك ربك فإن الله سينجز لك ما وعدك.

وقد تمنيت أنك قبلت نصيحتي المتكررة لك، وما أشرت به عليك سابقاً ولاحقاً في كتبي المرفق بعضها مع بعض صور، مما صدر منك في الموضوع لأني كتبتها عن بصيرة وتأني ونظر في العواقب وموازنة بين جلب المصالح ودفع المضار، وخبرة تامة بهم لتكرر اجتماعي بهم في مكة والمدينة والرياض مع ما استفدته من ثقات المشايخ الذين سافروا إليهم وحضروا اجتماعاتهم واطلعوا عليها عن كثب وأعجبوا بها.

وكنت نصحتك بما نصحتَ به محمود إستنبولي لما تهجم عليهم على غير بصيرة كحال أكثر من شن عليهم الغارة في هذا الوقت بدافع الجهل والهوى، نعوذ بالله من ذلك.

وقد قلتَ في رسالتك المذكورة لمحمود، وصلتني رسالة منك حول جماعة التبليغ ويؤسفني أن ينهج أحد الدعاة إلى الله هذا المنهج المخالف لشرع الله في سب أقرانه في الدعوة إلى الله وشتمهم وتضليلهم واتهامهم بتنفيذ مخططات أعداء الله في الكيد للإسلام والمسلمين.

كل ما في الأمر من أن جماعة التبليغ نهجت في الدعوة إلى الله منهجاً، أخطأت (فيما نرى) في بعض جوانب منه، ونرى من الواجب أن ننبههم

على هذا الخطأ، كما نرى من الواجب الاعتراف بما في منهجهم من صواب. وليت أخي يخرج معهم ليتعلم منهم اللين بدل القسوة، والدعاء للمسلمين بدل الدعاء عليهم، والجدل بالتي هي أحسن بدل الجهر بالسوء، وكلنا محتاج لتفقد نفسه وتصحيح منهجه والرجوع إلى الله وإلى سنة رسوله في طاعة الله والدعوة إليه. انتهى كتابك بحروفه.

وقد كتبته بعد اختلافك معهم في الرأي ولكن الله أنطقك بالحق فالحمد لله على ذلك..وإليك رسالتك المذكورة مع شكرنا لك عليها برفقه، وربما اغتر بكتاباتك القاسية ثقة بك من لم يخالطهم في عمره ولم يخرج معهم ولم يعرف عنهم شيئاً إلا من كلامك فيكون عليك وزرك ومثل أوزار من انخدع بما كتبت إلى يوم القيامة. فاتهم الرأي يا بني! واعلم أن الله عند لسان كل قائل وقلبه، وأن الله سيحاسب الإنسان عما يلفظ به أو يعمله، والجأ إلى ربك واضرع إليه أن لا يجعلك سبباً في الصد عن سبيله وأذية المسلمين.وأسأل الله عز وجل أن يشرح صدرك لما هو الأحب إليه والأنفع لعباده وأن يختم لي ولك بالخاتمة الحسنة إنه جواد كريم (١).

---

(١) رسائل الشيخ عبد الله بن باز في تأييد أهل التبليغ والدعوة ومن أراد الاستزادة فعليه بالنظر في كتابنا الكلام البليغ في تأييد أهل التبليغ والدعوة.

۞ وفي تقرير للشيخ صالح بن علي الشويمان (مندوب الدعوة والإرشاد بمنطقة عنيزة) قدمه للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد) حفظه الله :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أما بعد: فقد بدأت إجازتي في١/ ٣/ ١٤٠٧هـ وسافرت إلى باكستان في٣/ ٣/ ١٤٠٧ هـ مع مجموعة من العلماء وطلاب العلم من مختلف الجامعات، من الجامعة الإسلامية، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الملك سعود وغيرها، فشاهدنا العجب العجاب، فبعد وصولنا مطار لاهور استقبلنا جماعة من الشباب الصالحين الذين يشرق نور العلم والإيمان من لحاهم ووجوههم، واتجهنا إلى مسجد المطار فأدينا فيه السنة ثم جلسنا حول بعضنا ونحن من بلاد مختلفة، فقام واحد منهم يتكلم بكلام عجيب يأخذ بمجامع القلوب.

ثم جاءت السيارات ونقلتنا إلى مقر الاجتماع في رايوند، ذلك الاجتماع الجميل الذي تخشع بسببه القلوب وتذزف منه العيون وابل دموع الفزع والسرور والخوف من الله، يشبه اجتماع أهل الجنة، لا صخب، ولا نصب، ولا لغو، ولا فوضى، ولا كذب، نظيف جداً لا روائح ولا أوساخ، ومرتب

ترتيب دقيق، فلا مرور ولا شرطة ولا نجدة ولا حراس، مع العلم أنه يفوق المليون .

حياة طبيعية فطرية يحوطها ذكر الله، علم ومحاضرات ودروس وحلق ذكر ليلا ونهاراً، فو الله إنه اجتماع تحيى به القلوب وينصقل به الإيمان ويزداد، فما أروعه وما أجمله يعطيك صورة ناطقة عن حياة الصحابة والتابعين وأتباعهم رضوان الله عليهم، جهد وعلم وذكر، كلام جميل، أفعال جميلة، حركات إسلامية رائعة، ووجوه مشرقة بنور الإيمان والعلم، فلا تسمع إلا كلام التوحيد والذكر، والتسبيح والتحميد، والتهليل والتكبير، وقراءة القرآن، والسلام وعليكم السلام ورحمة الله، وجزاكم الله خيراً، ولا ترى إلا ما يسرك ويبهج قلبك من إحياء سنن المصطفى طريـة تتمتع بهـا فـي كل لحظة، ما أجمله وما أحلاه من اجتماع إسلامي عظيم .

وبالجملة تطبيق عملي لكتاب الله وسنة رسوله، فيا لها من حياة طيبة سعيدة، كم تمنيت من قلبي أن يكون هذا الاجتماع في ربوع المملكة العربية السعودية، لأنها جديرة بكل خير، ولأنها سبّاقة إلى كل خير منذ فجر عهد الملك عبد العزيز المشرق غفر الله له وقدّس روحه في جنات النعيم، وجمعنا وإياكم به في الفردوس الأعلى.

وأفراد هذا الاجتماع أشخاص من جميع جهات العالم على شكل واحد، وطبع واحد، وكلام واحد، وهدف واحد، وكأنهم أبناء رجل واحد، أو كأن الله سبحانه خلق قلباً واحداً فوزعه على هؤلاء، ليس لهم مطامع، ولا مآرب غير التمسك بأهداب الدين، وإصلاح شباب المسلمين، وهداية غير المسلمين إلى صراط الله الحميد، فكيف يجرؤ المرجفون على النيل من هؤلاء الصالحين ؟ وقد قال فيهم الشيخ عبد المجيد الزنداني: هؤلاء أهل السماء يمشون على الأرض.

فأي قلب يجترئ على سبهم أو اتهامهم بما ليس فيهم، أنني أزعم أن هدف هذه الجماعة هو هدف حكومة المملكة العربية السعودية، وهو: إصلاح الناس في جميع العالم، ونشر الأمن والأمان في جميع المعمورة، وإذا انتهت المحاضرات بعد العشاء وسرحت طرفك يمنة ويسرة رأيتهم وروداً علمية تتفكه فيها حيثما شئت، فأي حلقة تجلس فيها لا بد أن تخرج منها بفائدة، وإذا هدأت الرجل ونامت العين رأيتهم كالأعمدة يصلون قبل النوم، فإذا كان آخر الليل سمعتهم وكأنهم خلية نحل بكاء ونحيب وابتهال إلى الله، بأن يغفر الله ذنوبهم وذنوب المسلمين وأن ينجيهم الله وإخوانهم المسلمين من النار، وأن يهدي الناس جميعاً إلى إحياء سنة المصطفى، وقصار القول أنه اجتماع جدير بأن يحضره كل عالم طالب علم،

بل وكل مسلم يخاف الله ويرجو الدار الآخرة، فجزى الله القائمين عليه خير الجزاء وثبتهم وأعانهم، ونفع بهم المسلمين، إنه سميع مجيب.

أما القائمون على الخدمة فكلهم من حفظه القرآن الكريم، فصاحب المطحنة يطحن باسم الله وبالتكبير والتسبيح، وصاحب المعجنة يعجن باسم الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله، والخبازين يخبزون باسم الله وبذكر الله والتسبيح والتحميد والتكبير أيضاً، وقد شاهدناهم وسمعناهم وهم لا يشعرون، فسبحان من فتح بصائرهم ووفقهم لذكره، ودلهم على الطريق الصحيح الذي يتمناه كل مسلم.

والحقيقة يا سماحة الشيخ أن كل من صحبهم لا بد أن يكون داعية إلى الله بالتمرين وطول الصحبة، فيا ليتني عرفتهم منذ أن كنت طالباً في الجامعة لكنت اليوم علامة في الدعوة وسائر العلوم.

وهذا ! والله ما أدين الله به، وسيسألني الجبار سبحانه عن ذلك، يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا يغني أحد عن أحد.

ويا ليت جميع الدعاة التابعين لرئاستكم المباركة يشتركون في هذا الاجتماع ويخرجون مع هذه الجماعة، ليتعلموا الإخلاص وأسلوب الدعوة، وأخلاق الصحابة والتابعين وأتباعهم رضوان الله عليهم أجمعين (١).

---

(١) من كتاب الكلام البليغ في تأييد جماعة التبليغ للمؤلف.

۞ فتوى فضيلة الشيخ/ عبد الله بن جبرين (رحمه الله) تدحض قول من قال أن الشيخ بن باز (رحمه الله) قد رجع عن رأيه قبل موته، وتبين كذبهم ، فاقرأ السؤال وإجابته بتمعن، وللعلم الكلام موجود على اليتيوب بالصوت والصورة للشيخ (رحمه الله): فقد سئل فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين _ خلال زيارته لمحافظة الخرج يوم الأربعاء ليلة الخميس الموافق ليلة ٢٤ من شهر جمادى الأول عام ١٤٢٩ هـ : فنحي فضيلتك في هذه الليلة المباركة فقبل أن نطرح على فضيلتكم الأسئلة : نبين بعض الأحوال التي امتن الله بها على أهل الدعوة من إصلاح بين الشباب وإصلاح ذات البين، وقمع للمنكرات، وإحياء كثير من المعروفات.

وكثير من الشباب اهتدى على أيديهم وتغيرت أحوال كثير من الشباب وصار هناك كثير من الشباب الذي يعق والديه، ويروج المخدرات ويقوم بالأمور التي لا تخفى على الناس في كثير من المجتمعات ، وبفضل قيام الإخوان المجتهدين بالجهد تغيرت كثير من هذه الأحوال في الداخل والخارج، وكذلك تمت معالجة أمور كثيرة، يعني على أيدي هذه الجماعة،

والله ! لقد حضرت الاجتماع التالي لهذا الاجتماع الذي حضره وكتب فيه هذه الرسالة وذلك عام ١٩٨٧م بباكستان، وكان يوزع هذا الخطاب بيده في الاجتماع.

ولكن هناك من يعارض هذه الجماعة، حتى وصل الحال أن بعضهم يقول: اترك، اترك يأكل المخدرات ويشرب المسكرات ولا يمشي مع هؤلاء الأخوة الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فسؤالنا يا فضيلة الشيخ: ما رأي سماحة الشيخ عبد الله ابن باز في جماعة التبليغ وما هو رأي فضيلتكم؟.

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وبعد: الأصل أنه نشأ جماعة التبليغ في الهند والباكستان ، وكان أول من نشأ منهم عالم يقال له محمد إلياس وقاموا بالدعوة ونفع الله بدعوتهم، ولكن حيثُ أنهم نشأوا في تلك البلاد والتي وجد بها معابد ومزارات وقبور، وأن أهلها على عقيدة الأشاعرة، ولا يملكون إلا سبعة صفات فهؤلاء أنكر عليهم العلماء عقيدتهم ومسيرتهم، ورد عليهم بعض العلماء منهم الشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري رحمه الله كتب ردا :(القول البليغ في الرد على جماعة التبليغ) ولم يتجرأ على نشره وقد حاول أن ينشره ويعرضه على الشيخ ابن باز، وابن باز يؤيد هذه الجماعة، وبعد ما توفي الشيخ ابن باز وتوفي الشيخ حمود طبعه أولاده، ولما طُبع ظن جماعة من الناس أن هذا ينطبق على كل من قام بهذه الدعوة.

ولو نظرنا إلى أولئك الذين كانوا في الباكستان قد أصلح الله بهم خلقا كثيرا، وقد اتصلوا بالمشايخ وهداهم الله وتحققوا من التوحيد ودعوا إليه، وصاروا موحدين وترك تلاميذهم زيارة تلك المزارات، وكذلك زيارة الأماكن التي يتبرك الناس بها.

ويرأس أهلهم قبل ٥٥ سنة أحد زملائنا وإذ هم على عقيدة التوحيد، يعتقدون وحدانية الله تعالى، ويحرمون التوسل ودعاء الأموات، هذا الذي ظهر منهم، لما جاءت فرقة منهم في حدود عام ١٣٧٦ هـ وامتحنهم أحد زملائنا منهم الشيخ فهد بن حميد ، وجدهم متأثرين بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبكتبه، وأنهم على طريقة سليمة.

والذين زاروهم يقولون: أنهم عندهم قبر محمد إلياس وأنه في تلك البقعة وأنه يتوسل به، ولكن هذا عند الجهلة وليس عند العلماء والدعاة ونحوهم.

ثم نقول أنه قام بهذه الدعوة جماعة كثيرة في هذه البلاد وسموا بالأحباب وسموا أيضا بجماعة التبليغ، وقاموا يدعون إلى الله ويبينون للناس الحق، ويحرصون على أن يأتوا إلى البلاد التي بها الفسقة والعصاة ونحوهم ويصحبونهم فيتأثرون بهم ، وقد حصل من هذا شيء كثير، وأتذكر سنة ١٣٧٦ هـ ذهبنا مع جماعة كبيرة من الهنود ومعهم البعض من

المملكة ووصلنا الخرج ووجدناهم مجدين في الدعوة والعلوم الشرعية، ونحو ذلك ولم نرى عليهم منكرا، وكان معنا الشيخ عبد الله بن غيث رحمه الله وكان كثيرا يلقي عليهم الأسئلة ويناقشهم ولا يجد عندهم شيء المنكر ، بل يقومون بالدعوة.

وبمبيتنا في الخرج عَرفوا الخروج على من يصحبهم ، وتوجهوا بعد ذلك إلى الأفلاك ثم إلى أرض الدواسر، ونحنُ رجعنا من الخرج لأننا عندنا دراسة.

ثم بعد مدة أي في سنة ١٣٨٣ هـ قام جماعة من السعوديين واجتمعوا في مسجد وافترقوا فرقتين، فرقة ذهبت إلى الحاير(١)، وفرقة ذهبت إلى بنبان(٢) وأنا ذهبت مع الذين ذهبوا إلى بنبان، ثم وصلنا إلى بنبان ، ثم بعد ذلك قمنا بمحاضرة وكان معيَّ أخي محمد، ومحاضرة بعد العشاء وبعد الفجر، وبعد صلاة الجمعة، وبعد صلاة العصر، ودعوناهم ورجعنا.

هذه الجماعة كلهم سعوديون من طلاب المعاهد العلمية والكليات، ولم نلاحظ عليهم شيئا ينكر أو ينتقد.

---

(١) هي مركز من فئة (أ) وتقع في إمارة مدينة الرياض، والتابعة لمنطقة الرياض في السعودية.

(٢) بنبان، هي مركز من فئة (ب) وتقع في إمارة مدينة الرياض، والتابعة لمنطقة الرياض في السعودية.

هؤلاء الجماعة الذين سمعوا بالأحباب أو بجماعة التبليغ وصاروا يخرجون بالشباب يصحبون شباب على شفا الانحراف فيرجعون بسبب صحبتهم متأثرون.

يذكرون بالآخرة، ويذكرون بالجنة والنار، ويذكرون بالأعمال الصالحة، يحذرون من المعاصي صغيرها وكبيرها، ولا يزالون كذلك فإذا رجعوا ولو بعد ثلاثة أيام أو شهر، فإذا أولئك الشباب تابوا أو أقلعوا وتركوا ما كانوا فيه من المعاصي والمحرمات ونحوها.

وأذكر قبل سبع سنوات أو ست سنوات زرنا محافظة ..... وهناك ذكر لنا الأحباب أنهم اصطحبوا مجموعة من الشباب كانوا لا يصلون وكانوا يحلقون اللحى وكانوا ركبوا الدشوش على أبواب بيوتهم فأخذوا الشباب معهم أسبوعا أو عشرة أيام ورجعوا متأثرين وكسروا تلك الدشوش، وصاروا يحافظون على الصلوات وأعفوا لحاهم وتابوا، وبعض المشايخ الذين هناك أنكروا عليهم الذهاب مع هؤلاء الأحباب، وقالوا إن هؤلاء مبتدعة وأنهم على ضلال وأنهم جهلة، ابقوا على حالتكم، كونوا كونكم لا تصلون، وكونكم تدخنون، وكونكم تحلقون لحاكم، أهون من خروجكم من صحبتكم لهم، لأنكم صحبتم أهل الضلال وأهل الفساد وأهل الجهل وأهل المنكر فلما قالوا ذلك أولئك الشباب رجعوا إلى ما كانوا

عليه من ترك الصلاة ونصب الدشوش وتركوا صحبتهم ، سألنا هؤلاء الذين خرجوا معهم بعضهم خرج معهم عشرة أيام وبعضهم صحبهم عشر مرات يخرج معهم: أخبرونا ما تستنكرون عليهم: هل يتركون الصلاة أو يأخرونها؟ قالوا لا والله إنهم يبادرون للصلاة في أول وقتها، وأنهم يأتون المساجد أول الوقت ويتنفلون قبل الصلاة وبعدها ويقومون في آخر الليل ويحثوننا على الذكر والصلاة ويذكرونا بمواعظ ونصائح، سألناهم: هل رأيتم منهم منكرات ؟ هل يشربون الخمور؟ هل يدخنون؟ هل يتعاطون المخدرات؟ هل يفعلون الفواحش؟ قالوا: لا والله! إنهم أناس صالحون ما رأينا منهم منكراً، مجالسهم مجالس ذكر، مجالس عبادة، يذكرون الآخرة، والذي يجلس معهم يتذكر الآخرة، ويعلم فضل العبادة، وهكذا كانت مجالسهم، وهي التي أثرت فيمن صحبهم، وحسن تعليمهم، وقدرتهم في تأثير من صحبهم وهكذا كانت صحبتهم.

وقد زكاهم مجموعة من العلماء وعندنا عدة رسائل للشيخ عبد الله بن باز في مدحهم وفي الثناء عليهم، وفي الرد على من انتقدهم وكذلك رسالة للشيخ محمد ابن إبراهيم_ رحمه الله – وكذلك رسالتان من الشيخ محمد بن عثيمين وصورتهما عندنا .

ولكن الذين ينتقدونهم اتفقوا على نكارتهم وقطعوا الكلام الذي فيه الثناء عليهم ومدحهم واقتصروا على التحذير منهم وعلى ذمهم، ولازالوا يحذرون منهم في كثير من الدوائر، واتفقوا على أنهم من أهل الإرهاب والذين يخرجون على الدولة والتكفير وحشاهم من ذلك فقد اختبرناهم وقد سألهم مشايخ كثيرون عما يعتقدون فما يذكرون إلا الخير.

نقول إن كان هذا تأثيرهم على من يصحبهم، عقيدتهم سليمة، قد قرأوا على المشايخ، قرأوا في المعاهد والكليات وجلسوا للمشايخ كثيرا، وتأثروا بهم وتعلموا الطريق ووسائل الدعوة من المشايخ وطريق التأثير وصاروا يأثرون ويتعلمون.

أقول الذين يطعنون فيهم ليسوا على الصواب، ممكن أن يكون طعنهم عليهم أنهم كانوا أشاعرة وقبوريين، ويقولون: لا يغيرون المنكر، نقول: إنهم يغيرون المنكر بالتدريج، إذا صحبهم صاحب المنكر فيغير من نفسه وإن لم يجابهونه لا يقولون له لا تحلق لحيتك، فإذا صحبهم تأثر بهم وتاب من حلق اللحية، لا يقولون : اترك شرب الدخان، ولكن لما يصحبهم يتوب إلى الله ويترك شرب الدخان، ولا يقولون إن ثيابك طويلة إن هذا منكر، ولكن بصحبتهم كل صاحب منكر يترك منكره.

وقد ينكر بعض المشايخ الحاضرين ، يقولون: إن هذا الخروج بدعة؟

نقول: **ليس ببدعـة**، بل إنه خروج للدعوة، والدولة الحمد لله تبعث الدعاة في الداخل والخارج، وفي كل محافظة مكاتب للدعوة.. ايها المسئولون عن هذه المكاتب عليكم أن تزوروا الأماكن التي فيها المنكرات، وتدعون الكفار الذين جاءوا للعمل، فإنهم ليسوا مسلمون بل هندوس وغيرهم من الكفرة، تدعوهم ويكون ذلك مؤثرا فيهم: حتى يسلم الكافر ويتوب المبتدع، والعاصي ويتعلم الجاهل، أليس ذلك من الخروج أليس ذلك من الدعوة.

الدولة تبعث دعاة إلى الخارج: إلى اليمن، وأثيوبيا، والإمارات، والسودان، دعاة يرشدون ويعلمون نفع الله بهم ، كيف يقال إن هذا الخروج بدعة؟ حيث علم وتيقن أن لهم سلف، وأن الإسلام ما انتشر إلا بسبب الدعوة: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَّ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَّ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي

أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ ، فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ " (١) .

وأرسل عليا: فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلا يَفْتَحُ اللهُّ عَلَى يَدِهِ، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لِذَلِكَ، وَيَرَوْنَ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ، هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ، فَأَمَرَ بِهِ، فَدُعِيَ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ، حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَنُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: عَلَى رِسْلِكَ، إِذَا نَزَلْتَ بِسَاحَتِهِمْ فَادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَوَاللهَّ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُّ بِهُدَاكَ رَجُلا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ "(٢).

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ، بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى سَرِيَّةٍ أَوْ جَيْشٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللهَّ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَقَالَ: " إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ، أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتُهَا أَجَابُوكَ إِلَيْهَا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ:

---

(١) صحيح البخاري» كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» سُورَةُ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ رقم الحديث: ٦٨٥١.

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَعْلِمْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَنَّ لَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَأَنَّ عَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا وَاخْتَارُوا دَارَهُمْ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يُجْرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْفَيْءِ وَالْغَنِيمَةِ نَصِيبٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَادْعُهُمْ إِلَى إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ، فَإِنْ أَجَابُوا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ تَعَالَى وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ تَعَالَى، فَلَا تُنْزِلْهُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا يَحْكُمُ اللهُ فِيهِمْ، وَلَكِنْ أَنْزِلُوهُمْ عَلَى حُكْمِكُمْ، ثُمَّ اقْضُوا فِيهِمْ بَعْدُ مَا شِئْتُمْ " »(١).

وقد دلت هذه الأحاديث على أن النبي كان يبعث الدعاة، وهذا دليل على أنهم ليسوا مبتدعين في هذا الخروج، وقد نفع الله بدعوتهم واستفاد منهم عددا كثيرا، ومن طعن فيهم فليخرج معهم يوما أو يومين ويكتب ملاحظاته التي أنكرها عليهم، ولا يغتر بهؤلاء الذين ينفرون عنهم،

---

(١) صحيح مسلم - الجهاد والسير (١٧٣١)، سنن الترمذي - الديات (١٤٠٨)، سنن الترمذي - السير (١٦١٧)، سنن أبي داود - الجهاد (٢٦١٢)، مسند أحمد- باقي مسند الأنصار (٣٥٢/٥) ، مسند أحمد - باقي مسند الأنصار (٣٥٨/٥)، سنن الدارمي - السير (٢٤٣٩).

وينفرون عن دعوتهم والذين يصدون كثيرا عنهم دون مبرر..نسال الله لنا ولهم الهداية والسداد(١).

۞ **ويقول الشيخ أحمد المرابط - حفظه الله - (مفتي موريتانيا): عن أهل التبليغ والدعوة**: أنا أول من عرفها من قبل أن تتكون جماعة من هذا البلد من ذلك الوقت وأنا على علم بشأنهم، وقد قلت قديما فيهم:

من ظن أن جمـــــاعة التبليغ جاءت بأمر ليس ذا تســـويغ

والناظمـــــون بهدي خـــير مبلـغ أوحى إليه الله بالتبـلـيـغ

لله تلك الجمـــاعة فرغـــت منها نفوسا أحســـن التفريغ

تدعو إلى الرحمن دعوة حكمة بجميل قول في النفـــوس بليغ

ليس هذا معناه أني أدعي لي أو لها أو لأحد من الناس العصمة ، حسب العالم من التحقيق أن يكون صوابه أكثر من خطئه، وإذا وازنا بين ما يلاحظ تجاههم وبين ما يقومون به تجاه الدعوة وبالأخص مقاومة المنصرين الذين يجتابون أقطار هذه البلد ويذهبون إلى الأدغال والأماكن التي لا يصلها أحد لكفاهم هذا .

وأنا أعرف شخصا كان مبطلا لا لدنيا ولا آخرة هداه الله على أيديهم، وصار حمامة مسجد وصار من الداعين إلى الله.

---

(١) وقد فرغت الفتوى من على اليوتيوب بالإنترنت.

وأنا على علم بكل ما يلاحظ لكن الموازنة بين مصلحتهم ومسدتهم لا أحد يسلم من شيء حالوا بين التنصريين والتنصير في كثير من البلاد.

أهم القـــوم الغـر الذي من الداء تستشفي بهم الأعين الرمـــد

وجـــوههـــم

أقلـــوا عليـهـــم لا أبا لأبيكـــم اللوم أو سددوا المكان الذين سدوا (١).

مـــن

لا أحد يسلم من أخطاء :

حسب العـــــالم من التحـــقيق أن يكون صـــــوابه أكـثر من خـطئـه

وحسب سوى المعصوم كون صوابه هو الأكثر الجاري و أخطاؤه أدنى (٢)

۞ والشيخ/ صالح المغامسي إمام وخطيب مسجد قباء بالمدينة المنورة (لما سُئِلَ عن الأحباب هل لهم أثر من السلف على هذا المنهج) قال:

الدعوة إلى الله سبيل الأنبياء وطريق الصالحين، وإذا كان الإنسان يدعو إلى توحيد الله وحده دون سواه، واتباع سنة نبيه ويدعو الناس ليدخلوا في الإسلام إن كانوا غير مسلمين، وإلى أن يستقيموا على الدين ويتركوا

---

(١) هذا البيت الأخير من شعر الحطيئة.

(٢) مفرغ من مقطع له على اليتيوب بالصوت والصورة.

المعاصي إن كانوا مسلمين، هذا كله خير عظيم ، ولا يحتاج مثل هذا إلى دليل، إذا كان الإنسان يدعو بهذه الطريقة ، لأن هذا هو الدين الذي جاء به رسول الله بقيت في تقسيم الناس وأحوالهم، أنا لا أتحمل في الذمة شيء، لكني أقول لا حرج في الخروج مع كل من يدعو إلى الله على بصيرة، وقد هدى الله بهؤلاء الفضلاء خلقا كثيرا ، ومن الصعب أن يجحد أحد ما بذلوه في الأمة(١).

۞ وسُئِل الشيخ عبد العزيز الفوزان: ما حكم الخروج مع جماعة الدعوة والتبليغ؟ وأخذ السائل واسمه أبو يوسف يتناولهم بالذم، فأوقفه مقدم البرنامج عن ذلك.وأجاب الشيخ: أنا أهنيه على حب المنهج السلفي، ولكن أقول له: أنا أعرف كثيرا من إخواننا هدوا إلى الحق، ولكن بعضهم عندهم شيء من الجهل _ اسمح لي يا أخ يوسف بذلك _ تجده يرى الآخرين الذين عندهم شيء من المخالفات التي هو يراها أو من البدع أنهم ضلال وأن منهجهم خاطئ وأنهم مهما عملوا فلن يقبل منهم، وهذا حقيقة ظلم عظيم للنفس ولأهل الإسلام، ويجب الإنصاف وأن يعرف لأهل الفضل فضلهم، وإن كان عندهم شيء من الأخطاء والبدع أحيانا .

وواجبنا بدل أن نشتمهم ونشمت بهم، أن نبذل غاية وسعنا في تعليمهم وتبصيرهم بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ

(١) مفرغ من مقطع له على اليتيوب.

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }(١).

أما أن نسعى في تنفير هؤلاء وهم أهل خير ومعظمهم دعاة إلى الله ويبذلون من الخير والنصح للناس، ما لا نبذله أنا وأنت والأخ يوسف وغيرهم في سبيل الدعوة إلى الله والنصح للمسلمين، ثم نحاول أن بخث هؤلاء حقهم ونكران فضلهم وبلائهم في سبيل الله ونصحهم للأمة، وربما نسعى بتنفير الناس منهم، فهذا صد عن سبيل الله، ترى أنه لا يجوز

الواجب مناصحة هؤلاء وبيان الحق لهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن ، ونضع في حسباننا أننا أحيانا نستنكر أشياء ليست منكرة والحق فيها مع المخالف وليست معنا، قال الإمام الشافعي(رحمه الله) وهو من هو في علمه وفقهه: رأيي صَوابٌ يَحتَمِلُ الخَطأ، و رأيُ غَيري خَطأ يَحتَمِلُ الصَّوابَ. (٢)(١).

---

(١) سورة النحل _ الآية ١٢٥.

(٢) قال ﷺ: " ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ ".

وقال الإمام الكرجي القصاب: مَنْ لَمْ يُنْصِفْ خُصُوْمَهُ فِي الاحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ، لَمْ يُقْبَلْ بَيَانُهُ، وَأَظْلَمَ بُرْهَانُهُ.

وقال الإمام الذهبي: الجَاهِلُ لاَ يَعلَمُ رُتْبَةَ نَفْسِه، فَكَيْفَ يَعْرِفُ رُتْبَةَ غَيْرِهِ.

هذا من عالم جليل إمام جهبذ، كيف بإنسان غيره محدود العلم وربما كان حديث عهد باستقامة وطلب علم، و يخطأ أحيانا كبار العلماء والدعاة.

أقول يا إخواني اتقوا الله عز وجل.. فبعض هؤلاء يضيعون دينهم ويحبطون حسناتهم وأجورهم بسبب قلة تورعهم عن ظلم خيار الناس من الدعاة والعلماء .

جماعة التبليغ أنا التقيت بكثير منهم وخاصة خارج المملكة لهم جهود كبيرة في الدعوة إلى الله ، وقد نفع الله بهم جما غفيرا من الناس ، ربما عند بعضهم قصور في طلب العلم أحيانا بسبب الجهل يوجد عندهم بعض البدع، فهل يا أخي واجبنا أن نظل أن نسبهم ونشتمهم ونبدعهم كما يفعل بعض هؤلاء أو نتعاون معهم على الحق وأن نتناصح معهم ونبين مواطن الخير التي توجد عندهم .. هذا ما يجب علينا نحوهم(٢).

---

(١) هذه قاعِدةٌ أصولية عند الفقهاء، وهي تُستَخدمُ فيما يَحتمِلُ الظنَّ مِن المسائل، وذلك بعد أن يجتهد الفقيه في البحث في المسألة والنظر في كافة الآراء الأخرى وأدلتها ومِن ثَمّ لا يرى إلا رأياً واحداً أقربُ للصواب. وكحال العديد مِن القواعد الأصولية، فيمكن تَعميمُ هذه القاعدة واستخدامها في معظم مناحي الحياة، حيثُ يَغلبُ فيها الظنُّ في تقدير الأمور. فلا يجدر بأحدنا أنْ يُنزّه نفسَهُ عَن الوقوعِ في الرأي الخاطئ.

(٢) مفرغ من مقطع له على اليتيوب.

وقال عنهم الدكتور عبد الله المصلح [الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن]: باختصار هي جماعة مباركة خيرة قد انتشرت في أفاق الأرض تدعو إلى الله وتعلم الناس دين الله وتخرجهم من الخمارارات إلى المساجد وتخرجهم من الملاهي والمراقص إلى بيوت الله وتعلمهم الآداب النبوية وتبذل جهدا في الأرض اهتدى على يدها الملايين، ودخل في دين الله على يدها الآلاف، لماذا نمنع هذا الخير، قد يقول قائل: لكنهم لا يهتمون بتكوين الإنسان تكوينا كا ملا في عقيدته وفقهه وفكره ، نقول يا أهل العقيدة، يا أهل الفقه، يا أهل الفكر، الفقه والفكر والعقيدة تولوه أنتم علموه أنتم، دعوه يدخله لكم المسجد وأنتم بعد ذلك تولوا تكميل ما عندهم من نقص، تعاونوا ولا تلاكموا، الذين لا يحسنون إلا أن يهدوا سيحاسبهم الله، يقولون عندنا الست صفات دعهم يعلمون الناس ذلك، عندما نريد أن نعلم إنسان ندخل الناس المدرسة الابتدائية ثم المدرسة المتوسطة ثم الثانوية ثم الجامعة، ثم الماجستر ثم الدكتوراة، والناس تقول إن لم يكن دكتورا وإلا نلغيه، لا يا أخي لازم يمشي في هذا الطريق بعض الناس همهم يعلموا الناس القرآن بعضهم همهم يعلمون السنة دعوهم يعلموا الناس السنة، بعض الناس يحبون أن يعلموا الناس الفقه دعهم يعلموا الناس الفقه، بعضهم قد تخصص في رد

الشبهات عن هذا الدين وما يكيده الأعداء لهذه الأمة وقد أصبح في هذا الباب عرف أصول الفساد ويريد أن ينبه الأمة إليه، دعه يقول ذلك، دعه يمضي دعه يمر دعه يقول دعه يخدم دينه، لماذا نحن لا نحسن إلا أن نهد؟ والذي يرد هذا ويرد هذا يريد أن يقول: مافي البرد لعبد الصمد وإذا رأيته وجدت فيه نقصا، لا يجوز ، علينا أن نتق الله علينا نخش الله، والله أعطى كل واحد قدرة وخصوصية يستطيع أن يخدم دين الله، دعه يخدم دين الله، مما استطاع أن يخدم الدين من خلاله، واحد استطاع أن يخدم دين الله من خلال خدمتهم الفقراء والمساكين والأيتام دعه يخدم دين الله، أنشئ مؤسسة للأيتام تعال أنت وضع لها منهج وأت بالمدرسين تدرسهم، ولكن تقول لا تضع حتى تكون مثلي، وتدع الأيتام حتى تتلقفهم أيدي اليهود والنصارى اتق الله اتق الله(١).

۞ **وقال الشيخ عائض القرني**(حفظه الله) **مخاطبا أهل التبليغ والدعوة**: إخواني في الله: أحبكم في الله، أنتم أحباب الله ، أنتم أحباب المسلمين، أنتم أحباب المؤمنين، أنتم أحباب الدعاة، أنتم أحباب العلماء، أنتم الذين نشروا الدعوة، أنتم الذين بلغتم رسالة محمد ﷺ في كل بيت، أنتم الذين هدى الله بكم الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، أنتم أحباب

(١) مفرغ من فتوى له على اليتيوب.

الأطفال في البيوت، أنتم أحباب الشيوخ، وأحباب العباد والزهاد والمخلصين والصادقين.

والله! إني أتقرب إلى الله بحبكم، والله! إن هذه الليلة من أحسن الليالي في حياتي لأني سألت الله أن يجمعني بكم، فمنهجكم منهج صحيح، وقد بلغتم الدعوة في مشارق الأرض ومغاربها .

فنحن في بلاد الحرمين نبلغكم السلام، سلام لكم من مهبط الوحي من مهد الرسالة، من منطلق الدعوة، أسلم عليكم من أرض محمد ﷺ ، وأبلغكم السلام من أرض مشى عليها سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ، وتربى فيها أبو القاسم ﷺ ، أبلغكم السلام من حراء، من الكعبة، من عند زمزم، من المطاف، من المدينة المنورة، من أحد، من قباء، من الأرض التي مشى عليها أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) كل هذه الأرض تسلم عليكم.

كلما أخبرنا الأخوة والناس والدعاة والعلماء أننا نزور الأحباب جماعة التبليغ، قالوا: بلغوهم السلام، وقولوا لهم : جزاكم الله خيرا عن الإسلام والمسلمين، وجعل ذلك في ميزان حسناتكم.

إذا انشغل الناس بالدرهم والدينار والقصور والعقار، فأنتم انشغلتم بصلاح القلوب ورد العصاة إلى الله، وبتذكير المجرم والمخطئ بالدلالة على الله.

يقول ابن الجوزي(واعظ الدنيا): وكان في بغداد ومنهجه يوافق منهجكم في الوعظ والدعوة، يقول يارب! أسألك أجرة الدلالة عليك، فإن الرجل لو دل المشتري على البضاعة لأخذ أجرة الدلالة.. فنسأل الله أن يعطينا وإياكم أجرة الدلالة.. فيا من دل الخلق على الخالق أبشروا بالأجرة عند الواحد الأحد في جنات النعيم(١) .

۞ **وقال الشيخ محمد بن أمان الجامي** (*رحمه الله*) [**في تقرير عن زيارة جماعة التبليغ في بنجلادش**]: ومما ينبغي التنويه به أن الجماعة تتمتع مما لا تتمتع به الجماعات التي تدعو إلى الله، وهو الصبر مع من يريدون إصلاحهم وهدايتهم وحسن السياسة معهم، صبرٌ يشبه صبر الأم الرؤوف على طفلها الحبيب.

وقد هدى الله بهم خلقاً كثيراً في مختلف الجنسية، وفي مقدمتهم شبابنا الذين نبعثهم للدراسة إلى أوروبا وأمريكا، ثم نهملهم ونتركهم وشأنهم

---

(١) هذه الكلمة ألقاها الشيخ عائض القرني عندما حضر إحدى اجتماعات التبليغ بفرنسا، وقد قمت بتفريغها من اليتيوب.

دون رعاية أو تربية، وقد قيّض الله بكثير منهم بهذه الجماعة فهداهم الله بها، بعد أن كادوا يمرقون من الإسلام متأثرين بحياة الجهة التي يدرسون فيها، ولديّ مشاهدات وقصص يطول سردها.

أذكر على سبيل المثال قصة قصيرة عن شاب من أهل الرياض حضر اجتماع داكا ضمن مجموعة من شباب في أمريكا بعد أن أنقذه الله من الجاهلية التي تورّط فيها، بسبب هذه الجماعة، وهذا أبدى لي رغبة في أن يعتمر، ولعل العمرة تُكفّر عنه سيئاته وتذهب بأمر الجاهلية.

فشجّعته على ذلك طبعاً، بعد أن ذكرتُ فضل التوبة، وأنها تجبُّ ما قبلها، فقال: وهو يحسُّ بالخجل والاستحياء باد على وجهه - يا أخ محمد أريد أن أعتمر، ولكن ما أدري كيف العمرة، وأين أعمل لها، وماذا أفعل إذا وصلت مكة ؟ لأني نسيتُ كل ما درسته في المرحلة الثانوية قبل أن أذهب إلى أمريكا ؟ وضيّعتُ كل شيء... قال هذه الجملة وهو متأثر، وأنا بدوري تأثّرت، فقلت له: فتعال بنا إلى بعيد عن الناس لكي أشرح لك أعمال العمرة إلى أن قال: هل تسمح تُسجّل لي ؟ قلت: لا مانع إذا لديك مسجل وشريط، فأحضر المسجل فسجلتُ له بالاختصار، فشجّعته على زيارة المسجد النبوي بالمدينة المنورة، وزيارة الجامعة الإسلامية لكي تُزوّده الجامعة بالكتب والرسائل النافعة.

والأمر الذي أريد أن أخلص إليه في هذه القصة وما قبلها أن لجماعة التبليغ مكاسب يطول سردها ليست لغيرها من الجماعات التي تدعو إلى الله في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وهي مكاسب ملموسة لمس اليد، لا يقدر أحد إنكارها عدواً كان أو صديقاً.

وسرُّ المسألة أن الجماعة جعلت الدعوة إلى الله ومحاولة إصلاح الناس هدفها في هذه الحياة، ولم تمسك الدعوة باليد اليسرى والتعيش باسمها باليد اليمنى، بل مسكتها بكلتى اليدين، ثم إنها ابتعدت عن التطلع إلى حب المدح والثناء عليها، بل استوى عندها المدح والذم، حتى أصبحت الحياة رخيصة عندها.

وأكتفي بهذه الإشارة لأن الأمر واضح، ولأن أثر دعوة القوم واضح كما قلت والعاملون يستدل عليهم بآثار أعمالهم وبمكاسبهم، والله ولي التوفيق، وفي ذلك الجو الذي ذَكَّرنا حياة الدعاة الأولين الفطريين... قضينا ثلاثة أيام.

ملاحظات : ومما يلاحظ أن جماعة التبليغ ليس لها اسم رسمي، وإنما يُسمّيها الناس بهذا الاسم الذي تدل عليه دعوتهم وعملهم وهو التبليغ والتذكير .

وأن المِرَانَ على الدعوة والتنظيم والاجتماعات المتكررة كل ذلك أكسبهم دقة التنظيم في أمورهم، دون أدنى تكلّف أو ملل .

وفي إمكان الجماعة أن تعقد وتُنظّم لأكبر اجتماع الذي لو قامت للإعداد له جهة غيرهم لتكلّفت نفقات باهظة، واحتاجت لزمن طويل جداً، أما جماعة التبليغ فلا تتكلف في مؤتمراتها ولقاءاتها شيئاً يُذكر، إلا ما كان من قِرَى الضيف بالنسبة للوافدين من جهات بعيدة، بل أفراد الجماعة يعتبر كل واحد نفسه مسئولا عن المؤتمر، فكل واحد منهم يقوم بعمل يخصّه، ويحضر ما في استطاعته أن يحضر، ثم يباشر العمل بنفسه، فكل واحد منهم يحاول أن يخدم وينفع غيره، مما جعل مستوى التحابُبِ عندهم مرتفعاً جداً .

اقتراحات: وبعد أن شرحنا هذا عن الجماعة وما تقوم به من أعمال إسلامية تُعبّر عنها تلك المكاسب الهائلة الملموسة التي تحدثنا عن بعضها، والتي يَعتَبِرُ فيها الصديق والعدو على حد سواء. . بعد هذا كله يحسُنُ بنا أن نقترح الآتي:

١) التعاون مع الجماعة تعاونا فعّالاً وصادقاً مُؤثّرين ومُتأثّرين، ليحصل ما يشبه تبادل الخبراء.

٢) نقترح أن يكون لنشاط الجماعة في صفوف طُلابنا ليُفيدوا ويستفيدوا، وطلابنا من أحوج الناس إلى مثل هذا النشاط، وهذه الدعوة المباركة.

٣) أن تُكثر الجامعة الإسلامية من المشاركة في لقاءات الجماعة ومؤتمراتهم، مُمَثّلةً في أعضاء هيئة التدريس وطلابها. وصلى الله وسلم وبارك على أفضل رسله محمد وآله وصحبه. (١).

۞ وسُئِلَ الشيخ عبد الله بن منيع [عن جماعة الدعوة والتبليغ] فقال:

أولا: حفظكم الله الحقيقة جماعة التبليغ يعني فيه اختلاف بين شرائح المجتمع الإسلامي العام فيما يتعلق بأحوالهم؛ لكن الذي يظهر من تتبع أحوالهم ومن تتبع نتائج دعوتهم أنهم دعاة خير، وأن ما يقومون به صار له أثر كبير في استصلاح مجموعة كبيرة ممن كانوا على مسارات منحرفة، فجعل الله في دعوتهم خيرا وبركة، كون إنهم يذهبون أربعة أشهر، ثلاثة أشهر، شهر، أقل، أكثر، ونحو ذلك فلا يظهر لي مانع في ذلك؛ لكن بعض من يسألوننا يقولون: إنهم يوجبون علينا ذلك، فنقول: الوجوب ليس واجب، بل من خرج معهم إن شاء الله واشترك معهم في هذه الدعوات وفي كذلك تجمعهم لذكر الله وفي تذاكرهم وتواصيهم بالحق وتواصيهم بالصبر، لا شك أن هذا في الواقع هدف جيد وفيه خير؛ لكن كونهم يلزمون إلزام على سبيل الوجوب فهذا لا يجب على أي واحد

---

(١) مختصر من التقرير ومن أراد الاطلاع على التقرير بكامله ففيه فائدة كبيرة فعليه بكتاب الكلام البليغ في تأييد أهل التبليغ والدعوة بقلم المؤلف.

منهم، وإنما على سبيل الاستحسان من أراد أن يخرج منهم، وفي نفس الأمر وخلاصة القول: أنهم في الواقع جماعات جعل الله في أعمالهم الكثير من استصلاح مجموعة كبيرة ممن كانوا على جانب من الانحراف الاجتماعي(١).

وسُئِلَ الشيخ/ سلمان العودة: ما رأيكم في [جماعة الدعوة والتبليغ] بكل صراحة ما دام في ذلك مصلحة للدين، وبماذا تنصح هؤلاء الإخوة؟.

ولماذا لا تكون كل الجماعات جماعة واحدة ممثلة في أمة محمد (ﷺ) وهي أمة الإسلام؟.

الجواب: أولاً: أنا أوافقك أنه يكفينا اسم الإسلام الذي سمانا به الله جل وعلا على لسان إبراهيم، فقال: { هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ } (٢) ، ولا داعي إلى أن نفرق المسلمين أشياعاً وأحزاباً. وبما أنك سألتني عن جماعة التبليغ، فأقول: الجماعة فيهم خير إن شاء الله، وفيهم اجتهاد، ودعوة إلى الله تعالى، وفيهم خلق حسن وفاضل، وفيهم تعبد، ويعينون الناس على تعلم الأخلاق الفاضلة، وحسن العبادة، والإقبال على الله، وهدى الله على

---

(١) فتوى الشيخ عبد الله بن منيع في جماعة التبليغ - برنامج (فتوى) اليوم: الأحد ١٤٣١/٥/٤هـ (الساعة٩:٠٠ مساء مقدم البرنامج: د/ مسعود الغامدي. ضيف البرنامج: معالي الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع. كما ورد في موقع وقناة دليل الفضائية.

(٢) سورة الحج_ الآية ٧٨ .

أيديهم كثيراً من الكفار إلى الإسلام كما هدى الله على أيديهم كثيراً من الضالين والفاسقين والمنحرفين إلى جادة الاستقامة والعبادة، لكن عندهم أخطاء، وأيضاً عندهم جهل، لأنهم لا يتعاطون العلم في مجالسهم، وكذلك لا يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كثير من البلاد، وربما يصلون في مساجد توجد فيها قبور، وتوجد فيها معاص، وبعض البدع، فلا ينكرون، بل ربما لا يوافقون أحداً على أن ينكر.

وأنا لا أقول هذا الكلام عن نقل، هذا واقع أعرفه، ومع ذلك أنا أحب كثيراً منهم، وخاصة أهل هذه البلاد؛ لأنهم إن شاء الله نرجو أنهم من أسلم الناس أو من أسلم أفراد الجماعة اعتقاداً؛ لأنهم تربوا على عقيدة صحيحة، والبلد -والحمد لله- بلد علم، ولذلك يستفيدون علمياً، وكثير منهم يحضرون مجالس العلم هنا، ويجيئون إلى العلماء ويسمعون منهم، ولا أرى في الواقع أن نشن حملة ضارية على هؤلاء أو نشهر بهم أو نشتمهم في الوقت الذي نسكت فيه عن اليهود والنصارى والمنافقين والعلمانيين وغيرهم! أقول: هؤلاء فيهم خير كثير، وفيهم أخطاء ويمكن تصحيح الأخطاء بها، وما أمكن وطالب العلم لا يلزم أن يخرج معهم، لكن إن رأى أحداً فاسداً يمكن أن يخرج فيصلح، فلا حرج في ذلك، وإذا صلح فإنه يزوده بالعلم الذي يقيه -بإذن الله- من وجود بعض الثغرات والأخطاء

والبدع التي قد يلقاها، سواء مع الجماعة أو إذا خرج إلى بلد من البلدان الأخرى التي توجد فيها مثل هذه الأمور، والكلام في هذا يطول، لكن هذا كلام على سبيل الاختصار(١).

۞ **ويقول الشيخ/ محمد بن ابراهيم التويجري**، {**وهو رئيس قسم الجاليات في رابطة العالم الإسلامي** }: إن جهد الأقدام هو باب النور للعلم والإيمان، فنور العلم والإيمان إنما يتحصل عليه هاهنا، وجهد الأقلام إنما هو مقدمة مساعدة لجهد الأقدام والعلم نور، وإنما يؤتى لأهل المجاهدة العاملين كما قال الإمام الشافعي(رحمه الله):

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

والله تعالى يقول﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢)

لقد درست التفسير ثلاث مرات والحمد لله تعالى، وختمت القرآن مئات المرات ولله الحمد سبحانه، ولكن الآن أفهم منه – في ميدان الدعوة – ما لم أكن افهمه من قبل .. في بيئة التضحية في المساجد، بل أظن نفسي أنني ما كنت فهمته على الحقيقة وحقيقة الهداية والتضحية والآن أعيد

---

(١) محاضرات مقروءة للشيخ سلمان العودة _ صلاح الظاهر والباطن (مفرغة علي موقع إسلام ويب).

(٢) سورة العنكبوت – الآية ٦٩ .

دراسة التفسير وأتدبره من جديد فأرى العجب من الفتح في الفهم والاستنباط، ولا عجب فهو الفرق بين العلم النظري والميدان العملي وبين المعلومات والمعمولات وحسبي الله من شر نفسي ومن شر الشيطان ٱومن شر سائر الأحوال المخالفة لما يحبه الله تعالى ويرضاه

ولو دونتُ أو أشرت إلى بعض هذه المفاهيم والاستنباطات في التفسير والفقه والاعتقاد وفقه الدعوة لطال ذلك، والإشارة إليه تكفي والله الكافي الشافي سبحانه

لقد وجدت توحيد العبودية والإلوهية يتكرر في كلامهم كثيرا، فلا يكاد يخلو منه كلامهم في البيانات ٱوالتعليمات للخارجين والعائدين وبألفاظ مختلفة:(لا معبود في الوجود إلا الله .. لا معبود بحق إلا الله تعالى) .

الله سبحانه هو المعبود، لا معبود غيره.

الله سبحانه هو المسجود له، لا مسجود له غيره.

كل شيء نسأله من الله تعالى بالدعاء وفي الصلاة) (نتعلم قضاء حوائجنا في الصلاة، فقد كان رسول الله (ﷺ) (إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة) (الله سبحانه هو المقصود وهو المطلوب) (نتوجه الى الله تعالى في كل حال ٱفبيده وحده سبحانه خزائن كل شيء) .. (نستفيد من خزائن الله تعالى).

ولقد وجدتهم يتكلمون في الصفات، ويذكرون صفات زائدة على الصفات العقلية التي يؤمن بها الأشاعرة والماتريدية مثل) صفة العلو (و) صفتي الغضب والرضا (و)صفة الرحمة (و)صفة الفرح، (وهذه ليست فقط في البيانات بل في أصول الدعوة هنا في رايوند فيما يسمى (الهدايات) التي تعطى للدعاة في أصول الدعوة قبل خروجهم للدعوة وبعد رجوعهم من دعوتهم

بل وجدتهم يربطون شعب الإيمان الستة أو الصفات الستة يربطونها بتوحيد العبودية أفيقولون:

الصفة الأولى: اليقين بالله تعالى (المتمثل بالكلمة الطيبة (شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله).. (إقرار بالعبودية) .

الصفة الثانية : الصلاة ذات الخشوع والخضوع ...(لإظهار العبودية).

الصفة الثالثة : العلم مع الذكر ...(لتصحيح العبودية).

الصفة الرابعة : إكرام المسلم وحسن الخلق ...(لتقوية العبودية).

الصفة الخامسة : تصحيح النية وإخلاصها لله تعالى ...(لقبول العبودية).

الصفة السادسة : الدعوة إلى الله والخروج في سبيله ...(لنشر العبودية).

بل وجدتهم أكثر الناس حثا على اليقين بالله تعالى وبمعيته السمعية والبصرية والعلمية أوقلما يوجد أحد يدعو ويربط الناس بخالقهم إيمانا وحبا وتعظيما ورغبة ورهبة مثلهم، أي والله! وقد خبرنا الذي عندنا – كسلفيين – وعند غيرنا من الدعاة ...هذا فضل الله عليهم لا نحسدهم عليه، فرحم الله من رأى حقا فأقر به فرحا بإصابة أخيه للحق، ورحم الله من رأى فضلا فأقر به متواضعا للحق وللخلق، إن الله سبحانه وتعالى هو صاحب الفضل ومعطيه ومسديه سبحانه.

ولقد تعلمنا من القرآن وأسلوبه، ومن كلام العلماء الربانيين أن توحيد العبودية إنما يبنى على هذه المعرفة الربانية) ويسمى توحيد المعرفة والإثبات (وهي معرفة الله تعالى بربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله وأنعمه سبحانه وتعالى، فعلى قدر هذه المعرفة تكون العبادة والتوجه والقصد لله سبحانه وتعالى.

ولقد يوجد بينهم من يتبنى رأي التأويل أو التفويض لمعاني الصفات أ لكن بصفة فردية فإنه درس هذا المذهب وتعلمه أولكنه لا يدعو أو يربي عليه أولا يجعله منهجا للدعوة لا هو ولا غيره، وذلك أن الدعوة الإيمانية التربوية والتي تسمى) بدعوة الإيمان واليقين (**هي ثمرة الاعتقاد الغيبي، وثمرة التوحيد الإلهي**) وملخصها أن نقول:

١) أن جميع الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة هو فقط بيد الله تعالى ٱوالفوز والفلاح يشمل قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والطمأنينة والسعادة، والعزة والرفعة في الدنيا والآخرة.

٢) إن الله تعالى بيده وحده خزائن كل شيء..خزائن المحسوسات وخزائن المعنويات كالرحمة والهداية ونحوها.

٣) إن الله تعالى خالق الأشياء وخالق الأحوال وخالق صفاتها.

٤) أنه تعالى يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه.. لا يحتاج إلى قدرتهم، ولا يحتاج إلى طاعتهم، وأنه سبحانه هو الصمد الذي تصمد الخلائق كلها إليه في حاجاتها.

٥) وثمرة ذلك :كيف نستفيد من خزائن الله تعالى؟ وكيف نتيقن بصفات الله سبحانه ؟ وكيف نستيقن بوعد الله تعالى ووعيده ؟

قال تعالى: (يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُون) (١).

وقال تعالى:(وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِين) (٢).

---

(١) سورة الرعد _ الآية ٢.

(٢) سورة الأنعام _ الآية ٧٥.

وقال تعالى:(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (١).

وإن هذه الدعوة الإيمانية – والتي أشبهها بمدرسة الإمام ابن القيم (رحمه الله) لا يمكن أن تقوم إلا على الصفات الإلهية وإثباتها لله سبحانه وتعالى من غير تعطيل سواء كان التعطيل تأويلا أو تفويضا (والله المستعان).

بل زبدة دعوتهم وجهدهم وخروجهم وتضحياتهم وهدفهم الصريح ومقصدهم الواضح يعبرون عنه بصيغة السؤال والجواب هكذا: ما هو مقصد هذا الجهد ؟ وماذا نريد من الناس في هذا الجهد ؟

مقصد هذا الجهد: أن يقوم المسلم بأوامر الله تعالى في كل مكان في كل زمان وفي كل حال، ولا سبيل إلى ذلك إلا عن طريق جهد ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

ووجدنا من السهل النصح والتأثير على هؤلاء الأشياخ والأفراد من الدعاة ولحسن خلقهم وطيب سجيتهم وكثرة تواضعهم وإخلاصهم خاصة من يأتيهم بالمحبة والحكمة، فإنه يجد باب القبول فيهم مفتوحا على مصراعيه.

---

(١) سورة السجدة _ الآية ٢٤ .

وهي حكمة مشايخنا الكبار الذين نصحونا بمشاركتهم ونصحهم والاستفادة من جهدهم وخبرتهم وتضحياتهم تعاونا شرعيا يبني ولا يهدم ويؤلف ولا يفرق يصلح ولا يفسد ويجدد ولا يبلي ويوضح ولا يلبس.. وبمثل هذا التعاون الشرعي نختصر الطريق على أمتنا المسلمة في نصرة الدين واستئنافها حياتها الإسلامية من جديد.

۞ وسُئِل الدكتور وهبة الزحيلي من كبار علماء الشام وصاحب كتاب الفقه الإسلامي وأدلته: مارأيكم في جماعة الدعوة والتبليغ؟.

فقال: جماعة الدعوة والتبليغ هم الآن أمة التبليغ القائمة بفرض الكفاية، وإن كان منهجهم على الطريقة الهندية وهي عرض الإسلام من جانب سلمي، وربما يكون هذا مناسباً في مبدأ الأمر ليدخل الناس في دين الله ثم تكتمل ثقافتهم ومعرفتهم ببقية أحكام الإسلام.

فهم إذن يستنون بسنة وسيرة النبي ﷺ في التفرقة بين المرحلة الملكية والمرحلة المدنية.

وعلى أية حال: إن هجوم بعض الناس عليهم لا مسوغ له، فهذا منهج أفضل من منهج المهاجمين الذين يتشددون في عرض الإسلام.

وهؤلاء الدعاة في غاية الصلاح والتقوى والزهد والتضحية من أجل نشر العقيدة، فلماذا نسأل عنهم؟! إلا لعرقلة مسيرة الدعوة والتبليغ،

وحسداً من الآخرين الذين يكفرون كما يكفرون أغلب المسلمين غيرهم(١).

۞ **ويقول الشيخ محمد أبو زهرة** (*رحمه الله*) (٢): وإنه توجد جماعات في البلاد الإسلامية تخصص نفسها للدعوة الإسلامية، وجدناها في لاهور (٣) عام ١٩٨٥ م.

وهذه الجماعات تخصص جزءا من أعمالها للدعوة إلى الإسلام، فيخصصون عُشر أوقاتهم وأموالهم، وجهودهم للدعوة إلى الإسلام، ويخرج الواحد منهم مجاهدا في سبيل الدعوة، لا يحمل شيء يقوى به إلا قوة نفسه ورغبته في تبليغ رسالة النبي(ﷺ)، ويذهبون حيثُ يكون للدعوة

---

(١) موقع الدكتور الزحيلي _ قسم الفتاوي على شبكة النت.

(٢) من علماء الأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية.

- وُلد في مدينة المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر سنة١٣١٥ هـ =١٨٩٨م.
- اختير للتدريس بكلية أصول الدين، ثم انتقل بعد ذلك إلى كلية الحقوق.
- عمل بقسم الشريعة الإسلامية، وتدرج في المناصب العلمية حتى ترأس القسم، وتولى وكالة الكلية، وأحيل إلى التقاعد (١٣٧٨هـ=١٩٥٨م).
- اختير عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية سنة (١٣٨٢هـ=١٩٦٢م).
- اشتهر " أبو زهرة " بالفكر الحر والشجاعة الفائقة في عرض قضايا الإسلام.
- كتب أكثر ما يزيد عن ثلاثين كتابًا، رُزقت القبول والشهرة بين الناس.
- سافر إلى كثير من بلاد العالم الإسلامي محاضرًا ومشاركًا في المؤتمرات.
- تُوفي سنة (١٣٩٤هـ=١٩٧٤م).

(٣) وهي إحدي مدن باكستان.

مجيب، وقد أسلم على أيديهم أكثر من أسلم من زنوج أمريكا وجزر الهند الشرقية، وغيرها كأطراف أندونسيا (١).

۞ ويقول فضيلة الشيخ : محمد إبراهيم شقرة (حفظه الله):

ليكن شعاركم المستعلي على محقرات التطورات والأفعال:(وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) وهذا ما أعلمه من أخلاق جماعة الدعوة والتبليغ:

إذا أتتك مذمتي من ناقص .....فهي الشهادة لي بأني كامل

وأذكر الأسم الذي اخترتموه لأنفسكم ليس قيه شيء تمتدحون به أنفسكم... اتخذتموه من قوله في وصف نبيه(إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ).

هل تقف شهادة الشيخ الألباني رحمه الله تعالى... لو كانت كما أرادها البعض أن تكون بما أشاعها عنه لما كانت تعارض تمنيه أن يكون السلفيون في جهدهم العملي في الدعوة الى الله على نحو جهد جماعة الدعوة والتبليغ بقوله يا ليت عندنا أدب الصوفية وجهد جماعة التبليغ لذا فإني أرى أن أمنية الشيخ الألباني رحمه الله تعالى أبلغ في المدح والثناء لجماعة الدعوة والتبليغ.

---

(١) مقتبس من بحث قدمه (رحمه الله) إلى مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة عام ١٩٧٢م، بعنوان الدعوة إلى الإسلام – تاريخها في عهد النبي (ﷺ) والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن، وقد نشره مجمع البحوث الإسلامية ضمن المؤتمر.

أما قول الألباني رحمه الله تعالى أن جماعة الدعوة والتبليغ : صوفية عصرية ،

لا أقول أنها من باب الذم بل أقول أنها تأييد لمدحه أخلاق المتصوفة في إكبارهم وطاعتهم شيوخهم.... وهذا يعود بالثناء على جماعة التبليغ أيضا .....وأنا لا أعيب على من ينال من جماعة التبليغ، بل أعيب على من يلقي السمع إليهم ويصغي لأحاديثهم.

وأقول لكم وليس ذلك من شأنكم.. إن إلقاء السمع إليهم والاهتمام دليل ضعف.. وأشهد الله سبحانه ، أني قد رأيت من جماعة التبليغ حرصا شديداً على لزوم الآداب الشرعية والمداومة عليها.. ما لم أرى من غيرها من الجماعات الإسلامية، ثم تجد فيهم من التواصي بالحق والصبر ما يبقى الحق لابثا فيهم لا يعرض له ضعف ولا ينتابه زوال ولا يغيره تغير، يعينهم في ذلك الحديث القدسي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

أما منهجهم الدعوي العملي التربوي الذي يصدرون عنه جميعا فهو مؤسس على كتاب رياض الصالحين للإمام النووي رحمه الله تعالى ، هذا الكتاب الذي كتب الله له القبول والرضا بين الناس، حتى أنه لا يكاد يعرف في حياة الناس، ما حظي بمثل هذا الكتاب العظيم، ولا أحسب ذلك إلا دليلا على صدق وإخلاص مؤلفه (١).

وسُئِل الشيخ: هل لك علاقة بجماعة التبليغ علاقة خاصة؟.

فقال: أنا لا أعادي مسلما يا شيخ، إلا إذا كان هو يعادي نفسه، ويعادي جماعة المسلمين، إنهم يرون في جماعة التبليغ أنهم جماعة ليسوا مؤمنين وليسوا مسلمين، وأن لهم من المنهج العلمي والدعوي الذي عند.. يا أخي هذا أخذوه عن مشايخهم كما أخذتم أنتم عن الشيخ الألباني، فلماذا أعيب على هؤلاء ولا أعيب على هؤلاء؟

فجماعة التبليغ بيني وبينهم مودة الإسلام ، هل يريدون أن أخرج عليهم بما يكتب بعضهم ويبلو في التهم التي يوجهونها لجماعة التبليغ لماذا ، هؤلاء مسلمون أنا إذا استطعت أن أصلح أصلح، أما إذا لم أستطع أن

---

(١) كلام الشيخ أبو شقرة ردا عل الأسئلة التي وجهت إليه من طلبة العلم من السعودية والأردن ومصر.. تتعلق بجماعة الدعوة والتبليغ اليوم الأثنين ٢٠١٠/١٠/١١م الموافق ٣ ذو القعدة ١٤٣١هجري بالاردن – عمان – مسجد صلاح الدين / بعد صلاة العشاء.

أصلح لا أكيل التهم كيلا، حتى أنهم قالوا: أنهم من الفرق الضالة التي ليست من جماعة المسلمين.

ووالله من جماعة التبليغ من هم أطهر منهم قلوبا، وأنقى منهم نفوسا، وأعود على الإسلام والدعوة الإسلامية منهم بالفائدة والخير، لماذا أتهم هذه بالاتهامات الهائجة المائجة التي لا تستطع إلى حد أن لا تستطيع أن تقنع بها طفلا صغيراً بجزئية منها، عندنا عالم يموج بوسائل الإعلام التي تظهر حقيقة الأشياء التي يعيش فيها الناس، أريد أن أقول أن جماعة التبليغ من الفرق الضالة التي يحكم عليها بما حكم على الخوارج والرافضة وغيرها من الفرق؟ هكذا هم يريدون.

أنا كتبت ولعلي آتيك بالمقدمة التي أثارت سخطهم وكانت أيضا من الأسباب التي قطعوا فيها لحمي وأرادوا أن يكون لي موقف يريدونه مني في جماعة التبليغ .

واحد كتب كتاب وهو من تلاميذي وجاء به وقدمت له(١)، فأخذوا علي ذلك فكانت الفاتكة بيني وبينهم(٢).

---

(١) يقصد بكلمة: تلميذه هو الشيخ محمد حماد وكتابه الجامع للأصول .

(٢) مفرغ من اليتيوب: https://youtu.be/VvUaIgaErXQ?t=45 .

♠ **ويقول شيخنا العلامة / الشيخ محمد إبراهيم شقرة عندما حضر الإجتماع السنوى الدولى فى الباكستان** : رجعت بكلمتين وعبرتين:

١. رأيت جهد أمة تقوم به جماعة...على الأمة أن تقوم بجهد هذة الجماعة.

٢. رأيت عملا ظاهرهالسنة وباطنه الحرقة والهمَّ لإحياء هذة السنة.

۞ **فضيلة الشيخ / أبو بكر جابر الجزائري [المدرس بالحرم النبوي الشريف]** بعد أن انتهى الشيخ أبو بكر جابر الجزائري من إلقاء محاضرته بالمسجد النبوي، وفى الرد على الأسئلة، سُئِلَ عن رأى فضيلته في جماعة التبليغ والدعوة.. فقال الشيخ: أقول إن جماعة التبليغ التي نشأت وبدأت في الهند، لما هبطت أمة الإسلام في الهند وفى غيرها فهيأ الله عز هذه الفرصة لرجل حينما تفكر كيف يقيم الدين، والحاكم كافر، والحكومة كافرة، ففتح الله سبحانه وتعالى عليه بهذا المبدأ ، وهو أن يأتي إلى الرجل في بيته أو في مقهاه، ويدعوه ليأتي إليهم في المسجد ليخرج معهم ساعة .. يوم.. يومين.. ثلاثة فإذا خرج معهم، صلوا أمامه ليصلى بصلاتهم.. ثم تكلموا معه عن الحق حتى يميتوا الباطل الذي عنده.

وهكذا انتشر الإسلام في فرنسا، أقيم ثلاثة آلاف مسجد، وفى بريطانيا كذا مسجد، وأمريكا كذا مسجد.. والله العظيم للسبب الأول: هو جماعة التبليغ .. فلهذا أنا أبرأ إلى الله ﷻ من كل من يقف في وجه هذه الدعوة

ويحاربها، أقول للمؤمن الصادق: ما أنت بملزم أن تخرج معهم أربعين يوماً، أو شهر أو أربعة أشهر أو ثلاثة أيام.

ولكن أنت ملزم أن لا تقف في وجه دعوة الله ﷻ، فلا تسب ولا تشتم ولا تقبح ولا تعير ولا تكذب عليهم وتقول كذا.. وكذا.. وإذا رأيت بدعة ابتدعوها فبين لهم: يا إخواني هذه بدعة فاتركوها وتخلوا عنها.. هذا القول لا يصلح.. وهكذا علمناهم في الشرق والغرب إذا رأينا باطل، نقول: هذا لا ينبغي، ويستجيبون، ويعدلون عنه، وتبقى الدعوة ماشية .

نحن طلبة العلم بل العلماء، لا نستطيع أن ننقل شخص من مقهى أو من أماكن المعصية ونهديه (١).. ما نقدر.. فقط نتكلم في المسجد، وهم يخرجون بهم ويجلسون معهم، ويعلمونهم كلمة التوحيد.. لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله، ويقيم الصلاة .

فكلمتي.. يا أبناء الإسلام أرددها.. هذه الدعوة والله لو كانت تعمل على إسقاط حكومتنا أو زلزلتها أو إضعافها، والله ما قبلناها وما كانت دعوة إسلامية أبداً.. ولكن ما رأيناهم يتعرضون للحكام لا بكلمة ولا بسلوك.. ولكن همهم ، كيف يعرف الإنسان ربه ويبكى بين يديه ويخر ساجداً في صلاته يعبد الله، ويتخلى عن الزنا وعن الخمر وعن الكذب وعن

---

(١) أى ندله على طريق الخير .

الباطل.

فلهذا أقول لأبنائي في أي بلد: فمن أراد أن يخرج ثلاثة أيام أو أربعين يوماً أو أربعة أشهر فليخرج، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ صَلَّى للهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِى جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ" رواه الترمذى (١).

فأيما شخص ما كان يقيم الصلاة فإذا خرج لأربعين يوماً ، فيصلى الصلوات الخمس في أوقاتها في جماعة أربعين يوماً فيتخلق هذا في خلقه فما يستطيع أن يتخلى عنها وفى سورة البقرة الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فإن فَاءُوا فإن اللهَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢)، أي يحلف ألا يجامع امرأته، أعطاه الله سبحانه وتعالى مدة أربعة أشهر إما يجامع وإما يطلق، فأخذوا من ذلك أنه يستطيع أن يترك زوجته لمدة أربعة أشهر بلا جماع ولا حرج عليه.. فلا حق لها أن تعترض عليه (٣).

وهكذا أبنائي أنا أفتيكم: لا تقفوا في وجه هذه الدعوة ، أنا

---

(١) المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح – باب ثواب الصلاة في جماعة – ص٥٩. حسنه الألباني.

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٢٦ .

(٣) انظر كتابى " كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله " – باب نصاب الجهد للدين .

أعرف أن علماء وطلاب في الشرق والغرب ساخطين ناقمين على هذه الدعوة والله ما هم على حق، لأنني عرفت هذه الدعوة من يوم أن بدأت منذ أكثر من أربعين أو خمسين سنة، لا تجلب بلاء ولا سخط ولا غضب ولا فتنة ولا حرب ، وقد شاهدنا الحروب التي أوجدناها نحن المطالبين بالحكم والدولة والنظام ، في الشرق والغرب.. وتركت فتناً عظيمة وبلاءً عظيماً، أزهقت الأرواح ودمرت الأمة تدميراً كاملاً .. هذه الدعوة ما فيها هذا الباب أبدا.

يقولون فيهم جهال..؟! ماذا نصنع ؟ ندخل معهم.. نحن العلماء ما استطعنا.. إذاً نبين لهم الخطأ بأدب واحترام مثل قولك هذا لا يصلح.. سلوكك هذا ما ينبغي.. أفعل كذا ولا تفعل كذا.. صحح له.. أصلح له الفاسد.. هذا أخوك.. هذا نائب عنك ، لأن دعوة الله ﷻ واجبة على كل المسلمين.. خليفة رسول الله ﷺ ..المسلمون ينشرون دعوة الله في الشرق والغرب.. هذا والله تعالى أسأل، أن يكون أبنائنا فهموا ما قد قلت وبالله التوفيق.

وليعلم القارئ الطالب للحق البعيد عن الأغراض الفاسدة والتصورات الخاطئة إني لم أخرج يوما واحدا مع جماعة التبليغ ولم أنتم إليهم، وليس سبب ذلك عائد إلى وجود أخطاء أو أغلاط، إذ اخطأ جماعة التبليغ أو

أغلاطهم لا تحول دون العمل معهم وتعليمهم ما قد يجهلون، وذلك لقلتها وعدم تأثيرها.

ومن ذا الذي لا يخطئ، ولا يغلط من الناس من غير المعصومين عليهم السلام ؟

ولكن المانع هو إنا لا نقدر على البذل والعطاء والتحمل والصبر كما يقدرون هم، ولذا كنا نكتفي بالنصح لهم وتصويب ما نراه من أخطائهم في دعوتهم، ونكف ألسنتنا عن نقدهم وعيبهم حتى لا نكون ممن يصد الناس عن سبيل الله تعالى.

ولكن بعض إخواننا هداهم الله لما عجزوا عن القيام بما يقوم به المبلغون ركنوا إلى نقدهم وعيبهم والتشهير بهم والتشويش عليهم وما كان ينبغي لهم ذلك، والله المستعان **وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه وسلم .**

وهناك كثير من العلماء المؤيدين لأهل التبليغ والدعوة في جميع أقطار الأرض ولكن ذكرنا القليل منهم ، ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب الكلام البليغ في تأييد أهل التبليغ والدعوة للمؤلف.

السؤال الثالث

س: ما الدليل على الدعوة إلى الله عز وجل من الكتاب والسُنة ؟.

ج: أولا: الآيات:

١) قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

٢) وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٢)(٣).

٣) وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٤).

٤) وقال تعالى: ﴿ يَـا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٠٤.

(٢) سورة يوسف – الآية ١٠٨.

(٣) يقول الإمام الطبري في تفسيره: "سَبِيلي وطريقتي ودعوتي أدْعُو إلى اللّهِ وحده لا شريك له علـى بَصِيرَةٍ بذلك، ويقـين علـم منـي به، ويَدعو إليه على بصيرة أيضا مَن اتّبَعَنِـي وصدّقنـي وآمن بـي".

(٤) سورة التوبة– الآية ٧١.

تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾(١)(٢).

٥) وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(٣)(٤).

٦) وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى ﴾(٥).

٧) وقال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾(٦)،

٨) وقال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾(٧) .

ثانيا: الأحاديث:

١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ :" قَالَ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

---

(١) سورة المائدة – الآية ٦٧ .

(٢) وهذه الآية تفيد وجوب تبليغ رسالة الله إلى الناس من قبل الرسول وأتباع الرسول وخاصة ورثة الأنبياء، لأن الأمة دخلت في خطاب الله للرسول صلى الله عليه وسلم إلا ما استثني.

(٣) سورة التوبة – الآية ١٢٢ .

(٤) تفيد أنه يجب على الأمة أن تفرغ طائفة من أبنائها للتعلم والدعوة والإنذار.

(٥) سورة الأعلى – الآيتان ٩ ، ١٠ .

(٦) سورة الغاشية – الآية ٢١ .

(٧) سورة ق – الآية ٤٥ .

٢) وعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا "(٢)، وفي رواية بلفظ :" إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ ".(٣).

٣)وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِى عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِى سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِى سُفْيَانَ أَخْبَرَتْهَا أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِىِّ ﷺ قَالَتْ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَزِعًا مُحْمَرًّا وَجْهُهُ يَقُولُ « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ ». وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا. قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ« نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخُبَثُ "(٤).

٤)وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنْ الْغَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ

بِبَعْضٍ ثُمَّ قَالَ:﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِلَى قَوْلِهِ فَاسِقُونَ﴾(١)، ثُمَّ قَالَ:" كَلَّا وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيْ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا (٢).

٥) وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ زَادَ:" أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ "(٣).

٦) وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ ".رواه في شرح السنة وإسناده صحيح (٤).

٧)وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ " رواه مسلم(٥).

(١) سورة المائدة – الآية ٧٨.

(٢) سنن أبي دلود – كتاب الأمر والنهي _ رقم الحديث (٤٣٣٦).

(٣) المرجع السابق.

(٤) مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان _ باب الاعتصام بالسُنة (٥٩/١) رقم الحديث:(١٦٧).

(٥) صحيح مسلم _ كتاب الإيمان _ باب بيان أن الدين النصيحة_ رقم الحديث (٨٥).

السؤال الرابع

س: ما هو مقصد الدعوة إلى الله ؟

ج: الله ﷻ حدد هذا المقصد للأنبياء والمرسلين لم نحدده نحن، قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رّسُولٍ إِلاّ نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لآ إِلَـهَ إِلاّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ ﴾(١).

وحينما نقرأ القرآن الكريم، نجد جميع الأنبياء قالوا نفس الكلمة:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾(٢).

وقال تعالى:﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى:﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٤).

---

(١) سورة الأنبياء – الآية ٢٥ .
(٢) سورة الأعراف – الآية ٥٩.
(٣) سورة الأعراف – الآية ٦٥.
(٤) سورة الأعراف – الآية ٧٣.

ونبينا ﷺ قال نفس المعنى بألفاظ أخرى، قال:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا : لا إِلَهَ إِلا اللهُ تُفْلِحُوا ".

وأخرج الطبراني عن الْحَارِثُ بْنُ الْحَارِثِ الْغَامِدِيُّ، قَالَ: قُلْتُ لأَبِي: مَا هَذِهِ الْجَمَاعَةُ ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الْقَوْمُ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى صَابِئٍ لَهُمْ، قَالَ: فَنَزَلْنَا فَإِذَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَدْعُو النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالإِيمَانِ بِهِ، وَهُمْ يَرُدُّونَ عَلَيْهِ وَيُؤْذُونَهُ، حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ وَانْصَدَعَ عَنْهُ النَّاسُ، وَأَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ قَدْ بَدَا نَحْرُهَا تَحْمِلُ قَدَحًا وَمِنْدِيلا، فَتَنَاوَلَهُ مِنْهَا وَشَرِبَ وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: " يَا بُنَيَّةُ خَمِّرِي عَلَيْكِ نَحْرَكِ، وَلا تَخَافِي عَلَى أَبِيكِ "، قُلْنَا: مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا: زَيْنَبُ بِنْتُهُ .. قال الهيثمي : رجاله ثقات(١).

وعنده أيضاً عن ثنا مُنِيبُ بْنُ مُدْرِكِ بْنِ مُنِيبٍ الأَزْدِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ يَقُولُ لِلنَّاسِ: " قُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللهُ تُفْلِحُوا "، فَمِنْهُمْ مَنْ تَفَلَ فِي وَجْهِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَثَا عَلَيْهِ التُّرَابَ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَبَّهُ، حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ، فَأَقْبَلَتْ جَارِيَةٌ بِعُسٍّ مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ وَجْهَهُ أَوْ يَدَيْهِ وَقَالَ: " يَا بُنَيَّةُ، لا تَخْشَى عَلَى أَبِيكِ عَيْلَةً وَلا ذِلَّةً "، فَقُلْتُ: مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا: زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهِيَ جَارِيَةٌ وَضِيئَةٌ.. قال الهيثمي: وفيه مَنبت بن مُدْرك، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات (٢).

---

(١) المعجم الكبير للطبراني» بَابُ الْحاءِ» مَنِ اسْمُهُ الْحَارِثُ» الْحَارِثُ بْنُ الْحَارِثِ الْغَامِدِيُّ ـ رقم الحديث: ٣٢٩٦.

(٢) المعجم الكبير للطبراني» بَقِيَّةُ الْمِيمِ» مَنِ اسْمُهُ مُنِيبٌ» مُنِيبٌ الأَزْدِيُّ ـ رقم الحديث: ١٧٢٢٣.

المقصد الأول : من مقاصد الدعوة: **تحقيق العبودية لله تعالى** :

ومعنى العبودية لله: تقديم أمر الله على كل أمر، وطاعة الله على كل طاعة، ومحبة الله على كل محبة.. أنت لا تقبل أبداً أن يكون في بيتك خادم وولاءه ومحبته لغيرك أو جهده يتحصل عليه غيرك، وما يقبل الإنسان هذا، ولذلك أكبر الذنوب وأكبر الكبائر الإشراك بالله، قال تعالى:﴿ إِنّ اللهّ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (١).

استكمال هذه العبودية لا يتثنى إلا إذا اجتهدت أن يشترك معك في هذه العبودية كل الناس وكل البشر وإذا شذ إنسان عن هذه العبودية فكأنك أنت لم تحقق هذه العبودية لله.. وإنما نضرب هذا المثال: لو أن خدماً في البيت، أحد هؤلاء الخدم بدأ يأخذ من مال سيده ويعطى لسيد آخر والخدم اللذين معه في البيت يرون ويسمعون، وسكتوا عليه وتركوه هكذا ثم علم سيدهم أنهم علموا بجريمته ولم يخبروه، كيف يكون غضبه عليهم ؟ .

ولكن إذا ذكروه ونصحوه وردوه إلى الطريق، فإذا لم يرتدع أخبروا سيدهم، وبذلك يكونوا قد أدوا واجبهم.. ولله **(المثل الأعلى)** العبيد الخلق كلهم عيال الله، فإذا رأى المسلم الذي يعبد الله أن إنساناً ما يتوجه بطاعته أو محبته أو انقياده إلى غير الله تعالى وسكت، فكأنه خان الله

---

(١) سورة النساء – الآية ٤٨.

ورسوله، قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوَاْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

الله سبحانه وتعالى كلفنا أن نمشى على الأرض كلها لنجعل كل الناس في كل بيت مدر وحجر ووبر متوجهين إليه، والله رحيم بنا يعلم ضعفنا وعجزنا ولم يكلفنا أن نردهم قصراً إلى عبادة الله.. بل فقط ندعوهم، ونرغبهم، ونذكرهم، ونبين لهم سُبل الهداية، ولا علينا بعد ذلك:

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ (٤).

ولكن إذا لم نبلغهم فكأننا لم نؤدى حق الله علينا، فهذا هو المقصود الأول والمفهوم الأول من تحقيق العبودية من الدعوة، أن نقيم هذه العبودية في حياتنا وفى حياة الناس كلهم.

---

(١) سورة الأنفال – الآية٢٧.

(٢) سورة البقرة – الآية٢٧٢.

(٣) سورة الشورى – الآية ٤٨.

(٤) سورة الغاشية – الآية ٢٢.

المقصد الثاني: تحقيق الإتباع الكامل للرسول (ﷺ):

طاعة النبي ﷺ أمر حتمي على كل مسلم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢).

وقال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ (٣).

وقال تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }(٤).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

---

(١) سورة النساء – الآيتان ٦٤، ٦٥.
(٢) سورة الحشر – الآية ٧.
(٣) سورة الأحزاب – الآية ٣٦.
(٤) سورة الأحزاب _ الآية ٢١.

ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) .

فاتباع طريق النبي ﷺ هو الأمر الثاني من أوامر الله، أن أقيم نفسي على المتابعة الكاملة لأوامر النبي ﷺ، وأجتهد على إقامة الناس علي الدين بترغيبهم وتحبيبهم، وأبين لهم أن طريق النبي ﷺ أفضل الطرق وأيسر الطرق لقضاء الحياة الإنسانية إلي يوم القيامة.. وأن تجنب طريقته ﷺ يعرض الناس إلي العذاب والفتنة، ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢).

متابعة النبي (ﷺ) تكون في ثلاثة أشياء :

١) في شكله وصورته (الناحية المظهرية الخارجية).

٢) في سريرته وعواطفه الداخلية.

٣) في سيرته وسلوكه.

هذه الأمور هي المظهر الحقيقي لمتابعة النبي (ﷺ). أي يكون مظهري كمظهره ؟ ! ومخبري وعواطفي وأماني في قلبي تكون علي طريقه ﷺ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ ". رواه في شرح السنة وإسناده صحيح (٣).

---

(١) سورة آل عمران – الآية ٣١.

(٢) سورة النور – الآية ٦٣.

(٣) مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان _ باب الإعتصام بالسُنة (٥٩/١) رقم الحديث:(١٦٧).

فالعواطف والأشواق والرغبات أيضا تكون محكومة بطريق النبي ﷺ ثم السلوك والسيرة والعمل في كل نواحي الحياة .

والله سبحانه وتعالى اختار النبي ﷺ بشراً حتى يسهل على الإنسان أن يقتفي أثره أو يتبع طريقه.. ولا يكون له عذرا في ترك متابعته.

المقصد الثالث: التذكير بالآخرة:

أن ندعو أنفسنا ونذكر الناس بالآخرة.. بالغيب.. ماذا بعد الموت ؟.. ماذا بعد هذه الحياة ؟.

الله سبحانه وتعالى حينما عرض الدعوة علي موسي عليه الصلاة السلام، قال: ﴿ إِنَّنِيَ أَنَا اللهُ لآ إِلَـهَ إِلاآ أَنَاْ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِيَ * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىَ كُلّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىَ* فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ (١). تهلك إذا نسيت هذا الصلاة ونسيت هذه الآخرة.

وسيدنا شعيب عليه السلام قال لقومه :﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ (٢) رجاء اليوم الأخر.. رجاء الآخرة.. رجاء موعود الله،

---

(١) سورة طه – الآيات من ١٤: ١٦ .

(٢) سورة هود – الآيات من ٩٣ .

أمر مهم قد لا يحقق العبودية، إلا بهذا اليقين على الموعود الله سبحانه وتعالى وفى رجاء اليوم الأخر ستة أمور نذكرها باختصار :

إن كل إنسان لا بد أن يترك هذه الحياة يوما ما، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (٢).هذا هو اليقين الأول.

إن كل إنسان سيخرج من هذه الدنيا ويترك كل ما جمعه من المادة، ولن يحمل معه إلي القبر أي شيء من أشياء المادة إطلاقا.

إن كل إنسان سيحمل معه جميع أعماله خيرها وشرها، حلوها ومرها. فالأعمال تحمل معك، وكل ما جمعته تتركه خلفك.

لن يعود إنسان بعد الموت إلي الدنيا، الشهداء تمنوا أن يرجعوا إلي الدنيا، والنبي ﷺ تمني أن يرجع إلي الدنيا ! ولكن رغم هذا لم يعط أي إنسان هذه الأمنية، فلا رجوع إلي الدنيا أبدا.

إن كل إنسان على حسب أعماله التي عملها في الدنيا، يكون مصيره من أول لحظة يخرج فيها من بيته إلي القبر، كما في الحديث:" إِذَا وُضِعَتِ الجنازةُ واحْتَمَلَهَا النَّاسُ أَوِ الرِّجَالُ عَلَى أعناقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ

(١) سورة الزمر – الآية ٣٠.
(٢) سورة الأنبياء – الآية ٣٤.

صَالِحَةً، قالتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قالتْ: يَا وَيْلَهَا ! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بها؟ يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الإِنْسانُ ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ " رواه البُخَارِيُّ. (١).

هذا جزاء الأعمال علي حسب نوعيتها إن خيرا فخيرا وإن شرا فشر.

لا موت بعد الموت.. حياة أبدية.. صورة الموت فناء ظاهري أدخل المقبرة.. أين صاحبها؟! موجود ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ (٢)، اختفاء ظاهري.. ولكن هو موجود بكل كيانه في نعيم أو في عذاب، وبعد ذلك إما جنة أبدا وإما نارا أبدا، فالإنسان خلق للأبد، إي إنسان يخرج من بطن أمه له حياة أبدية لا تنتهي، وهذه الحياة الأبدية إما في الجنة أو في النار.

فهذه الأمور الستة يجب أن يكون يقيننا عليها بنسبة الموت والآخرة وما بعد الموت.

المقصد الرابع: مسئولية الدعوة إلي الله:

أن نُذكر كل مسلم أن عليه مسئولية حمل أمانة دعوة غيره، وتكليف كل مسلم أن يصبح داعية إلي الله تعالى فالنبي ﷺ في حجة الوداع قال للناس (

(١) رياض الصالحين _ باب الجمع بين الخوف والرجاء صـ ٢١٧.
(٢) سورة ق – الآية ٤.

بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)، (ألا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الغَائِبَ) (١) .

وحينما كان يعرض النبي ﷺ نفسه علي القبائل فيقول:" مَنْ يُؤْوِينِي مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ ".

فيكلفهم مع دخولهم الإسلام تحمل تبعات هذا الدين، وتحمل مسئوليات هذا الدين، حتى ينتشر في مشارق الأرض ومقاربها، والأنصار رضي الله عنهم فهموا هذه التبعة من أول يوم بايعوا فيه النبي ﷺ، ما كان في مكة قتال، ولا في البيعة أمر بالقتال ولكن فقط حماية النبي ﷺ ..

---

(١) جزء من حديث في الصحيحين: وعن أَبي بكْرة نُفَيْع بن الحارث ﷺ ، عن النَّبيّ ﷺ ، قَالَ : ((إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَته يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ: السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرَاً، مِنْهَا أرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلاثٌ مُتَواليات: ذُو القَعْدَة، وذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، ورَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشعْبَانَ، أيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟)) قُلْنَا: اللهُ ورَسُولُهُ أعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، قَالَ : ((أَلَيْسَ ذَا الحِجَّةِ ؟)) قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: ((فَأيُّ بَلَد هَذَا ؟)) قُلْنَا : اللهُ ورَسُولُهُ أعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيرِ اسْمِهِ . قَالَ: ((أَلَيْسَ البَلْدَةَ ؟)) قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: ((فَأيُّ يَوْم هَذَا ؟)) قُلْنَا : اللهُ ورَسُولُهُ أعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيرِ اسْمِهِ. قَالَ: ((أَليسَ يَوْمَ النَّحْرِ ؟)) قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: ((فَإنَّ دِمَاءكُمْ وَأمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عليكم حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا في بَلَدِكُمْ هَذَا في شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَسَتَلْقُونَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أعْمَالِكُمْ ، ألا فَلا تَرْجِعوا بعدي كُفّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْض، ألا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الغَائِبَ ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أنْ يَكُونَ أوْعَى لَهُ مِنْ بَعْض مَنْ سَمِعَهُ))، ثُمَّ قَالَ: ((إلاَّ هَلْ بَلَّغْتُ، ألاَ هَلْ بَلَّغْتُ ؟)) قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: ((اللَّهُمَّ اشْهَدْ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(مشكاة المصابيح _ كتاب المناسك _ باب خطبة يوم النحر ورمي أيام التشريق والتوديع ٨١٦/٢)

فانظر إلي قول الأنصار في البيعة: عَنْ جَابِرٍ قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- عَشْرَ سِنِينَ يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةٍ، وَفِي الْمَوْسِمِ بِمِنًى، يَقُولُ: " مَنْ يُؤْوِينِي مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ ". حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، أَوْ مِنْ مُضَرِ كَذَا، قَالَ: قَالَ: فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ ، فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ، وَهُوَ يَمْشِي بَيْنَ رِحَالِهِمْ، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ مِنْ يَثْرِبَ فَآوَيْنَاهُ، وَصَدَّقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ. ثُمَّ ائْتَمَرُوا جَمِيعًا، فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ ؟ فَرَحَلَ إِلَيْهِ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَّا حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ فَوَاعَدْنَا شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَهَا مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَافَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى مَا نُبَايِعُكَ ؟ قَالَ: " تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ والْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا للَّهِ لَا تَخَافُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ ". قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ، فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ

إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ وَأَنْ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ، أَمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللهِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَبِيئَةً، فَتُبَيِّنُوا ذَلِكَ فَهُوَ أَعْذَرُ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ، قَالُوا: أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ فَوَ اللهِ لَا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا، وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ، فَبَايَعْنَاهُ فَأَخَذَ عَلَيْنَا، وَشَرَطَ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ. (١).

وأخرج ابن إسحاق قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَاجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ)، حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ ، وَيَتَوَثَّقَ لَهُ ، فَلَمَّا جَلَسَ كَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ - قَالَ: وَكَانَتِ الْعَرَبُ إِنَّمَا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ الْخَزْرَجَ ، خَزْرَجَهَا وَأَوْسَهَا - إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، فَهُوَ فِي عِزَّةٍ مَنْ قَوْمِهُ، وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الِانْحِيَازَ إِلَيْكُمْ، وَاللُّحُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ

---

(١) وقد رواه أحمد أيضاً والبيهقي من غير هذا الطريق أيضاً، وهذا إسناد جيِّد على شرط مسلم، ولم يخرِّجوه. كذا في البداية. وقال الحافظ في فتح الباري: إسناده حسن، وصحَّحه الحاكم وابن حبان ا هـ؛ وقال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح، وقال: ورواه البزّار وقال في حديثه: فو الله لا نذَرَ هذه البَيْعة ولا نستقيلها.

إِلَيْهِ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ فَمِنَ الْآنَ فَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ. قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهَّ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ. قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) فَتَلَا الْقُرْآنَ وَدَعَا إِلَى اللهَّ، وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ قَالَ: " أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ ". قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لِنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهَّ، فَنَحْنُ وَاللهَّ أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ - وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهَّ (ﷺ) أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا ، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا - يَعْنِي الْيَهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهَّ، أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا ؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ)، ثُمَّ قَالَ: " بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهُدْمُ الْهُدْمُ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ ". قَالَ كَعْبٌ: وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ): " أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ " فَأَخْرَجُوا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، تِسْعَةً مِنَ الْخَزْرَجِ، وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ (١).

---

(١) البداية والنهاية» كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم» قِصَّةُ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ.

وأخرج الطبراني نْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ: وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللهَّ (ﷺ)، يَوْمَ الْعَقَبَةِ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ حِبَالا، وَالْحِبَالُ: الْحِلفُ، وَالْمَوَاثِيقُ، فَلَعَلَّنَا نَقْطَعُهَا، ثُمَّ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَقَدْ قَطَعْنَا الْحِبَالَ، وَحَارَبْنَا النَّاسَ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) مِنْ قَوْلِهِ، وَقَالَ: " الدَّمُ الدَّمُ، الْهَدْمُ الْهَدْمُ "، فَلَمَّا رَضِيَ أَبُو الْهَيْثَمِ بِمَا رَجَعَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ)، مِنْ قَوْلِهِ أَقْبَلَ عَلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمُ، هَذَا رَسُولُ اللهَّ (ﷺ)، أَشْهَدُ أَنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُ الْيَوْمَ فِي حَرَمِ اللهَّ وَأَمْنِهِ وَبَيْنَ ظَهْرَيْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ، فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ تُخْرِجُوهُ بَرَتْكُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، فَإِنْ كَانَتْ طَابَتْ أَنْفُسُكُمْ بِالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللهَّ وَذَهَابِ الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ، فَادْعُوهُ إِلَى أَرْضِكُمْ، فَإِنَّهُ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) حَقًّا، وَإِنْ خِفْتُمْ خِذْلانًا فَمِنَ الآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهَّ: قَبِلْنَا عَنِ اللهَّ وَعَنْ رَسُولِهِ مَا أَعْطَانَا، وَقَدْ أَعْطَيْنَاكَ مِنْ أَنْفُسِنَا الَّذِي سَأَلْتَنَا يَا رَسُولَ اللهَّ، فَخَلِّ بَيْنَنَا يَا أَبَا الْهَيْثَمِ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهَّ (ﷺ)، فَلْنُبَايِعْهُ، فَقَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ بَايَعَ، ثُمَّ تَبَايَعُوا كُلُّهُمْ، وَصَاحَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَذِهِ الْخُزْرَجُ، وَالأَوْسُ تُحَالِفُ مُحَمَّدًا عَلَى قِتَالِكُمْ، فَفَزِعُوا عِنْدَ ذَلِكَ وَرَاعَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ): " لا يَرُعْكُمْ هَذَا الصَّوْتُ، فَإِنَّمَا هُوَ عَدُوُّ اللهَّ إِبْلِيسُ، لَيْسَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ مِمَّنْ تَخَافُونَ "، وَقَامَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ)، فَصَرَخَ بِالشَّيْطَانِ، فَقَالَ: " يَا

ابْنَ أَرَبٍ ، هَذَا عَمَلُكَ فَسَأَفْرُغُ لَكَ " (١).

وعند ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: وحدثني عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ " أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا اجْتَمَعُوا لِبَيْعَةِ رَسُولِ اللهَّ، (ﷺ)، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ الأَنْصَارِيُّ، ثُمَّ أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، هَلْ تَدْرُونَ عَلامَ تُبَايِعُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: إِنَّكُمْ تُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِ الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ إِذَا نُهِكَتْ أَمْوَالُكُمْ مُصِيبَةً، وَأَشْرَافُكُمْ قَتْلا أَسْلَمْتُمُوهُ، فَمِنَ الآنَ، فَهُوَ وَاللهَّ خِزْيُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِنْ فَعَلْتُمْ. وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ عَلَى نُهْكَةِ الأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الأَشْرَافِ فَخُذُوهُ، فَهُوَ وَاللهَّ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُهُ عَلَى مُصِيبَةِ الأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الأَشْرَافِ، فَمَا لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنْ نَحْنُ وَفَّيْنَا ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ. قَالُوا: ابْسُطْ يَدَكَ، فَبَسَطَ يَدَهُ ، فَبَايَعُوهُ (٢).

من أول لحظة قبلوا الدخول في الإسلام، تحملوا مسئولية هذا الدين وعملوا ربما هذا الدين يحتاج منا إلي أموالنا كلها وإلي حياتنا كلها إلي بيوتنا وإلي أولادنا فنحن مستعدون مادام هناك الجزاء الجنة، ليس موعودا ماديا أبدا على جهدهم.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني» بَابُ الْمِيمِ» مَنِ اسْمُهُ مَالِكٌ» مَالِكُ بْنُ التَّيِّهَانِ أَبُو الْهَيْثَمِ الأَنْصَارِيُّ ... » مِنْ أَخْبَارِهِ رقم الحديث: ١٥٩٢٨.

(٢) تاريخ الطبري» رقم الحديث: ٤٧١.

فهذا مفهوم الصحابة رضي الله عنهم أن كل إنسان يدخل في هذا الدين فعليه أن يتحمل تبعات هذا الدين ليحمله إلي مشارق الأرض ومغاربها إلي كل مكان في العالم هذا مفهوم أمر الدعوة إلي الله سبحانه وتعالى (١).

ويقول الشيخ الأنصاري (**مبينا مقصد الدعوة**):

كان الرسول (ﷺ) في جولاته يؤكد على شيئين :

أولاً: التوحيد الكامل وترك ما سوى الله تعالى.

ثانياً: ***الإيمان بالرسول ﷺ والتصديق بما جاء به:*** والتضحية بالغالِ والنفيس لإقامة هذا الدين فلم يكن عندهم أن الإنسان يؤمن ويشغل بالعبادة فقط، لذلك الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- عُذبوا وكانوا يُجرون بالحبال بأزقة مكة، ووُضعوا على الرمل الحار، وتحملوا جميع أنواع المظالم واستمروا في الدعوة إلى الله تعالى، ولم يقل أحد منهم أنه إذا لم يكن عندنا حكومة ولم يكن المال في أيدينا، أو إذا لم يستجيبوا الناس فكيف تمشي الدعوة وكيف يقوم الإسلام، بل هم استمروا في أداء التضحيات حتى تُقبلت هذه الدعوة وقضى الله تعالى بهداية الإنسانية، والآن كذلك تُفرّغ أوقاتنا، ونقوم للتدريب والتمرين على هذه الجولات مع التضحية، والفرق هو أن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يتجولون على الكفار يدعونهم إلى

---

(١) الشيخ فريد العراقي (وبيان منهج التبليغ والدعوة) للمؤلف.

الإسلام، وهذه الجولات الآن هي تحريض الأمة للقيام على الدعوة للإسلام، وهذه الأمة التي خرجت منها الكفاءة والأهلية لأداء الدعوة للإسلام، وهذه الأمة علينا أن نرجوها ونُحرضها لكي تقوم وتتحصل ذلك المقام الرفيع، مقام الدعوة إلى الله تعالى، وتأخذ في ذلك منهاج الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- أسوة وقدوة لهم في جهدهم".

ويقول نحتاج في الدعوة والتبليغ إلى شيئين أساسيين وهما:

١) الجهد في الأحياء لإقامة البيئة الصالحة أثناء إقامتنا في البيوت.

٢) الجهد لإخراج الناس من بيئتهم إلى بيئة الدعوة والأعمال، وأثناء الخروج، علينا أن نجتهد لإقامة الناس على التضحية للدين في المناطق التي نذهب إليها، وإخراج القدماء من هذه الأحياء حتى يزيدوا من تضحياتهم فيخرج أهل الفكر والجهد فيفتح الله أبواب الهداية والرحمة لأهل العلم(١).

♠ ولقد حضر فضيلة الشيخ أبي الحسن الندوي (رحمه الله) إلى الأردن وألقى درساً في مركز الدعوة "مدينة الحجاج" وكان يرافقه يومها فضيلة الشيخ محمد إبراهيم شقرة فتحدث عن شخصية الداعية وصفات الدعاة، وشجعهم وأثنى عليهم وتحدث معنا عن رفقته للشيخ محمد إلياس والشيخ محمد يوسف رحمهم الله وقال: إني أعرض عليكم هذه الفكرة يا

---

(١) الفهم العميق (وبيان منهج التبليغ والدعوة) للمؤلف.

أبنائي ... يجب أن تعلموا أنكم مهما اجتهدتم في تحصيل العلوم والثقافة والتكنولوجيا فإنكم لن تدركوا الغرب، والسبب أن هذه هي علومهم، وأنتم حين تتعلمونها تأخذون أفكارهم وكتبهم ومختبراتهم والذي يعرضونه عليكم اليوم قد يكون مر تطبيقه في حياتهم أعواماً كثيرة وفي اليوم الذي تصبحون أنتم باحثين في هذا العلم يكون علماؤهم قد طوّروا هذه العلوم فما تكادون تصلون إليه أنتم حتى يكون عندهم خبراء متفوقون ومتطورون فلا تستطيعون إدراكهم أو اللحوق بهم.

أما أنتم فمعكم البضاعة الأغلى؛ ومعكم ما هو أرقى مما عندهم، ومعكم ما تسبقون به علمائهم، فلو عرضت عليه بضاعتك، وتناقشت معه، سوف تغلبه وإليكم هذا المثال: لو سألته عن مبلغ علمه واختراعه وكم سيدوم هذا ومتى ينتهي؟ سيقول لك: إن هذا للبشرية ... ولربّما هو دائم بدوامها، فإن انتهت الحياة سينتهي علمه واختراعه من غير أن يزيد في عمر الدنيا أو ينقص منها ولربما يأتي آخر بما هو أفضل فينتهي الانتفاع بعلمه بعد سنوات ويصبح الذي كان يقال عنه قبل عشر سنوات هو الأفضل؛ يصبح الآن فيه الضرر .

إذن فإن اختراعاتهم وعلومهم محدودة ولا يستفيد منها هو إلا في حياته فقط.

أما أنت فإن تحدثت معه عن التوحيد - وهذه بضاعتك الراقية الدائمة مدى الحياة - وما بعد الموت عند المحشر وعلى الصراط عند الجنة والدرجات

حتى تلقي الله وتراه لا تضام في رؤيته فأنت تجتهد في تزين التوحيد له فتحسن صورة الإسلام في عينيه، وتعظّم الصلاة أمامه، وتحبّب الله عز وجل له فسوف تكون أنت فوقه.. وعلمك فوق علمه.. ويكون هو والتكنولوجيا والعلوم التي معه خادماً لدعوتك مسخراً لخدمة الناس والخلق، فيستفيد بحسن عقيدته من هذه العلوم في الدنيا وفي الآخرة.

فمن هو المتقدم ومن هو صاحب الفكر الأعلى المتطور الذي يحمل فكرة وعلماً يُنتفع به إلى مالا نهاية ؟! أم من يحمل شهادة دكتوراه تنتهي فائدته بها بعد الموت مباشرة أجب بنفسك يا بني؟ !اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا.أ.هـ.

إن أمر الدعوة عميق والدعوة واسعة جداً ولا مساحة زمنية أو مكانية وكلتاهما واسعتان فالزمن يبدأ منذ نشأة صاحب هذه الدعوة ومصدرها إن كان نبياً وكان مجدداً ومؤسساً لدعوة كبيرة ثم إلى ما لا نهاية...وأما مكانها فيمتد من مشارق الأرض إلى مغاربها، فإن تمرّن الداعي على تكلم الصفات والمنهج كما في ملة ومنهج إبراهيم عليه السلام فالشرق والغرب حقلٌ لدعوته وأرضٌ خصبةٌ لبذر بذور الدعوة وحينئذٍ يتحد كلام الدعاة في المشرق والمغرب.

إذن فإن القرآن الكريم وهذا من إعجازه لم يتعرض لأحكام تفصيلية في موضوع الدعوة وإنما وكلها للعقل السليم والذوق المستقيم والعقيدة

الراسخة والفكرة المتغلغلة في الأحشاء ثم أحاطها بسياج واسع وهو السياج الوحيد الذي يستطيع أن يحيط بالدعوة وهو قوله تعالى:{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }(١) من هنا ينطلق الداعية غير مقيدٍ إلا بما جاء في الآية الكريمة ونحوها غير خاضعٍ لقانون مرسوم ولا لأحكام مضبوطة للدعوة؟

فالدعوة لا تخضع لقوانين مرسومة فهي تعتمد على الظروف والأحوال واختلاف صفات الناس واتجاهاتهم الفكرية.

وأهم ركن في هذه الصفات هي سرعة البديهة ورجاحة العقل عند الداعية عندما يتعرض لحال من الأحوال المذكورة فبفطنته وسرعة بديهته وذكائه يعرض دعوته بالحكمة.

وإذاً ما دامت الدعوة تعتمد وتقصد مكافحة المرض وإزالة الضعف في النفس البشرية والإنسانية فلا يصح أن نقول: يجب على الداعية أن يفعل كذا وكذا ويتحكم بكذا ويظهر بالمظهر الفلاني فنقول: تنطلق الدعوة من الخط الفلاني إلى الخط الفلاني ولا تتعدى هذه الحدود.

وقد ساق فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي مثالاً قد تورط به سيدٌ مع عبده الذكي الفطين حين قال له: أنت عبدي وعليك طاعتي فيما آمرك به .

---

(١) سورة النحل _ الآية ١٢٥.

قال العبد: ولكن يا سيدي لا بد أن تعطيني قائمة بالأوامر والأعمال التي يجب أن أقوم بها!.

فكتب له قائمة بالأعمال الصباحية والمسائية وعند الطعام ووقت الصلاة ومع الضيوف، وخدمة البيت، والمال والحلال، وقد نسي بقية الواجبات.

فعلق يوماً بالركاب حين أراد أن يركب الحصان وأصبح معلقاً في سرج الحصان من قدمه ورأسه إلى الأرض، ولئن انطلق به الحصان وهو في هذه الحال هلك لا محالة فنادى على عبده لينقذه مما هو فيه، فقال له العبد بعد أن اطلع على قائمة أعماله فلم يجد فيها أنه مكلف بإنقاذ سيده إذا سقط عن حصانه فاعتذر لسيده قائلاً: إن هذا ليس من واجباتي.

فالداعي أيها الأخوة يجب أن يكون أكثر ذكاء من هذا السيد فيجب عليه أن لا تُعييه الحيلة والفطنة في موقف من المواقف، وعليه أن يكون على جانب من سلامة الفطرة والانتفاع بتجارب الحياة كقول الشاعر: إذا كنت في حاجة مُرسلا فأرسل حكيماً ولا توصه وما أروع أن تكون صفات الدعاة إلى الله كصفات إبراهيم عليه السلام ويكون منهج الدعاة إلى الله كمنهج إبراهيم عليه السلام وحال الدعاة إلى الله تعالى كحال إبراهيم عليه السلام.

وإذا أردنا أن نستخرج هذه الصفات من سياق الآيات نقول : { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّة } أي إماماً يحمل هم الناس جميعا ويريدهم على أتقى رجل حتى ينالوا رضا الله .. ألم تر أن دعوته للحج قائمة إلى يوم القيامة مثلا.

{ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ }شاكراً لله على هدايته له وهداية الناس على يديه.

{ اجْتَبَاهُ } اصطفاه واختاره الله تعالى ليكون قدوة للدعاة إلى يوم الدين.

{وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم } إن الداعي إلى الله أول من يتحصل على الهداية .

ونتيجة لهذه الأعمال والصفات{ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً }وحصل على المقام المميز يوم القيامة { وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِين }والمطلوب منك يا أيها الرسول محمد ﷺ أنت ومن اتبعك أن تكونوا على هذا المنهج في الدعوة { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِين }فاسلك الطريق الذي سلكه إبراهيم عليه السلام فإنك إن فعلت تكن أنت ومن تبعك على صراط مستقيم.

وما طريقة عليه السلام؟ الجواب: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }(١) وقد فعل ﷺ وشهد له الحق جل

(١) سورة النحل _ الآية ١٢٥.

وعلا فقال جلّ من قائل سبحانه: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }(١) وقال تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }(٢). وشاركه الصحابة الكرام في ذلك وتحققت في حياتهم الصفات التي تميز بها أصحاب النبي ﷺ وتخلّقوا بأخلاق النبي ﷺ ، ودعوا بدعوته وأصبحوا منارات يهتدي بها في أبحر الحياة، وما زلنا نستنير بسلوكهم وصفاتهم ونعتني بأسمائهم ونعرف فضلهم وعظيم تضحياتهم واتخذنا لنا اسما جماعيا حين تسمينا سلفيون ... فهم سلف الأمة ونحن إن شاء الله خلفهم نفهم منهجهم كما فهمه الصالحون من قبلنا وندعو الناس بدعوتهم ليحملوا هذه الصفات الإيمانية.

أخي الحبيب: تدرّب على اكتساب الدعوة وصفات الدعاة من سيرة الأنبياء صلوات الله عليهم والصحابة والصالحين رضوان الله عليهم من بعدهم ... اقرأ المغازي والسِّير وانتهج منهجهم وخير ما وقع بين يدي مستقيً "من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما أبدع في كتابته فضيلة الأستاذ أبي الحسن الندوي في مجموعة محاضرات رائعة جمعها فضيلة الأستاذ محمد رابع الندوي في كتاب (روائع من أدب الدعوة) فعليك به أخي وسوف

---

(١) سورة القلم _ الآية ٤.

(٢) سورة آل عمران _ الآية ١٥٩.

تجد ما ينير طريقك في الدعوة إلى الله على نهج النبوة ومسلك الصحابة والتابعين.

عرض الدعوة على العلماء وقلة استجابتهم بادئ الأمر : تزامن ظهور هذه الدعوة في وقت كثرت فيه الأفكار والاتجاهات مع انتشار الآراء والأحزاب السياسية والدينية، والتي غلب على صفاتها الفشل ... فظن كثير من الناس والعلماء أن هذه الدعوة كأخواتها وسابقاتها.

وسبب هذا الظن هو بُعدهم وانتشارهم في الولايات الهندية و وصول الأخبار إليهم عن هذه الدعوة ليس كما يجب.

فلذلك كان أكبر أمل عند الشيخ محمد الياس رحمه الله هو أن يحمل أهل العلم وطلبته هذا الفكر وينشرونه في المدن والقرى لذلك شُكلت الجماعات إلى المدن المعروفة والمشتهرة بدور العلم والعلماء.

وكان يوصي هذه الجماعات ألا يتحدثوا مع العلماء، ولا يعرضوا عليهم الدعوة، ولكن يجتهدوا في القرى والأحياء حول المعاهد الدينية والجماعات، فأرسل الجماعات إلى سهارنفور وديوبند وغيرها، ولكنه كان يزور العلماء ويحدثهم وكان يقول في ذلك: لا أدري أيّ قوة أستخدمها للإفهام والإقناع وبأي لسان أصارح وبأي قوة أثبت في ذهني وبأي حيلة أحوّل المعلوم البديهيَّ الواضحَ كلَّ الوضوح مجهولاً أو أجعل المجهول معلوماً!!!.

إني أؤمن إيماناً كاملاً بأنه ليس هناك (سد سكندري) عالٍ أمام هذا التيار الجارف والسيل العرمرم من الفتن العمياء والظلمات المتراكمة ... إن إيماني بالمساهمة في هذه المحاولة التي نهضتُ بها بكل قوة وبكل حماس وعاطفة وبالقلب والقالب وبصرف كل جهد وعناية إليه كفيل بأن يتصدى لذلك.

لقد كان من معارضي الشيخ إلياس كثير من العلماء، ومنهم من تصدى لهذا العمل، ومن مخالفيه كذلك ولده الشيخ محمد يوسف رحمه الله وكان يبتعد عن والده، إلى أن شرح الله صدره لهذا العمل فما إن قضى الشيخ محمد إلياس أجله حتى قام الشيخ محمد يوسف (رحمه الله)بأعباء الدعوة وكثُر أهل العلم في بلاد الهند والعلماء والمدارس تفهماً لعمل الدعوة، وأصبحت تلك المدارس تُخرّج الحفاظ وأهل الحديث والفقه، ثم تجعل نهاية دراستهم النظرية خروجاً في سبيل الله مع الجماعة للتمرن على عمل الدعوة.

إن الخريجين من ندوة العلماء، ومن كلية الدعوة فيها يخرجون سبعة أربعينيات (يسمونه نصاب العلماء) فعلمنا بفضل الله أنهّم الآن يقومون بهذا العمل نسأل الله أن يسدد علمائنا ويشرح صدورهم لذلك ويُرَغِّبوا طلبة العلم للتمرن على عمل الدعوة وأن يخرجوا في سبيل الله مع أهل هذا السبيل ليتفقهوا ويُفقِّهوا غيرهم ويصبح لواء الدعوة إلى الله بأيدي العلماء وطلبة العلم فتقوى الحجة ويظهر البيان، ويعلو التوحيد، وتستقر العقائد،

وتخشع القلوب، ويتواضع المتعلمون والدارسون لتفهيم الناس وتعليمهم، وقيادة فكر الدعوة.

لقد قام على تأسيس هذا العمل رجال من علماء الهند كما ورد ذكرهم في صفحات الكتاب، ولا أظن أن عملاً يملأ الأرض طولاً وعرضاً ودعوة يحتشد لها الملايين في اجتماعاتهم السنوية في الهند وباكستان والبنغال وبلاد العرب وخاصة الأردن (لا يفوتني أن أذكر أن الاجتماع السنوي في الأردن قد تزامن مع كتابة هذه الصفحات حيث الاجتماع سيكون يوم ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٢م) وفي أمريكا وأوروبا اجتماعات سنوية يخرج فيها الناس في سبيل الله إلى أنحاء الأرض بالآلاف يحملون عقيدة التوحيد ويظهرون عظمة الله ويحيون السنن ويميتون البدع ولسان حالهم يقول (انشروا المعروف بذكره واجتنبوا المنكر بهجره) ويُعلّمون ويتعلّمون على الرغم من قِلّة علمهم وبساطتهم.

ولكنه الآن وفي هذه السنوات توارث أبناء الدعاة رسالة آبائهم وأصبح الآن من أبناء الدعاة علماء في الدعوة وحفاظ قرآن وسنن وأصبح صفة الخارجين في سبيل الله يغلب عليها كلام العلم والفقه والأسلوب العلمي علمية فجمع الله تعالى لهم العلم والعمل، ولم يعد من عوام الناس والأميين

الذين تأثروا بادئ الأمر وخرجوا واكتسبوا الخبرة إلا أن يسعدوا بأن أبناءهم أصبحوا علماء وحفاظ قرآن ويخرجون في سبيل الله على بصيرة وعلم.

أما المتشددون والذين حرموا دراسة مادة الدعوة عملياً والذين يكيلون التهم والبدعية على أهل الدعوة فحسبهم الله، وأظنهم لقلة اطلاعهم لا زالوا يصفون هذا العمل أنه قائم على رجال قليلوا الحظ في علوم الدين والدنيا، وما زالوا لا يرغبون في فهم ودراسة أفكار الدعوة، وهم يعلمون أن القائمين عليها علماء، وأن مؤسسيها علماء، وأصبح الكثير من أبنائهم علماء ... ولكن في نظر هؤلاء ليس هناك علماء إلا من يذكرونهم.

ولقد كان من أحد دروس العقيدة التي جلسنا لها نتعلم أن من عقيدة أهل السنة والجماعة احترام العلماء وتقديرهم والسكوت على ما يشاع عنهم من أنهم أخطئوا في مسألة معينة، ويبقى أن لهم الفضل في ما قدّموا للأمة من نتاج علم في العقيدة والفقه والتفسير والحديث واللغة.

ولكن مالي أرى هؤلاء القوم يقعون هم أنفسهم في إنكار العلم والعلماء إن لم يكونوا من تلاميذ الشيخ فلان أو علان !!

لم هذا التعصب للشيخ؟ وعدم سماع أو قراءة أخبار العلوم من مصادر أخرى ومناهج أخرى؟ ويكون الردّ عليها بما يتفق مع حسن الآداب واحترام العلماء كما تعلمنا منهم .

فإني كنت أراقب الجلوس في حلقات دروس العقيدة فأجد أن أكثر الجالسين فيها بعد اتباع الشيخ هم جماعة الدعوة وشباب الدعوة ويا أسفاً فإن الشيخ يسلم علينا بعد الدرس ويقول لنا: (أنتم بركتنا) وأنتم تعملون كذا وكذا فجزاكم الله خيراً، وبعد أيام تأتينا الأخبار عن هذا الشيخ أنه ينهى بعض الشباب عن الخروج معنا بعد أن جئنا بهم من الأسواق وملاحقة الفتيات إلى طاعة الله وتربية المساجد...؟

لماذا يا إخوتي في العقيدة نكون في وجهين وفي حالين مع أن دعوتنا مشتركة وعملنا واحد يخرج من مشكاة واحدة وان اختلفت التسميات؟!.

فإن قلتم عقيدة السلف وقلنا حياة الصحابة وقلتم سيرة السلف وقلنا صفات الصحابة ... ما الفرق ؟.

نحن نربي أنفسنا على صفات الصحابة وأعلى هذه الصفات صفة التوحيد والاعتقاد.

فالتربية عند طلبة العلم تختلف نوعاً ما عنها عند عوام الناس، فطلبة العلم وأهله يدرسون ويتربّون على أسس من العقائد والفقه والأصول ودقائق العلوم، حتى يتمكنوا من كشف الشبهات وبيان الحقائق وردّ الشروح إلى أصحابها وبيان أنواع الحديث.

هذه علوم وفق الله لها العلماء وطلبة علم يتابعون ما كتب وما اندثر من العلوم ويصحّحون الحديث وما إلى ذلك من جهد وعمل فجزاهم الله خيراً.

وأما الدعوة فإنهم يدرسون هذه العلوم ويعملّون على تيسيرها للعوام ويعلمونها للناس بِيُسرٍ حتى يتمكن الناس من فهم ذلك، ثم يصبح لديهم الرغبة في العلم والتعلم ويجلسوا إلى العلماء ويتربون على منهج السلف الصالحين نحن نتحدث مع الناس من كل الطبقات، ونبسُط لهم ما وفقنا الله لفهمه من عقائد السلف وصفاتهم وأحوالهم ودعوتهم، وبأسلوب ترغيبي ووعظي .

وقد صلح على هذا المنهج خلق كثير وأصبح منهم طلبة علم ودارسون ومثقفون يرغبون في فهم العقائد رغبة و رهبة ... عندما تفتحت مداركهم لفهم كلام الله تعالى وكلام رسوله وسيرته ﷺ وأصحابه والتابعين وحسن اعتقادهم.

منهج الدعوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :بالتأمل فيما قرأتُ من بعض الكتب التي تشكك في هذا العمل؛ وجدتُ كثيراً من هذه الكتابات لم تبُنَ على أساس علمي أو منهجي من الدراسة والخبر، ولكن تعتمد على الظن والنقل غير الموثوق والحكم بظاهر من القول على هذه الدعوة بالبدعية والضلال دون تحقيق ولا تمحيص، ولمجرد ما يُشاع عن الجماعة، أو ما شوهد من بعض أفعال وأقوال بعض الرجال الجدد الذين خرجوا مع هذه الجماعة أو صحبوها لوقت قصير، ولم يتمكنوا من فهم أصول هذا العمل .

علماً بأنه قد صحب الجماعة بعض من أهل العلم وطلبته وقتاً طويلاً، ولم يَرَ مخالفة واحدة ممن خرج معهم، ولم يَدْعُهُ أحد إلى بدعة أو مخالفة، كما يذكر ذلك بنفسه أكثر من ثماني سنوات، إلاّ ما كان من أخطاء بعض الجدد كما ذكرنا.

وحين نُقلت إليه بعض الأقاويل، اعتمد قول من قال بتبديع الجماعة.

وآخر لا يعلم عن الجماعة شيئاً يكتب ويقول: "إني لم أدرس الجماعة ولا أرغب في ذلك" ومع ذلك أجاز لنفسه أن ينصب نفسه قاضياً يحكم على سلوك وصفات الجماعة بغير علم ولا دراسة.

أليس من الظلم ومن كبير المقت أن نقول على الناس شيئاً لا علم لنا به، ولم نصحب الجماعة؟ ونصف حالهم العقديّ أو نرميهم بالبدعة؟ أو أن نرى من يصحبهم ردحاً من الزمن ولا يجد عندهم إلا الخير والسنة، ثم يحكم عليهم بقول قائل وينسى صحبته لهم؟!

أيها الأحبة لا بد من العلم والتواضع، ولا بد من التأني والإنصاف كي نفهم دعوتنا، وليس هناك أسرارٌ في عملنا ولا دعوتنا، فنحن نظهرها جلية كما فعل الأولون نفهم، وليس لدينا باطنية نخفيها عن الناس.

نحن ندعو إلى الله عز وجل بالحكمة ولين الجانب والصبر على الأذى(١).

---

(١) هذه دعوتنا _ لمحمود عبد الكريم (من مشايخ الأردن).

السؤال الخامس

س: ما هو الدليل على الخروج في سبيل الله بشكل جماعي ؟.

ج: كان رسول الله يتحرك في الدعوة وحده حتى منَّ الله عليه بمن آمن به فتحرك معهم للدعوة، مثل: أبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب، كما في البداية لابن كثير: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ : لَمَّا أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ، خَرَجَ وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى مِنًى، حَتَّى دَفَعْنَا إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مُقَدَّمًا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَكَانَ رَجُلًا نَسَّابَةً، فَقَالَ: مِمَّنِ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا: مِنْ رَبِيعَةَ . قَالَ: وَأَيُّ رَبِيعَةَ أَنْتُم ؟ (١)..

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ الشُّهُبُ فَرَجَعَتْ الشَّيَاطِينُ فَقَالُوا مَا لَكُمْ فَقَالُوا حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ قَالَ مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا مَا حَدَثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانْظُرُوا مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَدَثَ فَانْطَلَقُوا فَضَرَبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا يَنْظُرُونَ مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ

---

(١) أَخْرَجَه الْحَاكِم وَأَبُو نُعَيْم وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِل.

قَالَ فَانْطَلَقَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَخْلَةَ وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ تَسَمَّعُوا لَهُ فَقَالُوا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَهُنَالِكَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ:(فَقَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) وَأَنْزَلَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ(١).أغلب أقوال القدماء تقول أن موضع عكاظ كان بأعلا نجد في أرض هي من ديار قيس بن عيلان بن مضر بين وادي نخلة وحاضرة الطائف وراء قرن المنازل، بنحو أربعة وعشرين ميلًا أي مسيرة ليلة واحدة على طريق المسافر من مكة إلى اليمن، وأنه من أعمال الطائف على بعد عشرة أميال إلى اثني عشر ميلًا منه.

وذلك من أقوى الأدلة على شرعية العمل الجماعي في الدعوة إلى الله.

وفي المدينة المنورة: أرسل الرسول القراء السبعين إلى بعض قبائل العرب لتعليمهم وتثقيفهم في الدين، فغدروا بهم وقتلوهم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ الْقُرَّاءُ فِيهِمْ

(١) صحيح البخاري» كتاب تفسير القرآن » سورة قل أوحي إلي(٤٦٣٧).

خَالِي حَرَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ فَبَعَثَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ فَقَالُوا اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا ، قَالَ: وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ:" إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا وَإِنَّهُمْ قَالُوا اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا "(١).

والأصل في هذا قوله تعالى: (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (٢).

وكذلك الرسول (ﷺ)لم يرسل معاذاً وحده، بل أرسل معه أبا موسى الأشعري (رضي الله عنهما) وقال لهما كما في الحديث: عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ : أَنّ النَّبِيَّ (ﷺ) بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ : " يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا ، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا " (٣).

---

(١) صحيح مسلم» كتاب الإمارة» باب ثبوت الجنة للشهيد (٦٧٧).

(٢) سورة التوبة _ الآية ١٢٢.

(٣) صحيح مسلم _ رقم الحديث: ٣٢٦٩.

وكذلك ما ورد عَنِ الْبَرَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ. قَالَ الْبَرَاءُ: فَكُنْتُ فِيمَنْ خَرَجَ مَعَ خَالِدٍ، فَأَقَمْنَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُجِيبُوهُ. ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) بَعَثَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يُقْفِلَ خَالِدًا، إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَمَّمَ مَعَ خَالِدٍ أَحَبَّ أَنْ يُعَقِّبَ مَعَ عَلِيٍّ فَلْيُعَقِّبْ مَعَهُ . فَكُنْتُ فِيمَنْ عَقَّبَ مَعَ عَلِيٍّ . فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْقَوْمِ خَرَجُوا إِلَيْنَا، فَصَلَّى بِنَا عَلِيٌّ، ثُمَّ صَفَّنَا صَفًّا وَاحِدًا، ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ، فَأَسْلَمَتْ هَمْدَانُ جَمْعًا . فَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ خَرَّ سَاجِدًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: " السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ، السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ بَعْضَهُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ(١) .

ولَمَّا رَجَعَ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ كَتَبَ إِلَى مُلُوكِ الْأَرْضِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، فَكَتَبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا إِذَا كَانَ مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ وَنَقَشَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ: مُحَمَّدٌ سَطْرٌ، وَرَسُولُ سَطْرٌ، وَاللهِ سَطْرٌ، وَخَتَمَ بِهِ الْكُتُبَ إِلَى الْمُلُوكِ، وَبَعَثَ سِتَّةَ نَفَرٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ. فَأَوَّلُهُمْ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، بَعَثَهُ إِلَى النجاشي.

وَبَعَثَ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيَّ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، وَاسْمُهُ هرقل وَهَمَّ

---

(١) سير أعلام النبلاء» السيرة النبوية» أمر الهجرة والعهد المدني» السنة العاشرة» بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن.

بِالْإِسْلَامِ وَكَادَ، وَلَمْ يَفْعَلْ، وَقِيلَ: بَلْ أَسْلَمَ ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

وَبَعَثَ عَبْدَ اللهِّ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ إِلَى كسرى ، واسمه أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، فَمَزَّقَ كِتَابَ النَّبِيِّ (ﷺ) ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): (اللَّهُمَّ مَزِّقْ مُلْكَهُ) فَمَزَّقَ اللهُّ مُلْكَهُ وَمُلْكَ قَوْمِهِ .

وَبَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْقِسِ.

وَبَعَثَ شجاع بن وهب الأسدي إِلَى الحارث بن أبي شمر الغساني مَلِكِ الْبَلْقَاءِ .

وَبَعَثَ سليط بن عمرو إِلَى هوذة بن علي الحنفي بِالْيَمَامَةِ ، فَأَكْرَمَهُ .

وَقِيلَ: بَعَثَهُ إِلَى هَوْذَةَ، وَإِلَى ثمامة بن أثال الحنفي، فَلَمْ يُسْلِمْ هوذة، وَأَسْلَمَ ثمامة بَعْدَ ذَلِكَ، فَهَؤُلَاءِ السِّتَّةُ قِيلَ: هُمُ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ) فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ .

وَبَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ إِلَى جيفر وعبد الله ابني الجلندى الأزديين بِعُمَانَ، فَأَسْلَمَا، وَصَدَقَا، وَخَلَّيَا بَيْنَ عمرو وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ وَالْحُكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَتَّى بَلَغَتْهُ وَفَاةُ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَبَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى المنذر بن ساوى العبدي مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ قَبْلَ مُنْصَرَفِهِ مِنَ " الْجِعْرَانَةِ " وَقِيلَ: قَبْلَ الْفَتْحِ فَأَسْلَمَ وَصَدَقَ.

وَبَعَثَ المهاجر بن أبي أمية المخزومي إِلَى الحارث بن عبد كلال الحميري بِالْيَمَنِ، فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي .

وَبَعَثَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ، وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ تَبُوكَ.

وَقِيلَ بَلْ سَنَةَ عَشْرٍ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ دَاعِيَيْنِ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ عَامَّةُ أَهْلِهَا طَوْعًا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ .

ثُمَّ بَعَثَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَيْهِمْ وَوَافَاهُ بِمَكَّةَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ .

وَبَعَثَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهَّ الْبَجَلِيَّ إِلَى ذي الكلاع الحميري، وذي عمرو، يَدْعُوهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَا، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) وجرير عِنْدَهُمْ .

وَبَعَثَ عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَى مسيلمة الكذاب بِكِتَابٍ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِكِتَابٍ آخَرَ مَعَ السائب بن العوام أَخِي الزبير فَلَمْ يُسْلِمْ (١).

بالله عليكم تفكروا معيَ هل كل من أرسله رسول الله إلى ملك من الملوك كان يقطع الفيافي والصحاري وحده، أم كان معه جمع من الصحابة ؟.

كانت دائما البعوث جماعية.. وما كان يذكر إلا من هو على رأس البعث.

يقول الشيخ خالد عبد الرحمن: قولهم: "أي المنتقدين" هل هذا العمل من ناحية وسائله ثبت عن رسول الله أو عن الصحابة أو التابعين بنفس هذا الترتيب؟ فأقول مستعيناً بالله: إن وسائل هذا العمل عند جماعة

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد» فَصْلٌ فِي كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُلُوكِ.

التبليغ كثيرة جداً ولكن هنا نريد أن نبيّن أمراً انفردت به هذه الجماعة بوسائلها دون سواها، هذا الأمر هو الخروج بالشكل الجماعي المشاهد عندهم وستكون إجابتنا عن خصوص هذه الوسيلة دون سواها، وأما باقي الوسائل فستأتي إن شاء الله أثناء توضيح الاعتراضات التي ترد على هذه الجماعة، فلنشرع مستعينين بالله في بيان حكم هذه الوسيلة، ألا وهي خروج الجماعات إلى أنحاء بلاد العالم. فأقول: مما لا شك فيه أن خروج جماعة التبليغ المنتظم دون انقطاع بهذه الكيفية لم يثبت به العمل في الزمن السابق فلم يكن رسول الله ﷺ ولا الخلفاء الراشدين يرسلون جماعات مسلمة إلى جماعات مسلمة لتذكيرهم بالله ونصحهم، كما هو الحال عند هذه الجماعة،وأعني بقولي أن النبي ﷺ لم يكن من شأنه إرسال جماعات بهذه الكيفية أي أنه لكم يفعله دائماً وإنما كان يفعل ذلك إذا اقتضت الأمور، وإليك توضيح ذلك.

أخرج البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ الْقُرَّاءُ فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ

فَبَعَثَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ فَقَالُوا اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا قَالَ وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ فَقَالَ حَرَامٌ فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا وَإِنَّهُمْ قَالُوا اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا(١).

وأنت كما ترى في هذا الحديث الصحيح أن النبي (ﷺ) أرسل جماعة مسلمة إلى جماعة في الظاهر مسلمة لتعليمهم الكتاب والسنة لما اقتضت الأحوال ذلك، وأما في الظروف العادية والتي لم تكن تقتضي إرسال جماعات بهذه الكيفية فلم ينقل عنه (ﷺ) أنه كان يفعل ذلك، فإن سألت: إذن كيف كانت تتم الدعوة إلى الله في زمانه(ﷺ) فالجواب: أن الدعوة وقعت في زمانه على عدة أوجه:

الوجه الأول: إرسال رسله بالكتب كما أرسل رسوله إلى هرقل والحديث في البخاري وغيره.

الوجه الثاني: إرسال جماعات وأفراد ممن آمن به من البلاد الأخرى وأمره لهم بالرجوع إلى بلادهم وتعليم أهلهم ودعوتهم إلى الإسلام كما فعل ذلك

---

(١) صحيح مسلم» كتاب الإمارة» باب ثبوت الجنة للشهيد (٦٧٧).

مع وفد عبد القيس والحديث أيضاً في البخاري، وهكذا كما رجع ضمام إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام والحديث أيضاً في البخاري.

الوجه الثالث: إرسال أصحابه للجهاد لدعوة الناس إلى الإسلام وبعد أن يتم فتح البلاد يرسل النبي (ﷺ) إليهم أمرائه حتى يعلموهم الدين ويقضوا بينهم كما فعل ذلك مع معاذ بن جبل، وأبي موسى الأشعري – رضي الله عنهما– عندما أرسلهما إلى اليمن والحديث في البخاري.

فلو أردنا أن نطبق هذه الصور الثلاث على خروج جماعة التبليغ لامتنع أن ينطبق على صورة خروجهم الوجه الأول لأن الصورة فيه مختلفة عن صورة خروج جماعة التبليغ إذ أنه في الوجه الأول كان الإرسال لأهل الكفر وليس للمسلمين كما يخرج جماعة التبليغ غالباً للمسلمين، وكذلك الوجه الثاني إنما هو إرسال جماعة مسلمة آمنت بالإسلام إلى أقوام كافرين فإن ضُماما مثلا رجع إلى كفار ولم يرجع إلى مسلمين ولو سلمنا أن فيه رجوع جماعة مسلمة إلى جماعة مسلمة كما يشير إلى ذلك حديث وفد عبد قيس فلا نستطيع أن نطبق صورة هذا الحديث على عموم خروج جماعة التبليغ، لأن الصورة في هذا الحديث إنما هي إرسال جماعات إلى بلادهم وليس إلى بلاد أخرى تفعل جماعة التبليغ، وكذلك الوجه الثالث لا تنطبق صورته على صورة جماعة التبليغ لأن فيه إرسال جماعة يقومون بالإمارة

والقضاء، فاختلفت صورة هذا الإرسال عن صورة خروج جماعة التبليغ، فلم تنطبق هذه الصور الثلاث على صورة خروج جماعة التبليغ إلا الصورة التي ذكرتها من حديث أنس عند إرسال النبي ﷺ سبعين من القراء إلى آخر ما ذكر في الحديث فإن هذه الصورة تنطبق على صورة خروج جماعة التبليغ، لأن الجامع بينهما خروج جماعة مسلمة إلى جماعة مسلمة في الظاهر لتعليمهم الكتاب والسنة، وهذا هو الذي تفعله جماعة التبليغ، إلا أننا نرجع إلى أصل بحثنا فنقول: إن هذه الصورة تنطبق على صورة خروج جماعة التبليغ، إلا أن جماعة التبليغ تتخذه مثلاً دائماً، وهنا البحث فنقول إذا أردنا أن نثبت مشروعية خروج جماعة التبليغ استدلالاً بهذا الحديث فيجب أولاً أن نرى، لماذا لم يتخذه رسول الله ﷺ ديدناً بهذه الكيفية؟ .

فإن كان المقتضى لهذه الكيفية قائماً ولم يتخذه رسول الله (ﷺ) فلا يجوز اتخاذه ديدناً وإنما يفعل بحسب ما فعله رسول الله (ﷺ) أحياناً، وأما إذا لم يكن المقتضى قائماً لاتخاذه عادة في زمن النبوة، ثم وجد مقتضيه الآن، فعند ذلك يشرع خروج جماعة التبليغ، ولبيان تلك القاعدة وتطبيقها أقول: إن النبي ﷺ إنما أرسل هذه الجماعة عندما رأى في ذلك المصلحة المقتضية، وأنت ترى أن النبي ﷺ لم يرسل ابتداءً لعدم ظهور المقتضى لخروج الجماعة حيث أن النبي ﷺ كان يرسل الجماعات للجهاد في سبيل الله، فلما تفتح

البلاد ويستقر فيها هؤلاء الفاتحين ومنهم العلماء، ثم بعد ذلك يرسل لهم النبي أميراً وقاضياً، وتنضبط أمورهم بهذا الإرسال -أقصد الإرسال الأول كما بينت- وكذلك الحال في وفد عبد القيس عندما جاءوا النبي ﷺ، وعلمهم بعض فرائض الإسلام، وأمرهم أن يعلموا من خلفهم، فقد انضبطت أحوالهم بهذا الوفد الذي أرسله، حيث أنهم رجعوا وقاموا هم بهذا الواجب، إذن فإن المقتضى لإرسال جماعات مسلمة بعد هذا لم يكن له داعياً في زمن رسول النبي ﷺ بنحو خروج جماعة التبليغ، وكذلك الحال في زمن السلف فقد كانت الأحوال منتظمة حيث كان هناك خلافة، فكان الخليفة يرسل المسلمين للجهاد فإذا فتحت تلك البلاد أرسل إليهم العلماء والقضاة والولاة فانتظمت أمورهم فلم يكن المقتضى قائماً حيث أن لا جهاد -أقصد جهاد الدعوة لا الدفاع- بسبب عدم وجود إمام، زد على ذلك اتساع أرض الإسلام وكثرة المسلمين حيث أن العلماء المتصدين للدعوة أصبحوا لا يكفوا ديارهم فضلاً عن أن يكفوا ديار غيرهم، زد على ذلك أن الحدود كقطع يد السارق، ورجم وجلد الزاني معطلة بسبب تغيب الإمام الذي يقيم تلك الحدود، زد على ذلك استشراء الفساد ودعاة الضلالة، وظهور البدع، والسكوت عليها، وقلة الصالحين وكثرة الفاسقين وغير ذلك من الأحوال المخالفة لما كان عليه زمن الصحابة الصالحين، فمما لا شك فيه أن المقتضى أصبح قائماً الآن لإرسال جماعات بانتظام كما يفعل إخواننا من جماعة التبليغ

وحيث ثبت أن المقتضي أصبح قائماً شرع العمل بما أدى إليه هذا المقتضى كما فعل الرسول ﷺ عندما أرسل السبعين من القراء، ومن هنا ثبتت مشروعية خروج جماعة التبليغ وإن لم يكن فعل بانتظام وديدناً في عهد الرسول الكريم وعهد السلف الصالح وإنما الذي أورد الإشكال على المعارض بسبب عدم وجود فعل مستمر من النبي ﷺ على ذلك.

السؤال السادس

س: ما حُـكْـمُ الدعــوة إلى الله عز وجل: فرض أم سنة ؟.

ج: ما سمعنا أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ سأل النبي ﷺ هذا السؤال، إنما ظهر هذا السؤال عندما أراد بعض الناس أن يتهرب من مسئولية الدعوة بحجة أن واجب على سبيل الكفاية ويتحجج بالآية الكريمة﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

اعْلَمْ أخي الكريم: أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ الْقُطْبُ الْأَعْظَمُ فِي الدِّينِ وَالْمُهِمُّ الَّذِي ابْتَعَثَ اللهُ لَهُ النَّبِيِّينَ أَجْمَعِينَ، لَوْ طُوِيَ بِسَاطُهُ وَأُهْمِلَ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ لَفَشَتِ الضَّلَالَةُ وَشَاعَتِ الْجَهَالَةُ وَخُرِّبَتِ الْبِلَادُ وَهَلَكَ الْعِبَادُ، فَتَعَوَّذْ بِاللهِ أَنْ يَنْدَسَّ مِنْ هَذَا الْقُطْبِ عَمَلُهُ وَعِلْمُهُ، وَأَنْ يَنْمَحِيَ بِالْكُلِّيَّةِ حَقِيقَتُهُ وَرَسْمُهُ، وَأَنْ تَسْتَوْلِيَ عَلَى الْقُلُوبِ مُدَاهَنَةُ الْخَلْقِ، وَتَنْمَحِيَ عَنْهَا مُرَاقَبَةُ الْخَالِقِ، وَأَنْ يَسْتَرْسِلَ النَّاسُ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ اسْتِرْسَالَ الْبَهَائِمِ، وَأَنْ يَعِزَّ عَلَى بِسَاطِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ صَادِقٌ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ.

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٠٤.

وَالْمُذَمَّةُ فِي إِهْمَالِهِ: دَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١) فَفِي الْآيَةِ بَيَانُ الْإِيجَابِ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: (وَلْتَكُنْ) أَمْرٌ ، وَظَاهِرُ الْأَمْرِ الْإِيجَابُ، وَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ الْفَلَاحَ مَنُوطٌ بِهِ إِذْ حُصِرَ بِقَوْلِهِ : (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وَفِيهَا بَيَانُ أَنَّهُ فَرْضُ كِفَايَةٍ لَا فَرْضُ عَيْنٍ ، وَأَنَّهُ إِذَا قَامَ بِهِ أُمَّةٌ سَقَطَ الْفَرْضُ عَنِ الْآخَرِينَ، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى(لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) (٢) فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وَقَالَ تَعَالَى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) (٣) فَقَدْ نَعَتَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، فَالَّذِي هَجَرَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ خَارِجٌ

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٠٤.

(٢) سورة آلِ عِمْرَانَ – الآيات من ١١٣ : ١١٥.

(٣) سورة التَّوْبَةِ : الآية ٧١.

عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْعُوتِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَقَالَ تَعَالَى : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (١) وَهَذَا غَايَةُ التَّشْدِيدِ إِذْ عَلَّلَ اسْتِحْقَاقَهُمْ لِلَّعْنَةِ بِتَرْكِهِمُ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (٢)، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى فَضِيلَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، إِذْ بَيَّنَ أَنَّهُمْ كَانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ ، وَقَالَ تَعَالَى : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (٣)، فَبَيَّنَ أَنَّهُمُ اسْتَفَادُوا النَّجَاةَ بِالنَّهْيِ عَنِ السُّوءِ ، وَقَالَ تَعَالَى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (٤)، وَهُوَ أَمْرُ جَزْمٍ ، وَمَعْنَى التَّعَاوُنِ الْحَثُّ عَلَيْهِ وَتَسْهِيلُ طُرُقِ الْخَيْرِ وَسَدُّ سُبُلِ الشَّرِّ وَالْعُدْوَانِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ ، وَقَالَ تَعَالَى: (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا

---

(١) سورة الْمَائِدَةِ : ٧٨ ، ٧٩.

(٢) سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية ١١٠.

(٣) سورة الْأَعْرَافِ : الآية ١٦٥.

(٤) سورة الْمَائِدَةِ : الآية ٢.

يَصْنَعُونَ) (١) فَبَيَّنَ أَنَّهُمْ أَثِمُوا بِتَرْكِ النَّهْيِ، وَقَالَ تَعَالَى: (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ) (٢) ، فَبَيَّنَ أَنَّهُ أَهْلَكَ جَمِيعَهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ كَانُوا يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ، وَقَالَ تَعَالَى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) (٣)، ذَلِكَ هُوَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ، وَقَالَ تَعَالَى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (٤).

وَمِنَ الْأَخْبَارِ مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : " مَا مِنْ قَوْمٍ عَمِلُوا بِالْمَعَاصِي وَفِيهِمْ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْعَلْ إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ " وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ مَا لَا يُحْصَى . وَبِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ يَظْهَرُ كَوْنُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبًا ، وَأَنَّ فَرْضَهُ لَا يَسْقُطُ مَعَ الْقُدْرَةِ إِلَّا بِقِيَامِ قَائِمٍ بِهِ (٥).

---

(١) سورة الْمَائِدَةِ : الآية ٦٣.

(٢) سورة هُودٍ : ١١٦.

(٣) سورة النِّسَاءِ : الآية ١٣٥.

(٤) سورة النِّسَاءِ : الآية ١١٤.

(٥) إحياء علوم الدين للغزالي، وموعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» كِتَابُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٠/٥): والدعوة إلى الله واجبة على من اتبع الرسول ﷺ وهم أمته وقد وصفهم الله بذلك، في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١) فهذه في حقه ﷺ وفي حقهم قوله: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٢)، وقوله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾(٣).

وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة، وهو فرض كفاية يسقط عن البعض بالبعض كقوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أمة يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤)،

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٥٧.
(٢) سورة آل عمران – الآية ١١٠.
(٣) سورة التوبة – الآية ٧١ .
(٤) سورة آل عمران – الآية ١٠٤.

فجميع الأمة تقوم مقامه في الدعوة: فبهذا إجماعهم حجة وإذا تنازعوا في شيء ردوه إلى الله ورسوله. أ .هـ .

يقول الإمام ابن كثير (رحمه الله): قال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله ﷺ :﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ﴾ ثُمَّ قَالَ: " الْخَيْرُ اتِّبَاعُ الْقُرْآنِ وَسُنَّتِي " رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ .

وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ تَكُونَ فِرْقَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ مُتَصَدِّيَةٌ لِهَذَا الشَّأْنِ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الْأُمَّةِ بِحَسْبِهِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ:" مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ"رَوَاهُ مُسْلِمٌ .وفى رواية: لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ.

يَنْهَى الله عز وجل هَذِهِ الْأُمَّةَ أَنْ تَكُونَ كَالْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فِي تَفَرُّقِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ، وَتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ مَعَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ (١).

ويقول الإمام الفخر الرازي: فِي قَوْلِهِ: (مِنْكُمْ) قَوْلَانِ :

أَحَدُهُمَا: أَنَّ (مِنْ) هَاهُنَا لَيْسَتْ لِلتَّبْعِيضِ لِدَلِيلَيْنِ .

الْأَوَّلُ : أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْجَبَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى كُلِّ

(١) مختصر تفسير بن كثير - ٣٠٦/١.

الْأُمَّةِ فِي قَوْلِهِ :﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١).

وَالثَّانِي: هُوَ أَنَّهُ لَا مُكَلَّفَ إِلَّا وَيَجِبُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، إِمَّا بِيَدِهِ، أَوْ بِلِسَانِهِ، أَوْ بِقَلْبِهِ، وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ دَفْعُ الضَّرَرِ عَنِ النَّفْسِ إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ كُونُوا أُمَّةً دُعَاةً إِلَى الْخَيْرِ آمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ نَاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَمَّا كَلِمَةُ (مِنْ) فَهِيَ هُنَا لِلتَّبْيِينِ لَا لِلتَّبْعِيضِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ (٢)، وَيُقَالُ أَيْضًا: لِفُلَانٍ مِنْ أَوْلَادِهِ جُنْدٌ وَلِلْأَمِيرِ مِنْ غِلْمَانِهِ عَسْكَرٌ يُرِيدُ بِذَلِكَ جَمِيعَ أَوْلَادِهِ وَغِلْمَانِهِ لَا بَعْضَهُمْ، كَذَا هَاهُنَا، ثُمَّ قَالُوا: إِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ وَاجِبًا عَلَى الْكُلِّ إِلَّا أَنَّهُ مَتَى قَامَ بِهِ قَوْمٌ سَقَطَ التَّكْلِيفُ عَنِ الْبَاقِينَ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) (٣)، وَقَوْلُهُ: (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (٤) فَالْأَمْرُ عَامٌّ، ثُمَّ إِذَا قَامَتْ بِهِ طَائِفَةٌ وَقَعَتِ الْكِفَايَةُ وَزَالَ التَّكْلِيفُ عَنِ الْبَاقِينَ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ (مِنْ) هَاهُنَا لِلتَّبْعِيضِ، وَالْقَائِلُونَ بِهَذَا الْقَوْلِ

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١١٠ .
(٢) سورة الحج – الآية ٣٠ .
(٣) سورة التوبة – الآية ٤١ .
(٤) سورة التوبة – الآية ٣٩ .

اخْتَلَفُوا أَيْضًا عَلَى قَوْلَيْنِ. أَحَدُهُمَا: أَنَّ فَائِدَةَ كَلِمَةِ (مِنْ) هِيَ أَنَّ فِي الْقَوْمِ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الدَّعْوَةِ وَلَا عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِثْلُ النِّسَاءِ وَالْمَرْضَى وَالْعَاجِزِينَ. وَالثَّانِي: أَنَّ هَذَا التَّكْلِيفَ مُخْتَصٌّ بِالْعُلَمَاءِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وَجْهَانِ. الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْأَمْرِ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : الدَّعْوَةُ إِلَى الْخَيْرِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى الْخَيْرِ مَشْرُوطَةٌ بِالْعِلْمِ بِالْخَيْرِ وَبِالْمَعْرُوفِ وَبِالْمُنْكَرِ فَإِنَّ الْجَاهِلَ رُبَّمَا عَادَ إِلَى الْبَاطِلِ وَأَمَرَ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَى عَنِ الْمَعْرُوفِ، وَرُبَّمَا عَرَفَ الْحُكْمَ فِي مَذْهَبِهِ وَجَهِلَهُ فِي مَذْهَبِ صَاحِبِهِ فَنَهَاهُ عَنْ غَيْرِ مُنْكَرٍ، وَقَدْ يُغْلِظُ فِي مَوْضِعِ اللِّينِ وَيَلِينُ فِي مَوْضِعِ الْغِلْظَةِ، وَيُنْكِرُ عَلَى مَنْ لَا يَزِيدُهُ إِنْكَارُهُ إِلَّا تَمَادِيًا، فَثَبَتَ أَنَّ هَذَا التَّكْلِيفَ مُتَوَجِّهٌ عَلَى الْعُلَمَاءِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ بَعْضُ الْأُمَّةِ، وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) (١).

وَالثَّانِي: أَنَّا أَجْمَعْنَا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى سَبِيلِ الْكِفَايَةِ بِمَعْنَى أَنَّهُ مَتَى قَامَ بِهِ الْبَعْضُ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ الْمَعْنَى لِيَقُمْ بِذَلِكَ بَعْضُكُمْ ، فَكَانَ فِي الْحَقِيقَةِ هَذَا إِيجَابًا عَلَى الْبَعْضِ لَا عَلَى الْكُلِّ، وَاللهُ أَعْلَمُ . (٢) (١).

---

(١) سورة التوبة – الآية ١٢٢ .

(٢) مفاتيح الغيب للرازي – ٤ / ٣٧٥ .

قَالَ الزَّجَّاجُ : قَوْلُهُ: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) ظَاهِرُ الْخِطَابِ فِيهِ مَعَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ الْأُمَّةِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ (٢)،﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاص﴾ (٣)، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ خِطَابٌ مَعَ الْحَاضِرِينَ بِحَسَبِ اللَّفْظِ، وَلَكِنَّهُ عَامٌّ فِي حَقِّ الْكُلِّ كَذَا هَاهُنَا.

وقَالَ الْقَفَّالُ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَصْلُ الْأُمَّةِ الطَّائِفَةُ الْمُجْتَمِعَةُ عَلَى الشَّيْءِ الْوَاحِدِ فَأُمَّةُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمُ الْجَمَاعَةُ الْمَوْصُوفُونَ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِهِ ، وَقَدْ يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ جَمَعَتْهُمْ دَعْوَتُهُ أَنَّهُمْ أُمَّتُهُ إِلَّا أَنَّ لَفْظَ الْأُمَّةِ إِذَا أُطْلِقَتْ وَحْدَهَا وَقَعَ عَلَى الْأَوَّلِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ إِذَا قِيلَ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى كَذَا فُهِمَ مِنْهُ الْأَوَّلُ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ " وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " أُمَّتِي أُمَّتِي " فَلَفْظُ الْأُمَّةِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ وَأَشْبَاهِهَا يُفْهَمُ مِنْهُ الْمُقِرُّونَ بِنُبُوَّتِهِ ، فَأَمَّا أَهْلُ دَعْوَتِهِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُقَالُ لَهُمْ : إِنَّهُمْ أُمَّةُ الدَّعْوَةِ ، وَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ إِلَّا لَفْظُ الْأُمَّةِ بِهَذَا الشَّرْطِ(٤) .

---

(١) وتقع الكفاية بأن يشارك كل مسلم في ذلك بالتناوب كلٌ في نوبته في كل عام مرة أو مرتين كما في صحيح مسلم (لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما).

(٢) سورة البقرة – الآية ١٨٣ .

(٣) سورة البقرة – الآية ١٧٨ .

(٤) مفاتيح الغيب للرازي – ٤ / ٣٩٠

۞ **ويقول الإمام الألوسي** (*رحمه الله*) في قوله تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ)) أَيِ الْزَمُوا أَنْفُسَكُمْ وَاحْفَظُوهَا مِنْ مُلَابَسَةِ الْمَعَاصِي وَالْإِصْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ.

وَتُوُهِّمَ مِنْ ظَاهِرِ الْآيَةِ الرُّخْصَةُ فِي تَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُجِيبَ عَنْ ذَلِكَ بِوُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الِاهْتِدَاءَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَإِنَّ تَرْكَ ذَلِكَ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ ضَلَالٌ فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ : صَعِدَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ مِنْبَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتَتْلُونَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعُدُّونَهَا رُخْصَةً وَاللهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَشَدَّ مِنْهَا((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ)) الْآيَةَ، وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيَعُمَّنَّكُمُ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ بِعِقَابٍ، **وَفِي رِوَايَةٍ:** يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : "إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِعِقَابٍ"

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَرْدَوَيْهِ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ : خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقُ النَّاسَ فَكَانَ فِي خُطْبَتِهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا

تَتَّكِلُوا عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ .....إِلَخْ) إِنَّ الدَّاعِرَ لِيَكُونُ فِي الْحَيِّ فَلَا يَمْنَعُونَهُ فَيَعُمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعِقَابٍ".

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ فَسَّرَ الِاهْتِدَاءَ هُنَا بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ حُذَيْفَةَ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ.

وَالثَّانِي أَنَّ الْآيَةَ تَسْلِيَةٌ لِمَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ عِنْدَ غَلَبَةِ الْفِسْقِ وَبَعْدَ عَهْدِ الْوَحْيِ، فَقَدْ أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَأَبُو الشَّيْخِ وَالطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُمْ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ بِزَمَانِهَا وَلَكِنَّهُ قَدْ أَوْشَكَ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ فَيُصْنَعُ بِكُمْ كَذَا وَكَذَا أَوْ قَالَ: فَلَا يُقْبَلُ مِنْكُمْ فَحِينَئِذٍ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ(١).

وقال الألوسي: في قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أمة يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

أَمَرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِتَكْمِيلِ الْغَيْرِ إِثْرَ أَمْرِهِمْ بِتَكْمِيلِ النَّفْسِ لِيَكُونُوا هَادِينَ مَهْدِيِّينَ عَلَى ضِدِّ أَعْدَائِهِمْ، فَإِنَّ مَا قَصَّ اللهُ تَعَالَى مِنْ حَالِهِمْ فِيمَا سَبَقَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ ضَالُّونَ مُضِلُّونَ، وَالْجُمْهُورُ عَلَى إِسْكَانِ لَامِ الْأَمْرِ، وَقُرِئَ بِكَسْرِهَا

---

(١) تفسير الألوسي» تفسير سورة المائدة» تفسير قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ..

(٢) سورة آل عمران – الآية ١٠٤.

عَلَى الْأَصْلِ ، وَتَكُنْ إِمَّا مِنْ كَانَ التَّامَّةِ فَتَكُونُ (أُمَّةٌ) فَاعِلًا ، وَجُمْلَةُ (يَدْعُونَ) صِفَتُهُ، وَ (مِنْكُمْ) مُتَعَلِّقٌ بِتَكُنْ أَوْ بِمَحْذُوفٍ عَلَى أَنْ يَكُونَ صِفَةً - لِأُمَّةٍ - قُدِّمَ عَلَيْهَا فَصَارَ حَالًا ، وَإِمَّا مِنْ كَانَ النَّاقِصَةِ فَتَكُونُ (أُمَّةٌ) اسْمَهَا وَ (يَدْعُونَ) خَبَرَهَا ، وَ (مِنْكُمْ) إِمَّا حَالٌ مِنْ أُمَّةٍ أَوْ مُتَعَلِّقٌ بِكَانَ النَّاقِصَةِ، وَالْأُمَّةُ الْجَمَاعَةُ الَّتِي تَؤُمُّ أَيْ تَقْصِدُ لِأَمْرٍ مَا ، وَتُطْلَقُ عَلَى أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ لِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى مَقْصِدٍ وَاحِدٍ وَعَلَى الْقُدْوَةِ ، وَمِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً وَعَلَى الدِّينِ وَالْمِلَّةِ ، وَمِنْهُ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى الزَّمَانِ ، وَمِنْهُ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِيهَا ، وَالْمُرَادُ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ الدُّعَاءُ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحٌ دِينِيٌّ أَوْ دُنْيَوِيٌّ، فَعَطْفُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ إِيذَانًا بِمَزِيدِ فَضْلِهِمَا عَلَى سَائِرِ الْخَيْرَاتِ كَذَا قِيلَ ، قَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ : إِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ تِلْكَ الْبَابِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ بَعْدَ الْعَامِّ جَمِيعَ مَا يَتَنَاوَلُهُ إِذِ الْخَيْرُ الْمَدْعُوُّ إِلَيْهِ إِمَّا فِعْلٌ مَأْمُورٌ أَوْ تَرْكٌ مَنْهِيٌّ لَا يَعْدُو وَاحِدًا مِنْ هَذَيْنِ حَتَّى يَكُونَ تَخْصِيصُهُمَا بِتَمَيُّزِهِمَا عَنْ بَقِيَّةِ الْمُتَنَاوِلَاتِ ، فَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ فَائِدَةُ هَذَا التَّخْصِيصِ ذِكْرُ الدُّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ عَامًّا ثُمَّ مُفَصَّلًا ، وَفِي تَثْنِيَةِ الذِّكْرِ عَلَى وَجْهَيْنِ مَا لَا يَخْفَى مِنَ الْعِنَايَةِ إِلَّا إِنْ ثَبَتَ عُرْفٌ يَخُصُّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ بِبَعْضِ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَحِينَئِذٍ يَتَّمُ مَا ذَكَرَ، وَمَا

أَرَى هَذَا الْعُرْفَ ثَابِتًا انْتَهَى ، وَلَهُ وَجْهٌ وَجِيهٌ لِأَنَّ الدُّعَاءَ إِلَى الْخَيْرِ لَوْ فُسِّرَ بِمَا يَشْمَلُ أُمُورَ الدُّنْيَا ، وَإِنْ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهَا أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ كَانَ أَعَمَّ مِنْ فَرْضِ الْكِفَايَةِ وَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ الْبَاقِرِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: " قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ) ثُمَّ قَالَ : الْخَيْرُ اتِّبَاعُ الْقُرْآنِ وَسُنَّتِي " وَهَذَا يَدُلُّ أَنَّ الدُّعَاءَ إِلَى الْخَيْرِ لَا يَشْمَلُ الدُّعَاءَ إِلَى أُمُورِ الدُّنْيَا .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ فَسَّرَ الْخَيْرَ بِمَعْرُوفٍ خَاصٍّ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ تَعَالَى وَجَعَلَ الْمَعْرُوفَ فِي الْآيَةِ مَا عَدَاهُ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَحِينَئِذٍ لَا يَتَأَتَّى مَا قَالَهُ ابْنُ الْمُنِيرِ أَيْضًا ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مُقَاتِلٍ أَنَّ الْخَيْرَ الْإِسْلَامُ، وَالْمَعْرُوفَ طَاعَةُ اللهِ، وَالْمُنْكَرَ مَعْصِيَتُهُ، وَحَذْفُ الْمَفْعُولِ الصَّرِيحِ مِنَ الْأَفْعَالِ الثَّلَاثَةِ إِمَّا لِلْإِعْلَامِ بِظُهُورِهِ، أَيْ يَدْعُونَ النَّاسَ وَلَوْ غَيْرَ مُكَلَّفِينَ وَيَأْمُرُونَهُمْ وَيَنْهَوْنَهُمْ ، وَإِمَّا لِلْقَصْدِ إِلَى إِيجَادِ نَفْسِ الْفِعْلِ عَلَى حَدِّ: فُلَانٌ يُعْطِي، أَيْ يَفْعَلُونَ الدُّعَاءَ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَيُوقِعُونَهَا ، وَالْخِطَابُ قِيلَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى مَنْ تُوَجِّهَ الْخِطَابُ الْأَوَّلُ إِلَيْهِ فِي رَأْيٍ وَهُمُ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ، وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّهُ مُتَوَجِّهٌ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً وَهُمُ الرُّوَاةُ، وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى جَعْلِهِ عَامًّا ، وَيَدْخُلُ فِيهِ مَنْ ذَكَرَ دُخُولًا أَوَّلِيًّا ، وَ (مِنْ) هُنَا قِيلَ : لِلتَّبْعِيضِ، وَقِيلَ : لِلتَّبْيِينِ، وَهِيَ تَجْرِيدِيَّةٌ

كَمَا يُقَالُ لِفُلَانٍ مِنْ أَوْلَادِهِ جُنْدٌ، وَلِلْأَمِيرِ مِنْ غِلْمَانِهِ عَسْكَرٌ ، يُرَادُ بِذَلِكَ جَمِيعَ الْأَوْلَادِ وَالْغِلْمَانِ.

وَمَنْشَأُ الْخِلَافِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ، وَلَمْ يُخَالِفْ فِي ذَلِكَ إِلَّا النَّزْرُ، وَمِنْهُمُ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ مِنَ الْإِمَامِيَّةِ قَالُوا : إِنَّهَا مِنْ فُرُوضِ الْأَعْيَانِ ، وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْكِفَايَةِ هَلْ هُوَ وَاجِبٌ عَلَى جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ، وَيَسْقُطُ عَنْهُمْ بِفِعْلِ بَعْضِهِمْ أَوْ هُوَ وَاجِبٌ عَلَى الْبَعْضِ، ذَهَبَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ وَأَتْبَاعُهُ إِلَى الثَّانِي لِلِاكْتِفَاءِ بِحُصُولِهِ مِنَ الْبَعْضِ ، وَلَوْ وَجَبَ عَلَى الْكُلِّ لَمْ يَكْتَفِ بِفِعْلِ الْبَعْضِ، إِذْ يُسْتَبْعَدُ سُقُوطُ الْوَاجِبِ عَلَى الْمُكَلَّفِ بِفِعْلِ غَيْرِهِ ، وَذَهَبَ إِلَى الْأَوَّلِ الْجُمْهُورُ وَهُوَ ظَاهِرُ نَصِّ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فِي الْأُمِّ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِإِثْمِ الْجَمِيعِ بِتَرْكِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ لَمَا أَثِمُوا بِالتَّرْكِ.

وَأَجَابَ الْأَوَّلُونَ عَنْ هَذَا بِأَنَّ إِثْمَهُمْ بِالتَّرْكِ لِتَفْوِيتِهِمْ مَا قُصِدَ حُصُولُهُ مِنْ جِهَتِهِمْ فِي الْجُمْلَةِ لَا لِلْوُجُوبِ عَلَيْهِمْ ، وَاعْتُرِضَ عَلَيْهِ مِنْ طَرَفِ الْجُمْهُورِ بِأَنَّ هَذَا هُوَ الْحَقِيقُ بِالِاسْتِبْعَادِ أَعْنِي إِثْمَ طَائِفَةٍ بِتَرْكِ أُخْرَى فِعْلًا كُلِّفَتْ بِهِ .

وَالْجَوَابُ عَنْهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ الْإِسْقَاطُ عَنْ غَيْرِهِمْ بِفِعْلِهِمْ أَوْلَى مِنْ تَأْثِيمِ غَيْرِهِمْ بِتَرْكِهِمْ يُقَالُ فِيهِ : بَلْ هُوَ أَوْلَى لِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ نَظِيرُهُ شَرْعًا مِنْ إِسْقَاطِ مَا عَلَى زَيْدٍ بِأَدَاءِ عَمْرٍو ، وَلَمْ يَثْبُتْ تَأْثِيمُ إِنْسَانٍ بِتَرْكِ آخَرَ فَيَتِمُّ مَا قَالَهُ

الْجُمْهُورُ .

وَاعْتُرِضَ الْقَوْلُ بِأَنَّ هَذَا هُوَ الْحَقِيقُ بِالِاسْتِبْعَادِ بِأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَأَتَّى لَوِ ارْتَبَطَ التَّكْلِيفُ فِي الظَّاهِرِ بِتِلْكَ الطَّائِفَةِ الْأُخْرَى بِعَيْنِهَا وَحْدَهَا لَكِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ كِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ مُتَسَاوِيَتَانِ فِي احْتِمَالِ الْأَمْرِ لَهُمَا وَتَعَلُّقِهِ بِهِمَا مِنْ غَيْرِ مَزِيَّةٍ لِإِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى ، فَلَيْسَ فِي التَّأْثِيمِ الْمَذْكُورِ تَأْثِيمُ طَائِفَةٍ بِتَرْكِ أُخْرَى فِعْلًا كُلِّفَتْ بِهِ ، إِذْ كَوْنُ الْأُخْرَى كُلِّفَتْ بِهِ غَيْرُ مَعْلُومٍ بَلْ كِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ مُتَسَاوِيَتَانِ فِي احْتِمَالِ كُلٍّ أَنْ تَكُونَ مُكَلَّفَةً بِهِ ، فَالِاسْتِبْعَادُ الْمَذْكُورُ لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ، عَلَى أَنَّهُ إِذَا قُلْنَا بِمَا اخْتَارَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذْهَبِ الثَّانِي مِنْ أَنَّ الْبَعْضَ مُبْهَمٌ آلَ الْحَالُ إِلَى أَنَّ الْمُكَلَّفَ طَائِفَةٌ لَا بِعَيْنِهَا ، فَيَكُونُ الْمُكَلَّفُ الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ الطَّوَائِفِ، الصَّادِقُ بِكُلِّ طَائِفَةٍ ، فَجَمِيعُ الطَّوَائِفِ مُسْتَوِيَةٌ فِي تَعَلُّقِ الْخِطَابِ بِهَا بِوَاسِطَةِ تَعَلُّقِهِ بِالْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ الْمُسْتَوِي فِيهَا فَلَا إِشْكَالَ فِي اسْمِ الْجَمِيعِ، وَلَا يَصِيرُ النِّزَاعُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ لَفْظِيًّا حَيْثُ إِنَّ الْخِطَابَ حِينَئِذٍ عَمَّ الْجَمِيعَ عَلَى الْقَوْلَيْنِ، وَكَذَا الْإِثْمُ عِنْدَ التَّرْكِ لِمَا أَنَّ فِي أَحَدِهِمَا دَعْوَى التَّعْلِيقِ بِكُلِّ وَاحِدٍ بِعَيْنِهِ، وَفِي الْآخَرِ دَعْوَى تَعَلُّقِهِ بِكُلٍّ بِطَرِيقِ السِّرَايَةِ مَنْ تُعَلِّقِهِ بِالْمُشْتَرَكِ ، وَثَمَرَةُ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ شَكَّ أَنَّ غَيْرَهُ هَلْ فَعَلَ ذَلِكَ الْوَاجِبَ لَا يَلْزَمُهُ عَلَى الْقَوْلِ بِالسِّرَايَةِ ، وَيَلْزَمُهُ عَلَى الْقَوْلِ بِالِابْتِدَاءِ ، وَلَا يَسْقُطُ عَنْهُ إِلَّا إِذَا ظَنَّ فِعْلَ الْغَيْرِ ، وَمِنْ هُنَا يَسْتَغْنِي عَنِ

الْجَوَابِ عَمَّا اعْتُرِضَ بِهِ مِنْ طَرَفِ الْجُمْهُورِ، فَلَا يَضُرُّنَا مَا قِيلَ فِيهِ، عَلَى أَنَّهُ يُقَالُ عَلَى مَا قِيلَ : لَيْسَ الدَّيْنُ نَظِيرَ مَا نَحْنُ فِيهِ كُلِّيًّا ؛ لِأَنَّ دَيْنَ زَيْدٍ وَاجِبٌ عَلَيْهِ وَحْدَهُ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ وَلَا تَعَلُّقَ لَهُ بِغَيْرِهِ ؛ فَلِذَا صَحَّ أَنْ يَسْقُطَ عَنْهُ بِأَدَاءِ غَيْرِهِ وَلَمْ يَصِحَّ أَنْ يَأْثَمَ غَيْرُهُ بِتَرْكِ أَدَائِهِ، بِخِلَافِ مَا نَحْنُ فِيهِ فَإِنَّ نِسْبَةَ الْوَاجِبِ فِي الظَّاهِرِ إِلَى كِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ عَلَى السَّوَاءِ فِيهِ، فَجَازَ أَنْ يَأْثَمَ كُلُّ طَائِفَةٍ بِتَرْكِ غَيْرِهَا لِتَعَلُّقِ الْوُجُوبِ بِهَا بِحَسَبِ الظَّاهِرِ وَاسْتِوَائِهَا مَعَ غَيْرِهَا فِي التَّعَلُّقِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: وَلَمْ يَثْبُتْ تَأْثِيمُ إِنْسَانٍ بِأَدَاءِ آخَرَ فَهُوَ لَا يُطَابِقُ الْبَحْثَ إِذْ لَيْسَ الْمُدَّعَى تَأْثِيمَ أَحَدٍ بِأَدَاءِ غَيْرِهِ، بَلْ تَأْثِيمُهُ بِتَرْكٍ، فَالْمُطَابِقُ، وَلَمْ يَثْبُتْ تَأْثِيمُ إِنْسَانٍ بِتَرْكِ أَدَاءِ آخَرَ ، وَيُتَخَلَّصُ مِنْهُ حِينَئِذٍ بِأَنَّ التَّعَلُّقَ فِي الظَّاهِرِ مُشْتَرِكٌ فِي سَائِرِ الطَّوَائِفِ ، فَيَتِمُّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ وَأَتْبَاعُهُ - وَهُوَ مُخْتَارُ ابْنِ السُّبْكِيِّ - خِلَافًا لِأَبِيهِ ، إِذَا تَحَقَّقَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْمُكَلَّفَ الْبَعْضُ قَالُوا: إِنَّ مِنْ لِلتَّبْعِيضِ، وَأَنَّ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْمُكَلَّفَ الْكُلُّ قَالُوا: إِنَّهَا لِلتَّبْيِينِ ، وَأَيَّدُوا ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَثْبَتَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لِكُلِّ الْأُمَّةِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) وَلَا يَقْتَضِي ذَلِكَ كَوْنَ الدُّعَاءِ فَرْضَ عَيْنٍ ، فَإِنَّ الْجِهَادَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ بِالْإِجْمَاعِ مَعَ ثُبُوتِهِ بِالْخِطَابَاتِ الْعَامَّةِ فَتَأَمَّلْ.

(وَأُولَئِكَ) أَيِ الْمَوْصُوفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ . هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أَيِ الْكَامِلُونَ فِي الْفَلَاحِ ، وَبِهَذَا صَحَّ الْحَصْرُ الْمُسْتَفَادُ مِنَ الْفَصْلِ وَتَعْرِيفِ الطَّرَفَيْنِ ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى عَنْ دُرَّةَ بِنْتِ أَبِي لَهَبٍ قَالَتْ: " سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: آمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَتْقَاهُمْ للهِ تَعَالَى وَأَوْصَلَهُمْ لِلرَّحِمِ " .

وَرَوَى الْحَسَنُ : مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَهُوَ خَلِيفَةُ اللهِ تَعَالَى وَخَلِيفَةُ رَسُولِهِ ﷺ وَخَلِيفَةُ كِتَابِهِ ، - وَرُوِيَ - : لَتَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُّنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ظَالِمًا لَا يُجِلُّ كَبِيرَكُمْ وَلَا يَرْحَمُ صَغِيرَكُمْ ، وَيَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ ، وَتَسْتَنْصِرُونَ فَلَا تُنْصَرُونَ .

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ يَكُونُ وَاجِبًا وَمَنْدُوبًا عَلَى حَسَبِ مَا يُؤْمَرُ بِهِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ كَذَلِكَ أَيْضًا إِنْ قُلْنَا : إِنَّ الْمَكْرُوهَ مُنْكَرٌ شَرْعًا ، وَأَمَّا إِنْ فُسِّرَ بِمَا يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ عَلَيْهِ كَمَا أَنَّ الْمَعْرُوفَ مَا يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ عَلَيْهِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا وَاجِبًا ، وَبِهِ قَالَ بَعْضُهُمْ إِلَّا أَنَّهُ يَرِدُ أَنَّهُمَا لَيْسَا عَلَى طَرَفَيْ نَقِيضٍ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْعَاصِيَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُنْهَى عَمَّا يَرْتَكِبُهُ ؛ لِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ نَهْيُ كُلِّ فَاعِلٍ، وَتَرْكُ نَهْيِ بَعْضٍ وَهُوَ نَفْسُهُ لَا يُسْقِطُ عَنْهُ وُجُوبَ نَهْيِ الْبَاقِي ، وَكَذَا يُقَالُ فِي جَانِبِ الْأَمْرِ وَلَا يُعَكِّرُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ لِأَنَّهُ

مُؤَوَّلٌ بِأَنَّ الْمُرَادَ نَهْيُهُ عَنْ عَدَمِ الْفِعْلِ لَا عَنِ الْقَوْلِ ، وَلَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ لِأَنَّ التَّوْبِيخَ إِنَّمَا هُوَ عَلَى نِسْيَانِ أَنْفُسِهِمْ لَا عَلَى أَمْرِهِمْ بِالْبِرِّ ، وَعَنْ بَعْضِ السَّلَفِ : مُرُوا بِالْخَيْرِ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا . نَعَمْ لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ شُرُوطٌ مَعْرُوفَةٌ مَحَلُّهَا ، وَالْأَصْلُ فِيهِمَا افْعَلْ كَذَا وَلَا تَفْعَلْ كَذَا ، وَالْقِتَالُ لِيَمْتَثِلَ الْمَأْمُورُ وَالْمَنْهِيُّ أَمْرَ وَرَاءِ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ دَاخِلًا فِي حَقِيقَتِهِمَا ، وَإِنْ وَجَبَ عَلَى بَعْضٍ كَالْأُمَرَاءِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ حُكْمٌ آخَرُ كَمَا يُشْعِرُ بِهِ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: " مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ " (١).

ويقول الإمام ابن حزم الظاهري – *رحمه الله* –: اتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي علن المنكر بلا خلاف بين أحد منهم لقوله تعالى: { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }(٢) .إ.هـ (٣)

وقال الإمام النووي (**في شرح صحيح مسلم**): وَأَمَّا قَوْلُهُ (ﷺ) : (فَلْيُغَيِّرْهُ) فَهُوَ أَمْرُ إِيجَابٍ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة آل عمران – الآية ١٠٤.

(٣) الفصل في الملل والنحل (١١٠/٢)

وَقَدْ تَطَابَقَ عَلَى وُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ وَهُوَ أَيْضًا مِنَ النَّصِيحَةِ الَّتِي هِيَ الدِّينُ . وَلَمْ يُخَالِفْ فِي ذَلِكَ إِلَّا بَعْضُ الرَّافِضَةِ، وَلَا يُعْتَدُّ بِخِلَافِهِمْ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ : لَا يُكْتَرَثُ بِخِلَافِهِمْ فِي هَذَا ، فَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَنْبُغَ هَؤُلَاءِ، وَوُجُوبُهُ بِالشَّرْعِ لَا بِالْعَقْلِ خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ .

وَأَمَّا قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ :(عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) فَلَيْسَ مُخَالِفًا لِمَا ذَكَرْنَاهُ لِأَنَّ الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ مَا كُلِّفْتُمْ بِهِ فَلَا يَضُرُّكُمْ تَقْصِيرُ غَيْرِكُمْ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمِمَّا كُلِّفَ بِهِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِذَا فَعَلَهُ وَلَمْ يَمْتَثِلِ الْمُخَاطَبُ فَلَا عَتْبَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْفَاعِلِ لِكَوْنِهِ أَدَّى مَا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ لَا الْقَبُولُ. أ.هـ (١) .

وقَالَ النَوَوِيُّ (**في شَرْحِ مُسلم**): ثُمَّ إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرْضُ كِفَايَةٍ إِذَا قَامَ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ سَقَطَ الْحَرَجُ عَنِ الْبَاقِينَ وَإِذَا تَرَكَهُ الْجَمِيعُ أَثِمَ كُلُّ مَنْ تَمَكَّنَ مِنْهُ بِلَا عُذْرٍ وَلَا خَوْفٍ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ يَتَعَيَّنُ كَمَا إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعٍ لَا يَعْلَمُ بِهِ إِلَّا هُوَ أَوْ لَا يَتَمَكَّنُ مِنْ إِزَالَتِهِ إِلَّا هُوَ. (٢).

---

(١) شرح صحيح مسلم (٢/٢١).

(٢) شرح صحيح مسلم (٢/٢١).

ويقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) (١) . هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ كَتَمَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الدَّلَالَاتِ الْبَيِّنَةِ عَلَى الْمَقَاصِدِ الصَّحِيحَةِ وَالْهُدَى النَّافِعِ لِلْقُلُوبِ ، مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَهُ اللهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ فِي كُتُبِهِ، التِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ. (٢) .

فِيهِ أَنَّ الْفَرْضَ عَلَى الْعَالِمِ تَبْلِيغُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ تَوَعَّدَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِاللَّعْنَةِ، وَالْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَكِنَّ الْعِبْرَةَ لِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا لِخُصُوصِ السَّبَبِ، فَدَخَلَ فِيهَا كُلُّ مَنْ عَلِمَ عِلْمًا تَعَبَّدَ اللهُ الْعِبَادَ بِمَعْرِفَتِهِ لَزِمَهُ مِنْ عَدَمِ تَبْلِيغِهِ مَا لَزِمَ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْهُ(٣) .

الأول فيه أن الفرض على العالم تبليغ ما عنده من العلم ، لأن الله تعالى قد توعد الذين يكتمون ما أنزل الله باللعنة ، والآية وإن كانت قد نزلت فى

---

(١) سورة البقرة _ الآيات من ١٥٩ : ١٦٢.

(٢) تفسير ابن كثير.

(٣)عمدة القاري شرح صحيح البخاري» كتاب الوضوء» باب الوضوء ثلاثا ثلاثا(١٥٨ ٢٦).

أهل الكتاب إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فدخل فيها كل من علم علما تعبد الله العباد بمعرفته ، لزمه من عدم تبليغه ما لزم أهل الكتاب منه) .

وعَنْ جَرِيرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِّ (ﷺ)، يَقُولُ : " مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِ فَلَا يُغَيِّرُوا إِلَّا أَصَابَهُمُ اللهُّ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمُوتُوا " (١).

وقد تزخر كتب الأحاديث بمثل هذه الأحاديث الشريفة وهى تؤدى إلى نفس المنهج : أن من أسلم وعلم شيئا فعليه أن يبلغه .

فلذا أكد أصحاب رسول الله (ﷺ) على هذا الأمر تأكيدا بالغا للغاية ، فعَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ قَالَ : خَطَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَحَمِدَ اللهَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِرُكُوبِهِمُ الْمَعَاصِي، وَلَمْ يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ، فَلَمَّا تَمَادَوْا فِي الْمَعَاصِي وَلَمْ يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ أَخَذَتْهُمُ الْعُقُوبَاتُ ، فَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ مِثْلُ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يَقْطَعُ رِزْقًا وَلَا يُقَرِّبُ أَجَلًا(٢) .

---

(١) سنن أبي داود» كِتَاب الْمَلَاحِمِ » بَاب الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ _ رقم الحديث: (٣٧٧٨).
(٢) تفسير القرآن العظيم » تفسير سورة المائدة» تفسير قوله تعالى " (قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّه) الآية ٥٩.

ويقول أبو بكر بن العربى فى تفسير آية : { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } وَهَذَا حُكْمٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى نَافِذٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ وَهُوَ أَلَّا يُؤْخَذَ أَحَدٌ بِجُرْمِ أَحَدٍ ، بَيْدَ أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِبَعْضِ النَّاسِ مِنْ بَعْضِ أَحْكَامٍ فِي مَصَالِحِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَحِمَايَةِ النَّفْسِ وَالْأَهْلِ عَنْ الْعَذَابِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : { قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا } .

وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّ الْمَرْءَ كَمَا يُفْتَرَضُ عَلَيْهِ أَنْ يُصْلِحَ نَفْسَهُ بِاكْتِسَابِ الْخَيْرِ فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يُصْلِحَ غَيْرَهُ بِالْأَمْرِ بِهِ وَالدُّعَاءِ إلَيْهِ وَالْحَمْلِ عَلَيْهِ ، وَهَذِهِ فَائِدَةُ الصُّحْبَةِ، وَثَمَرَةُ الْمُعَاشَرَةِ ، وَبَرَكَةُ الْمُخَالَطَةِ، وَحُسْنُ الْمُجَاوَرَةِ ؛ فَإِنْ [حَسُنَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ كَانَ مُعَافًى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ] قَصَّرَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ كَانَ مُعَاقَبًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَعَلَيْهِ أَوَّلًا إصْلَاحُ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، ثُمَّ إصْلَاحُ خَلِيطِهِ وَجَارِهِ ، ثُمَّ سَائِرُ النَّاسِ بَعْدَهُ، بِمَا بَيَّنَّاهُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَدُعَائِهِمْ وَحَمْلِهِمْ ؛ فَإِنْ فَعَلُوا، وَإِلَّا اسْتَعَانَ بِالْخَلِيفَةِ للَّهِ فِي الْأَرْضِ عَلَيْهِمْ، فَهُوَ يَحْمِلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ قَسْرًا، وَمَتَى أَغْفَلَ الْخَلْقُ هَذَا فَسَدَتْ الْمَصَالِحُ، وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ، وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ، وَفَاتَ التَّرْقِيعُ، وَانْتَشَرَ التَّدْمِيرُ؛ وَلِذَلِكَ

يَرْوُونَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَفَّلَ الْمُتَّهَمِينَ عَشَائِرَهُمْ، وَذَلِكَ بِالْتِزَامِهِمْ كَفَّهُمْ أَوْ رَفْعَهُمْ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْظُرَ فِيهِمْ، وَاَللَّهُ يَتَوَلَّى التَّوْفِيقَ بِرَحْمَتِهِ (١).

ويقول الشيخ عبدالله ناصح علوان:(أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة فى كتابه) : (وجوب تبليغ الدعوة) : إن الدعوة إلى الإسلام أصبحت فى هذا العصر فريضة شرعية وضرورة حتمية على كل من انتسب إلى أمة الإسلام: شيبا وشبابا، رجالا ونساء، صغرا وكبارا، حكاما ومحكومين ، خاصة وعامة ، كل يقوم بهذه المهمة على حسب حاله ، وحسب طاقته وحسب إيمانه وحسب تحسسه بواقع المسلمين، وأحوال المجتمعات البشرية .

والأصل فى هذه الوظيفة الدعوية العامة قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾(٢).

والقاعدة فى هذه المهمة التبليغية الشاملة قوله جل وعلا : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٣)وعبارة (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) فى الآية تشمل المسلمين جميعا على اختلاف أجناسهم

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي بموقع إسلام ويب. وجوب تبليغ الدعوة وفضل الدعوة والداعية _ تأليف عبد الله ناصح علوان (تأليف)

(٢) سورة التوبة – الآية ٧١ .

(٣) سورة آل عمران – الآية ١١٠.

وألوانهم ولغاتهم ومستوياتهم ، وعبارة (أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) فى الآية نفسها تعبير يلفت النظر ، حيث يشير إلى اليد الخالقة المدبرة التى أخرجت أمة الإسلام من ستار الغيب إخراجا، ودفعتها إلى الظهور وإثبات الذات دفعا لتبلغ دعوة الله فى العالمين.

ولاشك أن هناك نصوصا كثيرة من القرآن والسنة وعمل الأمة ، تدل دلالة قطعية على حتمية التبليغ ، وفرضية الدعوة ، من نصوص القرآن الكريم مثلا قوله تعالى: { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }(١).

فاللام فى قوله تعالى (وَلْتَكُن) للأمر ، والأمر يقتضى الوجوب(٢) .

وقال القرطبى فى تفسيره: فَجَعَلَ تَعَالَى الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرْقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ أَخَصَّ أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَرَأْسُهَا الدُّعَاءُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْقِتَالُ عَلَيْهِ(٣).

ومن الآيات التى تؤكد وجوب تبليغ الدعوة على كل من آمن بالله ، قوله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٠٤.

(٢) وجوب تبليغ الدعوة وفضل الدعوة والداعية تأليف عبد الله ناصح علوان _ دار السلام القاهرة.

(٣)الجامع لأحكام القرآن » سورة آل عمران» قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ).

ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١). يخبر الله تعالى فى هاتين الآيتين أنه لعن الكافرين من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم بسبب عصيانهم لله ، واعتدائهم على خلقه ، وكانوا أيضا لا ينهى أحد منهم أحدا عن ارتكاب المآثم والمحرمات ، بل كانوا يخالطون أهل المعاصى ، ويجلسون معهم ، ويرضون بمنكرهم !! وهذا ما بينه الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد : لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم .

ومما يدل عليه هذا النص القرآنى أن أمة الإسلام إذا لم تقم بوظيفة حراسة الرأى العام ولم تنصح الناس إلى ما فيه خيرهم ، ولم تُبلغ دعوة الله عز وجل ، ولم تأمر بالمعروف ، ولم تنه عن المنكر فإن الله سبحانه وتعالى يضرب قلوب بعضها ببعض ، ويلعنها كما ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ ﴾ بسبب إهمالها لواجب الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر وبسبب تساهلها فى حق دعوة الله سبحانه وتعالى . وحراسة الرأى العام المسلم .

---

١) سورة المائدة - ٧٨ .

فالنصر بالنصر واللعنة فى الإهمال ، يقول سبحانه وتعالى : (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (١). يؤكد سبحانه وتعالى أنه ينصر من ينصره وذلك باتباع هداه وإعزاز دينه والجهاد فى سبيله .

وهؤلاء الذين ينصرون الله عز وجل لهم فى الحياة الدنيا مهمة ، وفى مجال العمل التبليغى رسالة ، فمهمتهم الأولى حين يُمكن الله لهم فى الأرض أن يعبدوا الله ، ورسالته الأساسية فى إطار هذا التمكين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ويدعوا الناس إلى الخير ، فهذه هى مهمتهم وتلك هى رسالتهم ، فلا يجوز أن يتساهلوا فيها ويتخلوا عنها وذلك ليتحقق لهم نصر الله عز وجل ، وحتى يزيدهم الله فى الأرض عزة وقوة وتمكينا ، وإذا حادوا عن تحقيق هذه المهمة وتقاعسوا عن أداء هذه الرسالة ، فإن الله سبحانه يجعل بأسهم بينهم شديدا ، ويسلط عليهم عدوهم فيستنفد بعض ما فى أيديهم ويزيدهم فى الحياة ذلة ووهنا وتمزيقا .

إن كل تلك النصوص التى ذكرناها تؤكد أن هذه الأمة إذا لم تقم بمسئوليتها فى الإلتزام بمنهج الله عز وجل ، وإذا لم تؤد رسالتها فى التبليغ والدعوة ، فإن الله سبحانه وتعالى يُعرض عنها ، ويتخلى عن نصرتها ويذيقها وبال أمرها ، ويبدلها من بعد أمن خوفا، ومن بعد عز ذلا ،

---

(١) سورة الحج- الآية ٤٠.

وسوف تبقى على هذه الحالة المتردية حتى تعود إلى هدى ربها ، وأصالة دينها (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (١) إلى غير ذلك من هذه النصوص القرآنية المستفيضة التى تدل على وجوب تبليغ الدعوة فى أرض الله .

ويقول الشيخ الإمام محمد أبو زهرة – رحمه الله – بعد بحث طويل فى وجوب تبليغ الدعوة إلى الله على جميع أفراد الأمة: ... لذلك كان تكليف النبى بتبليغ دعوته تكليفا لأمته، وقد صرحت بذلك الآيات البينات من كتاب الله تعالى، فقد قال تعالت كلماته: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِّ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِّ وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٢).

وقد دلت هذه الآية على أمور ثلاث :

أولها : أن دعوة الناس إلى الله تعالى من اتباع النبى – – ﷺ– وأنه من تخاذل عن الدعوة لا يعد تابعا للنبى – صلى الله عليه وسلم. –

ثانيهما : أن تكليف النبى – ﷺ– تبليغ رسالة ربه تكليف لأمته ، لا يتخلى عنه مؤمن ولا يتركه أمين.

ثالثهما : أن يكون الداعى له بصر بالأمور.... وأن الآية الكريمة فى جملتها

---

(١) سورة الحج– الآية ٤٠.

(٢) سورة يوسف – الآية ١٠٨.

تدل على أن الإيمان وحده لا يكفى فى اتباع النبى - ﷺ- بل لابد لكمال الإتباع من الدعوة ....والنصوص قد وردت صريحة مطالبة الأمة بالتبليغ كل على مقدار علمه وطاقته فى التوجيه والإرشاد

. **ثم يقول الشيخ محمد أبو زهرة** (*رحمه الله*):إن من المقررات الشرعية فى الدلالات أن أى أمر للنبى - ﷺ- هو أمر لأمته ، إلا أن يقوم الدليل على تخصيص التكليف بالنبى - ﷺ- وقد جاء الأمر بالتبليغ موجها للنبى - صلى الله عليه وسلم وبالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان هذا أمرا للناس كافة للقيام بذلك الواجب المقدس، إذ لا دليل على أنه خاص بالنبى بل الدليل قائم على عموم التكليف فيمن يلوننا وفيمن بيننا ، وفى الأمر لنا بأن نتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة نتبعه فى هديه ، وفى أمره ونهيه ، ولقد قال تعالى { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }(١).

وإنه بمقتضى هذه الأسوة التى تجب على المؤمنين يكون من الواجب عليهم أن يقتدوا به فى هديه ودعائه إلى الإيمان ، وإعلان ما أعلنه ، واتباعه فى كل ما لجأ إليه من وسائل عمل الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله.

---

(١) سورة الأحزاب _ الآية ٢١.

وفى شرح قول الرسول (ﷺ): (أَلَا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ) (١) يقول (رحمه الله) : إنه – صلى الله عليه وسلم – أمر من شهده من المؤمنين أن يبلغ من غاب عنه، سواء أكان من أهل جيله أم ممن يجيئون بعده من الأجيال ، لا فرق بين قريب منه ، وبعيد عنه ، فلقد جاء فى خطبته فى حجة الوداع ، وهو ينادى الأجيال فى عرفات ببيان موجز للأحكام الإسلامية (أَلَا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ) (٢)، فتلك دعوة عامة لمن شهد من المؤمنين أن يُعلم من غاب من الناس، والمشاهدة التى توجب الإعلام تشمل من حضر النبى (ﷺ) وأشرقت عليه أنواره بلقائه بالحس ، ومن عَلِمَ عِلم القرآن ، وبعلمه قد صارت النبوة بين جنبيه فإنه قد شاهد الرسول (ﷺ) بقلبه، وإن لم يشاهده بعينه، فكان عليه التبليغ لأنه تلقى التكليف عنه وعن الله فيجب أن يُبلغ.

ثم يقدم الشيخ محمد أبو زهرة أقوال الصحابة والتابعين بعد دراسة عميقة فى آيات الله البينات وأقوال الرسول (ﷺ) ويستنتج منها أمران:

أحدهما : أن الدعوة إلى الإسلام هى الهداية الكاملة ، فهى عمل الرسول (ﷺ) وعمل من يقتدى به .

---

(١) صحيح البخاري» كتاب العلم» باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب(١٠٥).

(٢) المرجع السابق.

وثانيهما: أن كل ما ينافيه فهو باطل ، وأن الدعوة إلى الإسلام ثابتة بإجماع الصحابة والتابعين ، ولا ينتقض هذا الإجماع بتقاصر الهمم بعد ذلك .

ويقول الشيخ أبو زهرة (رحمه الله) : ولذلك نرى أن الدعوة إلى الإسلام فرض عينى على كل قادر عليها، ووجد الفرصة سانحة لبيانها ، فينتهزها، وهى فرض كفاية على الأمة الإسلامية ، إذ يجب ألا يخلو عصر من الدعوة بحيث لو تقاصرت همم الآحاد ، أو لم توات لهم الفرصة قام من عينتهم الدولة ، أو تهيأت لهم الأسباب ليقوموا بذلك الواجب المقدس.

وأن لذلك تفصيلا نعرج إليه بالبيان غير مطنبين، ذلك أن الإسلام له إجمال وتفصيل ، فأما الإجمال فالدعوة إلى الله تعالى ببيان وحدانيته ، وأنه لا شريك له ، وأن عبادة من لا ينفع ولا يضر باطلة ثم بيان أن الإسلام قام على خمسة أركان هى دعامته : عبادة الله وحده ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ، وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم ، ولابد أن تكون (الفاتحة) من بين ما يحفظ .

ويبين لهم الصلاة وأركانها وترتيبها ، والوضوء وأركانه ، وغير ذلك مما لابد منه ، ليكون الشخص مسلما ، ويتمكن من أداء فرائضه.

وإن هذا واجب عينى على كل مسلم ، فيبين الإسلام لمن يأنس بأنه ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ولم تربطه به مودة ، ويحب الخير له ، كما

كان يفعل المؤمنون الأولون ، فقد كان كل صحابى داعية لمن يعرف ، وكذلك كان كل رجل مؤمن مع من ارتبط معه برابطة صداقة أو قرابة أو جوار أو معرفة يذكر مما هداه الله تعالى إليه ، وما كان سببا لهدايته موازنا بين الحق الذى اعتنقه ، والباطل الذى تركه ، فكل مؤمن على ثغر من ثغور الإسلام يحميه ويدعو إليه ويحث الناس على اتباع النبى الأمين (ﷺ) فهو رسول الإنسانية ، كما يجب التعاون على الدعوة إلى الإسلام من الآحاد والجماعات ، الآحاد عليهم أن يقوموا بما يستطيعون ، وعليهم أن يعاونوا الطائفة التى تتفرغ لهذه الدعوة ، أو تكون أقدر على نشرها والقيام بحقها .

هذا هو ما رآه الشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله – بعد دراسة علمية احتوت جميع جوانب هذا الموضوع ووصل إلى نتيجة نهائية ، هى نفس النتيجة التى وصل إليها الشيخ محمد إلياس – قبله – حتى أن القارىء إذا قرأ كتاب (الدعوة إلى الإسلام) للشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله – يشعر كأن الشيخ يذكر فى كتابه منهج الشيخ / محمد إلياس نفسه ، وخاصة إذا كان الشيخ قد ألف هذا الكتاب بعد مشاركته فى عدة اجتماعات لأهل الدعوة والتبليغ فى مدينة لا هور بالباكستان.

وسُئِلَ الشيخ ابن باز (*رحمه الله*): نود من سماحتكم أن تبينوا لنا حكم الدعوة إلى الله عز وجل وأوجه الفضل فيها؟

فقال: أما حكمها: فقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة منها قوله سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أمة يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

ومنها قوله تعالى:﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٤)، فيبين سبحانه أن أتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلى الله. وهم أهل البصائر.

والواجب كما هو معلوم هو اتباعه والسير على منهاجه عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ (٥).

وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية بالنسبة إلى

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٠٤.
(٢) سورة النحل – الآية ١٢٥.
(٣) سورة القصص _ الآية ٨٧.
(٤) سورة يوسف – الآية ١٠٨ .
(٥) سورة الأحزاب – الآية ٢١.

الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة وعملاً صالحاً جليلاً.

وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام صار الإثم عاماً وصار الواجب على الجميع وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه، أما بالنظر إلى عموم البلاد فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله جل وعلا في أرجاء المعمورة، تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله عز وجل بالطرق الممكنة، فإن الرسول (ﷺ) قد بعث الدعاة وأرسل الكتب إلى الناس، وإلى الملوك والرؤساء ودعاهم إلى الله عز وجل(١).

ويقول الشيخ ابن جبرين (*رحمه الله*): وقد دلت الأدلة على آكدية الدعوة إلى الله وإلى الخير، قال الله تعالى :﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢).

الخير: هو الإسلام كله وشعائره وعلومه كلها من الخير، ومن دعا

---

(١) حوار عكاظ مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة الجزء الخامس.

(٢) سورة آل عمران _ الآية ١٠٤ .

إليها فإنه يعتبر داعيا إلى الخير وله الأجر المرتب في هذا الحديث وغيره .

جاءت آية أخرى تدل على الدعوة إلى سبيل الله ؛ في قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(١) فهاهنا أمر الله تعالى بالدعوة إلى سبيله:﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ سبيل الله: دينه وشريعته وأمره ونهيه وهو الإسلام كله وما جاء به، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة كله داخل في سبيل الله تعالى، وفي صراطه المستقيم الذي أمر بالتمسك به، والسير على نهجه .

هذا سبيل الله رسمه النبي (ﷺ) في حديثه المشهور: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ – هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) خَطًّا اللَّهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا " وَخَطَّ عَلَى يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ : " هَذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ " ثُمَّ قَرَأَ:(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) رواه أحمد .

يعني الذي أمر بالسير عليه وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه فقوله تعالى :(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) يعني إلى هذا الصراط السوي الذي من سار عليه نجا، ومن انحرف عنه ضل.

---

(١) سورة النحل _ الآية ١٢٥ .

فالدعوة إليه إيضاحه وبيانه للناس وبيان فوائده، والحث على التمسك به، وعلى العمل بتعاليمه، وعلى الاجتهاد في تحقيق الأدلة التي تدل عليه، والحكم والمصالح التي تترتب عليه .

كذلك جاءت بلفظ الدعوة إلى الله في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (١) دعا إلى الله؛ أي إلى دينه وإلى شرعه وإلى عبادته وتوحيده الذي أمر به في قوله:(اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) دعا الناس إلى عبادة ربهم، إذا كان كذلك فإنه من أحسن الطرق طريقه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي دعا الناس إلى الله تعالى ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ وهكذا قال تعالى:﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾(٢) يعني إلى هدى الله وشريعته ودينه وأمره ونهيه، أدعو إلى عبادته، وإلى اتباع رسله، من دعا إلى ذلك فقد دعا إلى الله.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ " مَنْ دَعَا إِلَى هُدى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً " أخرجه مسلم (٣).

---

(١) سورة فصلت – الآية ٣٣ .

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٨ .

(٣) موسوعة الفقه الإسلامي ـ الباب الحادي والعشرون: كتاب الدعوة إلى الله ـ أحكام الدعاة إلى الله.

يعم من دعا إلى الله، ومن دعا إلى سبيل الله، ومن دعا إلى الخير، فكل ذلك من الهدى." (١).

ويقول الإمام الغزالي (رحمه الله): اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ قَاعِدٍ فِي بَيْتِهِ أَيْنَمَا كَانَ فَلَيْسَ خَالِيًا فِي هَذَا الزَّمَانِ عَنْ مُنْكَرٍ مِنْ حَيْثُ التَّقَاعُدُ عَنْ إِرْشَادِ النَّاسِ وَتَعْلِيمِهِمْ وَحَمْلِهِمْ عَلَى الْمَعْرُوفِ، فَأَكْثَرُ النَّاسِ جَاهِلُونَ بِالشَّرْعِ فِي الْبِلَادِ فَكَيْفَ فِي الْقُرَى وَالْبَوَادِي، فَوَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ وَمَحَلَّةٍ مِنَ الْبَلَدِ فَقِيهٌ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ، وَكَذَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ، وَوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ فَقِيهٍ فَرَغَ مِنْ فَرْضِ عَيْنِهِ وَتَفَرَّغَ لِفَرْضِ الْكِفَايَةِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى مَنْ يُجَاوِرُ بَلَدَهُ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ وَالْعَرَبِ وَيُعَلِّمُهُمْ دِينَهُمْ وَفَرَائِضَ شَرْعِهِمْ، فَإِنْ قَامَ بِهَذَا الْأَمْرِ وَاحِدٌ سَقَطَ الْحَرَجُ عَنِ الْبَاقِينَ. وَبِالْجُمْلَةِ فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ فَيُصْلِحَهَا بِالْمُوَاظَبَةِ عَلَى الْفَرَائِضِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، ثُمَّ يُعَلِّمُ ذَلِكَ أَهْلَ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَتَعَدَّى بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُمْ فِي جِيرَانِهِ، ثُمَّ إِلَى أَهْلِ مَحَلَّتِهِ، ثُمَّ إِلَى أَهْلِ بَلَدِهِ، ثُمَّ إِلَى أَهْلِ السَّوَادِ الْمُكْتَنِفِ بِبَلَدِهِ، ثُمَّ إِلَى أَهْلِ الْبَوَادِي، وَهَكَذَا إِلَى أَقْصَى الْعَالَمِ، فَإِنْ قَامَ بِهِ الْأَدْنَى سَقَطَ عَنِ الْأَبْعَدِ وَإِلَّا حَرَجَ بِهِ كُلُّ قَادِرٍ عَلَيْهِ قَرِيبًا كَانَ أَوْ بَعِيدًا(٢)..

---

(١) شرح كتاب بهجة قلوب الأبرار لابن السعدي _ شرح حديث من دعا إلى هدى.

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» المنكرات المألوفة في العادات.

أما العالم فلتقصيره في الخروج.. وأما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم(١).

وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك في الإثم.

ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالماً بالشرع وإنما يجب التبليغ على أهل العلم فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها.

ولعمري الإثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بصناعتهم أليق: لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا أمراً لا بد منه في صلاح الخلق.

وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن العلماء هم ورثة الأنبياء.

وللإنسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي.

وكذا كل من تيقن أن في السوق منكراً يجري على الدوام أو في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت بل يلزمه الخروج فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير

---

(١)موعظة المؤمنين من إحياء الدين للقاسمي _ باب الْمُنْكَرَاتُ الْعَامَّةُ.

غرض صحيح.

فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ فَيُصْلِحَهَا بِالْمُوَاظَبَةِ عَلَى الْفَرَائِضِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، ثُمَّ يُعَلِّمُ ذَلِكَ أَهْلَ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَتَعَدَّى بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُمْ فِي جِيرَانِهِ، ثُمَّ إِلَى أَهْلِ مَحَلَّتِهِ، ثُمَّ إِلَى أَهْلِ بَلَدِهِ، ثُمَّ إِلَى أَهْلِ السَّوَادِ الْمُكْتَنِفِ بِبَلَدِهِ، ثُمَّ إِلَى أَهْلِ الْبَوَادِي، وَهَكَذَا إِلَى أَقْصَى الْعَالَمِ، فَإِنْ قَامَ بِهِ الْأَدْنَى سَقَطَ عَنِ الْأَبْعَدِ وَإِلَّا حَرَجَ بِهِ كُلُّ قَادِرٍ عَلَيْهِ قَرِيبًا كَانَ أَوْ بَعِيدًا.

ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه وبغيره فيعلمه فرضه وهذا اشغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله عن تجزئة الأوقات في التفريعات النادرة والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه(١).

ويقول الشيخ الشعراوي (*رحمه الله*): يعنى أن يكون منكم أيها المخاطبون أمة تدعو إلى الخير.

ومعناه أيضاً: أن تكونوا أمة تدعون إلى الخير، وقيل معناه: أن تكون منكم جماعة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ولكن هناك فهم أعمق من هذا: وهو أن هذه الآية تأمر بأن تكون كل

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي .

جماعة المسلمين أمة تدعوا إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر (١).

وقد تكلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عن هذه الآية: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ قَالَ عُمَر بْن الْخَطَّاب: لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَقَالَ " أَنْتُمْ "، فَكُنَّا كُلّنَا، وَلَكِنْ قَالَ: { كُنْتُمْ } فِي خَاصَّة مِنْ أَصْحَاب رَسُول اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ صَنَعَ مِثْل صَنِيعهمْ، كَانُوا خَيْر أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَر (٢).

ويقول الشيخ الداعية محمد إلياس الكاندهلوى (رحمه الله) في الرسالة التي أرسلها للملك عبد العزيز الأول سنة ١٣٥٧هـ ، فبعد أن أورد الشيخ محمد إلياس – رحمه الله – قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٣)، وقوله تعالى :{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } (٤).

---

(١) تفسير الشيخ الشعراوى .

(٢) حياة الصحابة – ١ / ١٧ .

(٣) سورة التوبة: الآية ٧١.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

فأوجب سبحانه وتعالى على الأمة المحمدية أن تأمر الناس بالمعروف وتنهاهم عن المنكر فإن في ذلك الركن نصرتها وقوتها وفي إضاعته انحطاطها وشقاءها المستمر فهو الذي يحفظ الأمة ويقيها غائلة التفرق وشؤم الانحلال فهذه خلاصة موجزة عن أعمال كل فرد من الجماعات التي أقمناها لتحقيق تلك المآرب النافعة. أ. هـ. (١).

ويقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (رحمه الله) (٢): في الحديث الذي رواه الإمام البخاري ومسلم، عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ ـ رضى الله عنهما ـ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ " . قَالَ عِمْرَانُ فَلاَ أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا " ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ " متفق عليه (٣)، فالخيرية ليست في القرن ذاته بل الخيرية بالأعمال الموجودة في القرن ، فالعرب من عادتهم

---

(١) الكلام البليغ في تأييد جماعة التبليغ للمؤلف.

(٢) هو العالم الرباني الشيخ محمد يوسف ابن الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، مسئول عمل الدعوة بعد أبيه ، وكان له من المؤلفات العظيمة مثل : كتاب حياة الصحابة .. وكتاب أماني الأحبار

(٣) صحيح البخاري ـ كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ـ رقم الحديث(٣٦٩٣)، وصحيح مسلم ـ كتاب فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم ـ باب فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ـ رقم الحديث (٦٦٣٨).

يذكرون الظرف ويريدون المظروف الذي بداخل الظرف ... مثلاً يقولون .. جرى النهر.. ، ولكن ما جرى النهر بل الماء الذي في النهر " خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي " المقصود به مظروف القرن والمظروف في قرنه كانت الأعمال والذكر والدعوة والتزكية والتعليم والعبادات.

فأي قرن فيه هذه الأعمال فهو من خير القرون ، فعَنْ بَهْز بْن حَكِيم ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيّ ﷺ يَقُول فِي قَوْله: { كُنْتُمْ خَيْر أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } قَالَ : " أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّة أَنْتُمْ خَيْرهَا وَأَكْرَمهَا عَلَى اللَّه " رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١).

وسُئل الشيخ عبد الوهاب(أمير الدعوة بباكستان) عن الدعوة هل هي فرض؟ فقال: لو قلت أن الدعوة فرض فقد ظلمتها، فإنها أم الفرائض بحياتها تحيا الفرائض وبموتها تموت الفرائض في الأمة.. فهي مثل الأم لو موجودة يوجد الأبناء ويكونون في أحسن حال.. ولكن لو ماتت الأم لتغير حال الأولاد من الأحسن إلي الأسوأ.

ج : ***يقول الشيخ طه عبد الستار*** (***حفظه الله***) : إذا عمل العمل بدون الاحتساب فيأتي الضعف في العمل، لذا كان الشيخ إلياس (***رحمه الله***) في آخر حياته، يدخل المسجد محمول علي أيدي الرجال فيقول للذين

---

(١) مشكاة المصابيح – باب ثواب هذه الأمة – ٣ / ١٧٧١ .

يحملوه، إذا جئتم عند باب المسجد فأخبروني حتى أقدم الرجل اليمني وأدعو الدعاء.. محمول ولكن عنده الرغبة في السنة.. عنده الاحتساب.. والاحتساب يأتي من حلقات الفضائل.. سواء التعليم الاجتماعي، أو الانفرادي .

الاحتساب في الأعمال علي قدر الجهد.. وبغير علم الفضائل تكون الأعمال عادة مثل: الوضوء نظافة.. والوضوء ينشط الجسد.. فلو الماء غير موجود فالإنسان يتيمم فمن أين يأتي له النشاط ؟! بل ينشط ويفرح وينشرح صدره بامتثال أوامر الله ﷻ ! .

(رجل أنفق درهم ورجل أنفق ألف درهم) ربما الأول أفضل من الثاني لأنه احتسب، فيجازي الإنسان علي قدر ما في قلبه.. علي قدر يقينه.. علي قدر احتسابه، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ: " سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِّ ؟ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ. فَأَخَذَ أَجْوَدَهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عَرَضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا "(١).

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (٢٢٨٩ _ ٢٢٩٠) ، السنن النسائي الصغرى _ رقم الحديث (٢٤٩١ _ ٢٤٩٢) ، السنن الكبرى للبيهقي _ رقم الحديث _ (٧١٨٧) ، صحيح ابن حبان _ رقم الحديث (٣٤٢٩) ، صحيح ابن خزيمة _ رقم الحديث (٢٢٨١) ، مسند الإمام أحمد (٨٧٢٩) ، المستدرك على الصحيحين (١٤٤٧) ، الأموال لابن زنجوية (١٠٥١) ، تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩٧٢٧_ ٥٩٧٢٨) .

الميزان يوزن الإيمان: رجل صلى مائة ركعة ولكن الإيمان ضعيف.. ورجل آخر صلي ركعتين ولكن الأيمان قوى.. مثل جوال قطن وجوال تبن.

وتكلم يوما فقال: للأسف نحنُ اليوم نجلس نستغفر الله من الذنوب والمعاصي التي ارتكبناها، ونسينا أن نستغفر الله من المعصية الكبرى وهي ترك الدعوة إلي الله، التي بسبب تركها ظهرت الكبائر والفواحش في أمة النبي ﷺ(١) .

وقال الشيخ فريد العراقي (*رحمه الله*) (٢): جميع الأوامر الإلهية التي نزلت في القرآن الكريم باسم النبي ﷺ هي له خاصة ثم لكل فرد من أمته إلى يوم القيامة .

فكل أمر في القرآن مقصود به الرسول الكريم ﷺ فهذا الأمر تشترك فيه الأمة إلا إذا اقترن هذا الأمر بقرينة تدل على أنه خاص بالنبي الكريم ﷺ كما يقول الله ﷻ ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ..﴾ (٣)، فهذا أمر خاص به، أما أمر الدعوة والتبليغ فهذا أمر عام موجه للأمة في شخص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فأول أمر لهذه الأمة هو الدعوة إلى الله (ﷻ) لقول النبي الكريم (ﷺ): " يَا

---

(١) من كتاب فرضية الدعوة إلى الله بقلم المؤلف .
(٢) من مشايخ التبليغ والدعوة – مصر .
(٣) سورة الأحزاب – الآية ٥٠ .

أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ تُفْلِحُوا "(١) فما كان هناك صلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج فكان الأمر الموجه هو التوحيد وكل فرد يدعوا لتوحيد الله على حسب قدرته .

وانظر ماذا قال النبي (ﷺ) لمعاوية بن حيده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو يعلمه الإسلام: فعَنْ بَهْزٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ أُولَاءِ وَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى أَنْ لَا آتِيَكَ، وَلَا آتِيَ دِينَكَ، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ امْرَأً لَا أَعْقِلُ

---

(١) قد جاء في الطبقات الكبري لابن سعد برقم(٥١٨) عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، وَيَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، وَغَيْرِ هَؤُلاءِ أَيْضًا قَدْ حَدَّثَنِي، قَالُوا: أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ مِنْ أَوَّلِ نُبُوَّتِهِ مُسْتَخْفِيًا ، ثُمَّ أَعْلَنَ فِي الرَّابِعَةِ، فَدَعَا النَّاسَ إِلَى الإِسْلامِ عَشْرَ سِنِينَ يُوَافِي الْمَوَاسِمَ كُلَّ عَامٍ يَتَّبِعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوَاسِمِ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ وَذِي الْمَجَازِ يَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ وَلَهُمُ الْجَنَّةُ ، فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَلا يُجِيبُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْأَلُ عَنِ الْقَبَائِلِ وَمَنَازِلِهَا قَبِيلَةً قَبِيلَةً، وَيَقُولُ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ،قُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ تُفْلِحُوا وَتَمْلِكُوا بِهَا الْعَرَبَ، وَتَذِلَّ لَكُمُ الْعَجَمُ، وَإِذَا آمَنْتُمْ كُنْتُمْ مُلُوكًا فِي الْجَنَّةِ "، وَأَبُو لَهَبٍ وَرَاءَهُ، يَقُولُ: لا تُطِيعُوهُ، فَإِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ فَيَرُدُّونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقْبَحَ الرَّدِّ وَيُؤْذُونَهُ، وَيَقُولُونَ: أُسْرَتُكَ وَعَشِيرَتُكَ أَعْلَمُ بِكَ، حَيْثُ لَمْ يَتَّبِعُوكَ وَيُكَلِّمُونَهُ وَيُجَادِلُونَهُ وَيُكَلِّمُهُمْ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيَقُولُ: " اللَّهُمَّ لَوْ شِئْتَ لَمْ يَكُونُوا هَكَذَا" ، فَكَانَ مَنْ سُمِّيَ لَنَا مِنَ الْقَبَائِلِ الَّذِينَ أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَعَاهُمْ وَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ: بَنُو عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَمُحَارِبُ بْنُ خَصَفَةَ، وَفَزَارَةُ، وَغَسَّانُ، وَمُرَّةُ، وَحَنِيفَةُ، وَسُلَيْمٌ، وَعَبْسٌ، وَبَنُو نَصْرٍ، وَبَنُو الْبُكَاءِ، وَكِنْدَةُ، وَكَلْبٌ، وَالْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ، وَعُذْرَةُ ، وَالْحَضَارِمَةُ ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللهِ، بِمَ بَعَثَكَ رَبُّنَا إِلَيْنَا ؟ قَالَ: " بِالْإِسْلَامِ " قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا آيَةُ الْإِسْلَامِ ؟ قَالَ: " أَنْ تَقُولَ: أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِ وَتَخَلَّيْتُ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَكُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ، أَخَوَانِ نَصِيرَانِ ، لَا يَقْبَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مُشْرِكٍ يُشْرِكُ ، بَعْدَ مَا أَسْلَمَ عَمَلًا، أَوْ يُفَارِقُ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا لِي أُمْسِكُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ! أَلَا إِنَّ رَبِّي دَاعِيَّ، وَإِنَّهُ سَائِلِي، هَلْ بَلَّغْتَ عِبَادِي ؟ وَأَنَا قَائِلٌ لَهُ: رَبِّ قَدْ بَلَّغْتُهُمْ، أَلَا فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مَدْعُوُّونَ وَمُفَدَّمَةٌ أَفْوَاهُكُمْ بِالْفِدَامِ، وَإِنَّ أَوَّلَ مَا يُبِينُ "، وَقَالَ بِوَاسِطٍ " يُتَرْجِمُ "، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِهِ ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا دِينُنَا؟ قَالَ: " هَذَا دِينُكُمْ ، وَأَيْنَمَا تُحْسِنْ يَكْفِكَ".

وفي رواية الطبراني: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَذَا دِينُنَا؟، قَالَ:" نَعَمْ، فَإِنَّمَا تُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ وَعَلَى أَقْدَامِكُمْ وَرُكْبَانًا "(١)، فهذا تكليف مباشر لمن دخل في الدين بالدعوة.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل « مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ « أَوَّلُ مُسْنَدِ الْبَصْرِيِّينَ « حَدِيثُ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ.. رقم الحديث: ١٩٥٨٩، سنن النسائي الصغرى « كِتَاب الزَّكَاةِ « بَاب: وُجُوبِ الزَّكَاةِ _ رقم الحديث ٢٤٠٣، والسنن الكبرى للنسائي رقم الحديث: ٢٢٠١، وسنن ابن ماجة رقم الحديث: ٢٥٢٩، صحيح ابن حبان«كِتَابُ الإِيمَانِ «بَابُ فَرْضِ الإِيمَانِ _ رقم الحديث ١٦٢، المعجم الكبير للطبراني«بَابُ الْمِيمِ «مَنِ اسْمُهُ مُعَاوِيَةَ رقم الحديث: ١٦٣٥٦، والحاكم في المستدرك على الصحيحين رقم الحديث: ٨٨٧٨.

♠ **ومنهم من يطلب من النبي(ﷺ) أن يأذن له في دعوة قومه إلى الله:** فعَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيّ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ، قَالَ: " خَرَجْتُ حَاجًّا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَرَأَيْتُ وَأَنَا بِمَكَّةَ نُورًا سَاطِعًا مِنَ الْكَعْبَةِ حَتَّى أَضَاءَ لِي جَبَلَ يَثْرِبَ، وَأَشْعَرَ، وَجُهَيْنَةَ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا فِي النُّورِ وَهُوَ يَقُولُ: انْقَشَعَتِ الظَّلْمَاءُ، وَسَطَعَ الضِّيَاءُ، وَبُعِثَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ أَضَاءَ إِضَاءَةً أُخْرَى، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى قُصُورِ الْحِيرَةِ، وَأَبْيَضَ الْمَدَائِنِ، فَسَمِعْتُ صَوتًا فِي النُّورِ، وَهُوَ يَقُولُ: ظَهَرَ الْإِسْلَامُ، وَكُسِرَتِ الْأَصْنَامُ، وَوُصِلَتِ الْأَرْحَامُ ، فَانْتَبَهْتُ فَزِعًا، فَقُلْتُ لِقَوْمِي: وَاللهِّ، لَيَحْدُثَنَّ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ حَدَثٌ، وَأَخْبَرْتُهُمْ بِمَا رَأَيْتُ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى بِلَادِنَا، قِيلَ: إِنَّ رَجُلًا، يُقَالُ لَهُ: أَحْمَدُ قَدْ بُعِثَ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ، فَقَالَ لِي: يَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، أَنَا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ إِلَى الْعِبَادِ كَافَّةً، أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَآمُرُهُمْ بِحَقْنِ الدِّمَاءِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَعِبَادَةِ اللهِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَفْضِ الْأَصْنَامِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرٍ مِنَ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا، مَنْ أَجَابَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ عَصَى فَلَهُ النَّارُ، فَآمِنْ بِاللهِّ يَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، يُؤَمِّنُكَ اللهُّ مِنْ هَوْلِ جَهَنَّمَ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِّ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِّ، آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَإِنْ أُرْغِمَ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْأَقْوَامِ، وَأَنْشَدْتُهُ أَبْيَاتًا قُلْتُهَا حِينَ سَمِعْتُ بِهِ، وَكَانَ لَنَا صَنَمٌ، وَكَانَ أَبِي سَادِنَهُ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَكَسَرْتُهُ حَتَّى لَحِقْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَا أَقُولُ: شَهِدْتُ بِأَنَّ اللهَّ حَقٌّ وَأَنَّنِي لِآلِهَةِ الْأَحْجَارِ أَوَّلُ تَارِكِ وَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِي الْإِزَارَ مُهَاجِرًا

أَجُوبُ إِلَيْهِ الْوَعْثَ بَعْدَ الدَّكَادِكِ لِأَصْحَبَ خَيْرَ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا رَسُولٌ مَلِيكُ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَرْحَبًا بِكَ يَا عَمْرُو، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، ابْعَثْنِي إِلَى قَوْمِي لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ بِي، كَمَا مَنَّ عَلَيَّ بِكَ فَبَعَثَنِي إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالرِّفْقِ، وَالْقَوْلِ السَّدِيدِ، وَلَا تَكُ فَظًّا، وَلَا مُتَكَبِّرًا، وَلَا حَسُودًا، فَأَتَيْتُ قَوْمِي، فَقُلْتُ: يَا بَنِي رِفَاعَةَ، بَلْ يَا مَعْشَرَ جُهَيْنَةَ، إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللهِ إِلَيْكُمْ، أَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَأُحَذِّرُكُمُ النَّارَ، وَآمُرُكُمْ بِحَقْنِ الدِّمَاءِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَعِبَادَةِ اللهِ، وَرَفْضِ الْأَصْنَامِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرٍ مِنَ اثْنَي عَشَرِ شَهْرًا، مَنْ أَجَابَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ عَصَى فَلَهُ النَّارَ، يَا مَعْشَرَ جُهَيْنَةَ، إِنَّ اللهَ وَلَهُ الْحَمْدُ، جَعَلَكُمْ خِيَارَ مَنْ أَنْتُمْ مِنْهُ، وَبَغَّضَ إِلَيْكُمْ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ مَا حَبَّبَ إِلَى غَيْرِكُمْ مِنَ الْعَرَبِ، كَانُوا يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ، وَيَخْلُفُ الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَةِ أَبِيهِ، وَالْغَزَاةُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَأَجِيبُوا هَذَا النَّبِيَّ الْمُرْسَلَ مِنْ بَنِي لُؤَيِ بْنِ غَالِبٍ، تَنَاوَلُوا شَرَفَ الدُّنْيَا، وَكَرَامَةَ الْآخِرَةِ، وَسَارِعُوا فِي ذَلِكَ يَكُنْ لَكُمْ فَضِيلَةٌ عِنْدَ اللهِ، فَأَجَابُوا إِلَّا رَجُلًا مِنْهُمْ، فَقَالَ: يَا عَمْرُو، أَمَرَّ اللهُ عَيْشَكَ، أَتَأْمُرُنَا أَنْ نَرْفُضَ آلِهَتَنَا، وَنُفَارِقَ جَمَاعَتَنَا، وَنُخَالِفَ دِينَ آبَائِنَا إِلَى مَا يَدْعُونَا إِلَيْهِ هَذَا الْقُرَشِيُّ مِنْ أَهْلِ تُهَامَةَ، لَا، وَلَا حُبًّا وَلَا كَرَامَةً، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ: إِنَّ ابْنَ مُرَّةَ قَدْ أَتَى بِمَقَالَةٍ لَيْسَتْ مَقَالَةُ مَنْ يُرِيدُ صَلَاحًا إِنِّي أَرَى مِنْ قَوْلِهِ وَفِعَالِهِ يَوْمًا وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ ذِبَاحًا أَتُسَفِّهُ الْأَشْيَاخَ مِمَّنْ قَدْ مَضَى مَنْ رَامَ ذَاكَ فَلَا أَصَابَ فَلَاحَا فَقَالَ عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ: الْكَاذِبُ مِنِّي وَمِنْكَ أَمَرَّ اللهُ عَيْشَهُ، وَأَبْكَمَ

لِسَانَهُ، وَأَكْمَهَ أَسْنَانَهُ، قَالَ عَمْرُو: وَاللهَّ، مَا مَاتَ حَتَّى سَقَطَ فُوهُ، وَكَانَ لَا يَجِدُ طَعْمَ الطَّعَامِ، وَخَرُسَ، فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى أَتُوا النَّبِيَّ ﷺ، فَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا هَذِهِ نُسْخَتُهُ: بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابُ أَمَانٍ مِنَ اللهَّ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ بِكِتَابٍ صَادِقٍ، وَلِسَانٍ نَاطِقٍ، مَعَ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ لِجُهَيْنَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ لَكُمْ بُطُونَ الْأَرْضِ وَسُهُولَهَا، وَتِلَاعَ الْأَوْدِيَةِ وَظُهُورَهَا، تَرْعَوْنَ نَبَاتَهُ، وَتَشْرَبُونَ مَا فِيهِ، عَلَى أَنْ تُقِرُّوا بِالْخُمْسِ، وَتُصَلُّوا صَلَاةَ الْخَمْسِ، وَفِي التِّيعَةِ وَالصَّرِيمَةِ شَاتَانِ إِذَا اجْتَمَعَتَا، وَإِنْ فُرِّقَتَا شَاةٌ شَاةٌ، لَيْسَ عَلَى أَهْلِ الْمِيرَةِ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ لِلْوَارِدِ التِّيعَةُ، وَاللهُّ يَشْهَدُ عَلَى مَا بَيْنَنَا، وَمَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِكِتَابِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ(١).

♠ **وربما تكون الدعوة فطرة في الإنسان بعد ما يدخل في الإسلام (كضِمَام بْنِ ثَعْلَبَةَ: وإليك قصة إسلامه:** قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُما، قَالَ: بَعَثَتْ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ، وَأَنَاخَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهَّ ﷺ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ؛ وَكَانَ ضِمَامٌ رَجُلًا جَلْدًا أَشْعَرَ ذَا غَدِيرَتَيْنِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: أَمُحَمَّدٌ ؟ قَالَ: نَعَمْ؛

---

(١) دلائل النبوة للأصبهاني، تاريخ دمشق لابن عساكر ،وانظر حياة الصحابة – باب دعوة الصحابة في القبائل وأقوام العرب – دعوة عمرو بن مرة الجهني في قومه – ١٧٩/١ .

قَالَ: يَا بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي سَائِلُكَ وَمُغَلِّظٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ، قَالَ: لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي، فَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، قَالَ: أَنْشُدُكَ اللهَّ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، آللهُّ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ؛ قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللهَّ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، آللهُّ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللهَّ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، آللهُّ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ؛ قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةً فَرِيضَةً. الزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ كُلَّهَا، يَنْشُدُهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ مِنْهَا كَمَا يَنْشُدُهُ فِي الَّتِي قَبْلَهَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهَّ؛ وَسَأُؤَدِّي هَذِهِ الْفَرَائِضَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لَا أَزِيدُ وَلَا أَنْقُصُ. ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرِهِ رَاجِعًا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: إِنْ صَدَقَ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ .قَالَ: فَأَتَى بَعِيرَهُ فَأَطْلَقَ عِقَالَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ : بِئْسَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى قَالُوا: مَهْ يَا ضِمَامُ اتَّقِ الْبَرَصَ، اتَّقِ الْجُذَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ قَالَ: وَيْلَكُمْ إِنَّهُمَا وَاللهَّ لَا يَضُرَّانِ وَلَا يَنْفَعَانِ، إِنَّ اللهَّ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا أَسْتَنْقِذُكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، قَالَ: فَوَ اللهَّ مَا

أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا .قَالَ: يَقُولُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ:فَمَا سَمِعْنَا بِوَافِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ(١).

ماذا كانت حصيلة (ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ) من علوم الدين ..؟

مع أنه ما جلس مع النبي ﷺ إلا وقت قليل، فالعلم المفيد علم التوحيد الذي تعلمه ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ ﴾ خلق الخلق ليعرف وإذا عُرف عُبد وإذا عُبدَ شكر وإذا شَكر أعطى عطاءً لا نفاد له .

ولا يطلب العلم إلا من أجل الدعوة والعمل به، فإذا كان هناك طلب العلم بدون الدعوة قد يكون فتنة لأصحابه.. وعلم الدين يزداد بركة بالدعوة إلى الله.

ومن هذا يعلم أن عمل الدعوة واجب على كل فرد (٢)،مكلف حسب استطاعته وفيما يعلمه، فمن يعلم وجوب الصلاة يأمر بها من لا يؤديها، ومن يعلم حرمة الخمر ينهى عنها من يشربها، ويعتبر الداعي في هذه الحالة عالمًا بما يدعو إليه، ولا يجوز له التملص من القيام بها ويلقي تبعتها على ذوي الشهادات والتخصصات العلمية.

أما دقائق الأمور التي لا يعلمها كل أحد، وأما الدعوة العامة لكل ما جاء به

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام «ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود «قدوم ضمام بن ثعلبة وافدا عن بني سعد بن بكر – وأخرجه الإمام أحمد والحاكم فى المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (حياة الصحابة ١/١٧٨) .

(٢) انظر كتاب كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله.

الدين فلا بد من وجود الكفاءة عند من يتصدى لها؛ لأن الداعي الجاهل قد يفتري على اللَّـه الكذب، فيضل ويضل، والنهي عن ذلك موجود في نصوص كثيرة، ويكفي منها حديث:عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ:" سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ اللهَّ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا "(١).

وفي فطرية الدعوة:

يقول الدكتور نعمان أبو الليل(حفظه الله): مؤمن آل يس آمن بالرسل، وما علَّموه الدعوة وما طلبوا منه الدعوة فلما رأى قومه وقفوا بطريق الخير.. ثارت فيه نوازع الفطرة للدعوة إلى الخير.. وما سأل عن حكم الدعوة، فالذي جعله يتحرك هو شفقة في قلبه على قومه إذا قتلوا الرسل أين يذهبون؟ إلى النار.

هذا الدافع الطبيعي للدعوة ليس الدافع الطبيعي للدعوة أن تعرف حكم الدعوة، في دوافع أعرف الحكم، في دوافع للصيام أن أعرف الحكم في الصيام، لكن إذا تكن هناك آية في الصيام فلست مضطر أجوع لأنه لا يوجد أحكام الفطرة كلمة جوع، فالجوع عمل شرعي ليس عمل فطري.

لكن لو أعمى يسير في الطريق وعندك عينين وربنا سلب منه العينين،

(١)صحيح البخاري «كتاب العلم «باب كيف يقبض العلم، صحيح مسلم كتاب العلم ، ورواه الترمذي.

ورأيت أمامهُ حفرة سيقع فيها فإذا أردت أن تترك الفطرة وتسأل عن الحكم الشرعي إذا الأعمى ما تكلمت معه ونبهته ووقع في الحفرة فأنا أأثم ؟؟ بكون قليل أدب ، وقليل حياء.. تريد أن تنطلق إلى مساعدة الأعمى بالدافع الفطري.

فانطلق حبيب النجار بالدافع الفطري ليدعوا قومه وينهاهم عن إيذاء الرسول ومدح اللهّ الدوافع الفطرية.

فأول جماعة أسلموا من الجن، ماذا قال الله فيهم ؟؟.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١).

فلما قضيَ ولَّوا (جهد كاملاً) لأن القرآن لا يصف جهداً ناقصاً.

أول سماع للقرآن وأنت كم مرة صرت سامع القرآن ولكن ولا مرة سمعته بالطريقة التي سمعوه بها، أول سامع وكانوا يهودا قبل ذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢).

---

(١) سورة الأحقاف – الآيات من ٢٩ : ٣٢ .

(٢) سورة الأحقاف – الآية ٣٠.

واليهود لا يؤمنوا بعيسى عليه السلام، وهو الرسول من بعد عيسى(١)، أول سماع لهم من صاحب الرسالة محمد ﷺ وفي ذلك الوقت ما كان يتلوا عليهم، بل يتلو تعبداً وهم يسمعون، ما يشعر بوجودهم، لولا الوحي، قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ﴾ (٢).فلما سمعوا عرفوا أن القرآن حق وتأثروا وعرفوا أن هذا هو المنهاج الأخير الذي بشرت به الرسل وهو الطريق إلى اللهّ وغيره لا يقبل{ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا }

هذا المفتاح.. المفتاح: استنصتوا قلوبهم ونحن حتى الآن نستنصت شحمة الأذن.

فالهداية مفاتيح، الشمس طالعة ولكن ما في شمس في الغرفة، لا تقول أين الشمس فقط افتح نافذة، لا تبحث عن الشمس فقط افتح نافذة .. وهكذا لا تبحث عن الهداية، فقط افتح نافذة من القلب لأن القلب مغلق.

{ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ } ما قال: آمنوا، بل ذُكر أول دافع فطري بعد الإيمان وأول مطلب إيماني مطلب فطري { فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ } بالسرعة مَشوا بالدعوة ، قالوا يا قومنا يا قومنا، بالشفقة بالرحمة بالدفع

(١) سيد الخلق محمد صلي الله عليه وسلم.
(٢) سورة الجن – الآية ١.

الشفقة ليس دافع معرفة الحكم ما سألوا النبي عن الحكم ولا النبي ﷺ أعطاهم هدايات كيف طريقة الدعوة، فالدعوة فطرية وطريقتها فطرية، فالذي عنده فطرة سليمة لا يحتاج أن يسأل كيف أدعو؛ ما في طبيب يجهل على المريض، يقول له: لماذا تعرضت للمرض حتى صار فيك طاعون ولماذا أصابتك جلطة، لا يا حبيبي الأمر بسيط، تجد الطبيب بالفطرة لا يلوم المريض ويحاول بشق الأنفس أن ينقذ المريض بالسرعة، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا ﴾(١).

من علمهم اللطف يا قومنا.. لأن الدافع الفطري هو الرحمة، فلا تنقل الرحمة إلا بالرحمة.. فواسطة الرحمة الرحمة.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٢). يا قومنا يا قومنا، ونحن نقرأ الآيات من أجل الحسنات يا قومنا هذه عشر حسنات، مثل طبيب يقرأ كتاب الطب لا ليداوي المرضى بل حتى ينجح ويأخذ أعلى العلامات فقط لا عالج ولا شيء.

---

(١) سورة الأحقاف – الآيتان ٢٩ ، ٣٠.

(٢) سورة الأحقاف _ الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

فيا أيها لأحبة الدافع الفطري وبدونه تنجح نجاحاً ضعيفا في الدعوة، قال تعالى: ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (١). وأكثر تشويه في الإنسان أن تتشوه فطرته لو الرأس أصبح في الأسفل، والرجلين في الأعلى كيف يكون الأمر.

فالجسم له فطرة والروح لها فطرة، فلما رأى هذا الرجل هذا المشهد { جَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى } مكانه بعيد، أحيانا الجولة قريبة منك وأنت تستبعدها، أقصى المدينة حتى بعض العلماء قالوا: أولاً قال اللهّ سبحانه وتعالى { وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ } كانت قرية ثم تمدّنت{ وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ } فباللغة القرية تطلق على المدينة والمدينة تطلق على القرية لكن إذا اجتمعوا المدينة أكبر، فلما كان كلُ أهلها مسطرة واحدة يعني ما في عقل (ما ظهر الداعية) وما ظهر المتحضر صاحب الفكر كانت قرية، ولما ظهر فيها واحد صاحب فكر صاحب همة تمدّنت {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ}، {وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ} تمدّنت القرية التي ليست لها مكانة عند الناس، حينما دخلها الدعاة وتجولوا فيها أكرمها الله وارتفعت مكانتها بسبب وجودهم فتحولت إلى مدينة.

فالمدنية مدنية الفكر، الحضارة حضارة الأخلاق، لا تقول أين الحضارة العمرانية في المدينة ؟ أين قصور عمر؟ بل أخلاق عمر، أخلاق أبو بكر، دعوة عمر، دعوة عثمان، نحن انتقلنا من حضارة الدين إلى حضارة الطين، لبناء

---

(١) سورة الروم – الآية ٣٠.

البيت أربعة وعشرين ساعة مخك يشتغل، وحتى يصير عندك حضارة ذهنية حضارة فكرية، حضارة أخلاقية وتخرج أربعين يوم، يسأل أين الدليل على الأربعين يوم؟ أما حضارة حجرية، فعقولنا تأثرت بالحضارة الحجرية ،أصبح الإنسان يفرح بسبب الحجر النظيف فيقول بيت حجر نظيف!! وعند الموت أين الحجر النظيف ؟؟ لكن عند الموت مطلوب منك مخ نظيف فكر نظيف.

إخواني وأحبابي في الله: إذا كان العلم بصحة ما يدعو إليه الداعي شرطا لصحة الدعوة، فهذا لا يعني أن الدعوة خاصة بالعلماء، فكلُ مكلف بالدعوة بحسب ما عنده من العلم سواء، لأن أمر الدعوة عام يشمل جميع طبقات الأمة، لقوله تعالى: ((وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)).

وسُئِلَ الشيخ عبدالعزيز بن باز _ حفظه الله _ (قبل أكثر من عشر سنوات عن حكم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) فقال: نظرا لقلة الدعاة وكثرة الفساد فإننا نرى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم بل فرض عين عليهم .أ.هـ.

ويقو الامام الجصاص: وَكَذَلِكَ قَالَ أَصْحَابُنَا فِي كُلِّ أَمْرٍ كَانَ فِيهِ إعْزَازُ الدِّينِ، فَالْإِقْدَامُ عَلَيْهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَفْضَلُ مِنْ الْأَخْذِ بِالرُّخْصَةِ فِي الْعُدُولِ عَنْهُ، أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ بَذَلَ نَفْسَهُ لِجِهَادِ الْعَدُوِّ فَقُتِلَ كَانَ أَفْضَلَ مِمَّنْ انْحَازَ؟ وَقَدْ وَصَفَ الله أَحْوَالَ الشُّهَدَاءِ بَعْدَ الْقَتْلِ وَجَعَلَهُمْ أَحْيَاءً مَرْزُوقِينَ، فَكَذَلِكَ بَذْلُ النَّفْسِ فِي

إظْهَارِ دِينِ الله تعالى وَتَرْكُ إظْهَارِ الْكُفْرِ أَفْضَلُ مِنْ إظْهَارِ التَّقِيَّةِ فِيهِ.أ.هـــ.

يامن تشككون في جهد الدعوة إلى الله، إلى متى هذا الرقاد الأمة؟؟ امتلأت بالأحوال ونحن في خطر وإلى الآن نقول هل ندعوا أم نقف.

وإن من الجريمة أن يترك المسلمون الناس يغرقون في مستنقع الكفر والشهوات ، ولا ينقذونهم من هذا الرجس والدنس !! .

وإن كنت سباحاً ماهراً تتقن السباحة، ورأيت إنساناً يغرق في النهر ، وهو يستغيث بمن ينقذه ، وتركته دون إنقاذ ، ألا تكون قد ارتكبت جناية يؤاخذك عليها الضمير والدين؟

هكذا شأن المسلمين مع الأمم ، ابتعثهم الله تعالى واختارهم لإنقاذ البشرية ، فإذا تركوا واجبهم في الدعوة إلى الله ، فقد خانوا الأمانة ، وتركوا وسام العز والفخار الذي امتازوا به على سائر الأمم ، إنهم حملة رسالة إنسانية سامية ، هي هداية الناس ، وإخراجهم من ظلمات الكفر والشقاء، كما وضح تعالى ذلك بقوله: { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }(١)(٢). ويقول الحبيب [ﷺ]: [وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ] رواه الترمذي.

(١) سورة إبراهيم ـ الآية ١٠ .

(٢) أوليس في سبيل الله إلا من قتل صـــ ٢٥ .

السؤال السابع

س: ما الدليل على خروج المسلم للدعوة مع بيان أهمية الحركة للدين ؟ .

ج: فهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم من الرسول ﷺ عموماً، وفي حجة الوداع خصوصاً أن الدين حاجتهم وجهد الدين مسئوليتهم.

وبسبب كمال بيئة الدين التي كان الصحابة الكرام يعيشونها في المدينة النبوية فهم خرجوا في سبيل الله للدعوة إلى الله ليقولوا للناس:" كُونُوا مِثْلَنَا " أي في كمال دينهم (إيمانهم وأعمالهم).

وفي وقتنا هذا وبسبب ضعف بيئة الدين من حولنا فنحن نخرج في سبيل الله للدعوة إلى الله لا لنقول للناس كونوا مثلنا لأن صفاتنا لا تؤهلنا لدعوتهم ولا تشجعهم لقبول الدعوة، فخروجنا أولاً هو لتكوين البيئة الصالحة لإقامة أعمال الدين وإحياء جهد الرسول(ﷺ) لإصلاح أنفسنا فيها، وبقدر إصلاح أنفسنا بتحصيل صفات الدين نكون مؤثرين بإذن الله تعالى في الآخرين.

ثم نجتهد على المسلمين ليرجعوا إلى دينهم ومن ثم يتأثر الكفار بصفات وأخلاق المسلمين فيدخلوا في دين الله تعالى أفواجاً وهذا هو المقصود بالنصر الذي هو دخول الناس في الدين، قال الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ

رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ (١)، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (٢)، فالفتح المقصود في هذه الآية هو فتح باب الدعوة إلى الله أمام الرسول ﷺ وصحابته، فلقد أسلم في مدة سنتين بعد صلح الحديبية أكثر ممن أسلم من أول البعثة.

يقول الشيخ أمين الشنقيطي (رحمه الله): التَّحْقِيقُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا الْفَتْحِ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ؛ لِأَنَّهُ فَتْحٌ عَظِيمٌ . . وَإِيضَاحُ ذَلِكَ أَنَّ الصُّلْحَ الْمَذْكُورَ هُوَ السَّبَبُ الَّذِي تَهَيَّأَ بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَجْتَمِعُوا بِالْكُفَّارِ فَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَبَيَّنُوا لَهُمْ مَحَاسِنَهُ، فَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ بِسَبَبِ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ .

وَمِمَّا يُوَضِّحُ ذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ شَهِدُوا صُلْحَ الْحُدَيْبِيَةِ مَعَ النَّبِيِّ [ﷺ] فِي ذِي الْقِعْدَةِ عَامَ سِتٍّ كَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ .

وَلَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ [ﷺ] غَزْوَ مَكَّةَ حِينَ نَقَضَ الْكُفَّارُ الْعَهْدَ، كَانَ خُرُوجُهُ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ عَامَ ثَمَانٍ ، وَكَانَ مَعَهُ عَشَرَةُ آلَافِ مُقَاتِلٍ، وَذَلِكَ يُوَضِّحُ أَنَّ الصُّلْحَ الْمَذْكُورَ مِنْ أَعْظَمِ الْفُتُوحِ لِكَوْنِهِ سَبَبًا لِقُوَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ .

وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْفَتْحِ الْمَذْكُورِ فَتْحَ مَكَّةَ، وَإِنْ قَالَ بِذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ (٣).

---

(١) سورة النصر – الآيات من ١: ٣ .

(٢) سورة الفتح – الآية ١.

(٣) أضواء البيان » سورة الفتح » قَوْلُهُ تَعَالَى :(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا).

فمقصد خروجنا في سبيل الله في هذا الزمان هو :

١. إرضاء الله سبحانه وتعالى.

٢. لإصلاح أنفسنا بتربيتها وتزكيتها.

٣. حصول أجر الدعوة إلى الله.

٤. امتثال أمر الله جل جلاله.

٥. إحياء سنة الحركة للدين.

٦. لنشر الدين في مشارق الأرض ومغاربها حتى يدخل الأغيار في دين الله أفواجاً.

والحـركة للدعوة إلى الله، الله عز وجل يحبها، وقد مدح الله سعي من تحرك لإعلاء كلمته، وأشاد به في كتابه: قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِي السِّيَاحَةِ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى " (٢).

---

(١) سورة يس – الآية ٢٠ .

(٢) سنن أبي داود _ كتاب الجهاد _ باب فِي النَّهْيِ عَنِ السِّيَاحَةِ _رقم الحديث (٢٤٨٨)، المستدرك على الصحيحين _ كتاب الجهاد _ وقال الحاكم صحيح الإسناد.
وله شاهد في شرح السنة عن عثمان بن مظعون قال : يا رسول الله ائذن لنا في الإختصاء، فقال رسول الله (ﷺ): " ليس منا من خصي ولا اختصي إن خصاء أمتي الصيام ". فقال ائذن لنا في السياحة . فقال: " إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله " . فقال: ائذن لنا في

الإنسان المسلم لا يجلس في مكانه ويقنع بالعبادة فقط بل عليه أن يجتهد بماله ونفسه ويخرج في سبيل الله لإعلاء كلمة الله لأن العبادة فيها الجمود والدعوة فيها الحركة فإذا جلس المسلم في مكانه وبلده فكيف ينتشر الدين فلا بد إذن من السياحة مع العبادة لأن بالسياحة يخرج حب الدنيا من القلب وتحل فيه عظمة الدين وحب الله ورسوله، وفكر الآخرة وهذا هو المقصد .

فالإنسان إذا اكتفى بالعبادة ظل في قلبه حب الدنيا وهذا خطر عظيم فعند الموت يخرج من القلب ما هو موجود فيه مثل الوعاء، واللسان مثل الملعقة فصحابة النبي [ﷺ] لما ضحوا بأموالهم وأنفسهم وخرجوا في سبيل الله، خرج من قلوبهم حب الدنيا والتعلق بها وأصبحوا من الزاهدين والمخلصين، ومشوا في الدنيا مثل السفينة السليمة فنجوا إلى بر الأمان، وعند الموت فازوا برضاء الله وجنته فبالخروج والسياحة يتحطم حب الدنيا في القلب.

فالإنسان مزاجه وهواه يميل إلى الأشياء فإذا ترك نفسه على هواها أهلكته ولكن بالخروج يطوع نفسه تحت أوامر الله وتسهل عليه الأعمال وإتباع النبي [ﷺ] فالمجاهد من جاهد بنفسه وماله في سبيل الله وعلينا أثناء الخروج دعوة الناس إلى الله لمعرفة قدرة الله وصفاته ويأتي عندهم اليقين الصحيح بأن الرزق والعزة والعلاج بيد الله.

الترهب. فقال: " إن ترهب أمتي الجلوس في المساجد انتظارا للصلاة "(مشكاة المصابيح ـ باب المساجد ومواضع الصلاة ١/٢٢٥) .

بالدعوة تذهب الظلمة من القلب ويتحول حب الإنسان من الأشياء إلى أوامر الله وحب الله ورسوله، ومن اليقين على الأسباب إلى اليقين على رب الأسباب، ومن البدعة إلى السنة، وتنكشف حقيقة الدنيا كما قال تعالى:{ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ }(١)، وقال تعالى:{ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ }(٢).

قيل: أن المتاع هو قطعة القماش تستعملها المرأة وقت الحيض(٣).

---

(١) سورة محمد _ الآية٣٦.

(٢) سورة الحديد _ الآية٢٠.

(٣)الغرور هو دم الحيض والمتاع هو قطعة القماش التي تستخدمها المرأه في الحيض. يروى أن الأصمعي : أراد أن يعرف ما معنى هذه الكلمة عند العرب فذهب وسافر إلى البادية لأنهم أهل اللغة العربية..فأخذ يطوف الصحاري ويتنقل بين القبائل .. فمر ذات يوم على أهل بيت لا يسكنه إلا امرأة وابنتها وكان قد كل من تعب السفر فأكرمته المرأة ودعت له بغداء فبينما كانت تجهز له الغداء سمع البنت تقول لأمها : (يا أماه جاءني الغرور فأين المتاع)؟؟

صرخ الرجل هذه هي وقال للمرأة: ما معنى هذه الكلمة ؟؟ فقالت له: بعد الغداء أخبرك عنها!! فقص عليها قصته وقال : لا أكل حتى تقولين لي ما معناها !! فقالت: الغرور هو دم الحيض والمتاع هو قطعة من القماش تستخدمه المرأة ..إلخ.

فنحن لا نفهم حقيقة الدنيا إلا بالخروج في سبيل الله، وصحابة النبي ﷺ عندما ضحوا وخرجوا، تكشفت أمامهم حقيقة الدنيا، أخرج أبو نعيم عَنْ أبي صالح قَالَ: دَخَلَ ضرار بن ضمرة الكناني عَلَى معاوية، فَقَالَ لَهُ: صِفْ لِي عليا. فَقَالَ: أَوَتُعْفِينِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: لَا أُعْفِيكَ، قَالَ: أَمَا إِذْ لَا بُدَّ، فَإِنَّهُ كَانَ وَاللهِ بَعِيدَ الْمَدَى، شَدِيدَ الْقُوَى، يَقُولُ فَصْلًا، وَيَحْكُمُ عَدْلًا، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظُلْمَتِهِ، وَكَانَ وَاللهِ غَزِيرَ الْعِبْرَةِ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ، يُقَلِّبُ كَفَّهُ وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللِّبَاسِ مَا قَصُرَ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا جَشُبَ، كَانَ وَاللهِ كَأَحَدِنَا، يُدْنِينَا إِذَا أَتَيْنَاهُ، وَيُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ، وَكَانَ مَعَ تَقَرُّبِهِ إِلَيْنَا وَقُرْبِهِ مِنَّا لَا نُكَلِّمُهُ هَيْبَةً لَهُ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعَنْ مِثْلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ، يُعَظِّمُ أَهْلَ الدِّينِ، وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ، وَلَا يَيْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ، فَأَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَقَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ، وَغَارَتْ نُجُومُهُ ، يَمِيلُ فِي مِحْرَابِهِ قَابِضًا عَلَى لِحْيَتِهِ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ، فَكَأَنِّي أَسْمَعُهُ الْآنَ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا - يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لِلدُّنْيَا : إِلَيَّ تَغَرَّرْتِ، إِلَيَّ تَشَوَّفْتِ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، غُرِّي غَيْرِي قَدْ بِنْتُكِ ثَلَاثًا، فَعُمْرُكِ قَصِيرٌ، وَمَجْلِسُكِ حَقِيرٌ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ، آهٍ آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ. فَوَكَفَتْ دُمُوعُ معاوية

عَلَى لِحْيَتِهِ مَا يَمْلِكُهَا، وَجَعَلَ يُنَشِّفُهَا بِكُمِّهِ، وَقَدِ اخْتَنَقَ الْقَوْمُ بِالْبُكَاءِ، فَقَالَ: كَذَا كَانَ أبو الحسن رَحِمَهُ اللهُ، كَيْفَ وَجَدَكَ عَلَيْهِ يَا ضرار؟ قَالَ: وَجَدَ مَنْ ذَبَحَ وَاحِدَهَا فِي حِجْرِهَا، لَا تَرْفَأُ دَمْعَتُهَا وَلَا يَسْكُنُ حُزْنُهَا، ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ (١).فالإنسان لا يخرج من كيد الدنيا وغرورها إلا بجهد الدعوة.

والإنسان عندما يقوم بالدعوة والعبادة، لا يتجاوز حدود الله، ولا يقع في البدع والخرافات، كثير من الناس يظنون أنهم أولياء، وفى الحقيقة هم أولياء للنفس والشيطان، لأنهم خالفوا أوامر الله وسنة رسوله.

كذلك فإن الدعوة الصحيحة هي التي تقوم على منهج النبي ﷺ وليس لحساب شيء أخر، كثير من الناس يدعون على مزاجهم وأهوائهم ويقومون بالدعاية، ولكن دعوتهم لا تنشر ولا ينتشر بها الدين.

والشمس متحركة في مدارها وفي الأفق، فلو لم تتحرك أو تعرضت للوقوف أو الكسوف أو السحاب، بقدر الموانع، مع وجدودها، تقل الاستفادة منها.. فهذا مثال الداعي والخارج في سبيل الله.. فلو أن الداعي غير متحرك.. أو الجماعة ليست متحركة لا في المقام ولا خارج المقام، فهؤلاء لا يستفيدون ولا يستفيد منهم العالم.

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» المهاجرون من الصحابة» علي بن أبي طالب» وصف ضرار الكناني له في مجلس معاوية_ وَصِفْهُ فِي مَجْلِسِ معاوية ،وأَخرجه أيضاً ابن عبد البر في الاستيعاب عن الحِرماني ــ رجل من همْدان ــ عن ضِرار الصُدَائي بمعناه(حياة الصحابة _ باب الآثار في صفة الصحابة الكرام ١/ ١٩).

عائد الحركة الأكبر علي الداعي المتحرك: كما أن عائد التجارة الأكبر علي التاجر، وإن كان يقوم بتوفير السلع، وكما أن عائد حركة الميكروباص الأكبر علي السائق، وإن كان في الظاهر يقوم بنقل الناس من مكان الي مكان.. ذهابا ومجيئا طوال اليوم وقيام وقت من جزء من الليل.

ولو الحركة موجودة ولكن بدون نور العلم، بدون نور العبادات، بدون نور الذكر، فالاستفادة موجودة ولكن قليلة جداً، والحركة تؤثر ولكن قلة الصفات تقلل الاستفادة.

فالجماعة الخارجة يزداد فيها نور الدعوة بالتحرك، ونور العلم بالحلقة، ونور الذكر بالخلوة، تخرج الجماعة في سبيل الله بهذه الصفات، وإذا رجعت تستمر بالجهد فهذه الحركة تؤثر في العالم.. مثل: الشمس التي تشرق ولكن بإشراقها تؤثر ما بين المشرق والمغرب، وكذا الداعي والخارج في سبيل الله يؤثر جهده في العالم ، ويسهل عليه أحوال دنياه وأحوال موته وأحوال البرزخ وأحوال الآخرة من جميع الأهوال والمشقات، هذا الجهد ينجيه بإذن الله.

والشمس تخرج بالنور على وقتها وبدون تأخير، وكذلك الداعي يخرج للدعوة، على الوقت، وبنور الهداية.

والشمس متحركة وليست جامدة في مكانها.. وكذلك الداعي متحركا بين الناس، بالدعوة إلي الله كالشمس، ليبلغ دين الله ﷻ.

الشمس تفيد كل الناس، تُعطيهم الضوء والحرارة، بدون أجر.. فكذلك الداعي إلي الله لا يأخذ أجره إلا من الله: ﴿ وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَىَ رَبّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) لا ينتظر شكر ولا ثناء من أحد.

الشمس تتحرك علي كل العالم (الصالح والطالح) فليس عندها حزبية ولا عصبية ولا عنصرية، تقول أطلع علي هؤلاء وأترك هؤلاء.. وكذلك الداعي يتحرك علي كل الناس (عربهم وعجمهم، غنيهم وفقيرهم، ..) حريص علي هداية كل الناس .

الشمس تستمد نورها من الله ﷻ وتُنير به العالم .. وكذلك الداعي يستمد نور الإيمان من الله ﷻ ويُنير به العالم كله .

الشمس لا تتوقف دقيقة واحدة، ولو توقفت لأظلمت الدنيا، وفسد نظام العالم .. وكذلك الداعي لو توقف عن الدعوة لفسد الناس وتركوا أمر الله ﷻ ومشوا في الظلمات، قال تعالي﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ كَمَن مّثَلُهُ فِي الظّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مّنْهَا كَذَلِكَ زُيّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

---

(١) سورة الشعراء – الآية ١٢٧

(٢) سورة: الأنعام – الآية : ١٢٢ .

لو كسفت الشمس لأصاب الناس الخوف والفزع والوجل والاضطراب .. وكذلك لو توقف الداعي لحل الاضطراب في العالم فإياك أيها الداعي الحبيب من الكسوف.

لو وقفت الشمس في مكانها لملها الناس من عرب ومن عجم .. وكذلك الداعي لو توقف في مكانه لمله الناس.

الشمس تتحرك دائما في فلكها ولا تقف .. وكذلك الداعي يتحرك في دعوته ولا يتوقف حتى الموت .

فالعبرة بكثرة الفضائل(وأي فضل مثل القيام بالدعوة إلى الله): فإن الماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، فمن غلبت فضائله، اغتفر له ذلك.

فالحركة للدين الأمة مثل: - الماء الطهور - طاهر - مطهر - يزيل الخبث والنجس.

وبدون الحركة للدين (تكون الأمة مثل): الماء الراكد - فاسد - مفسد - خبيث الرائحة.. وفي ذلك يقول الشيخ/ سعد هارون (حفظه الله) (١): الماء الجاري حتى ولو تبول فيه، فهو طاهر في نفسه، مطهر لغيره، ما دام جاريا.. فكذلك كل فرد في الأمة لو كان جاريا (أي متحركاً) يصبح طاهراً في نفسه، مطهراً لغيره، حتى ولو جاءت فيه بعض

(١) حفيد الشيخ محمد يوسف مؤلف حياة الصحابة وأمير الدعوة والتبليغ في العالم.

النجاسات (المعاصي) فحركته تقوى إيمانه وتزيل نجاسته، وكذلك يكون سبباً لإزالة نجاسة غيره(١).

فالحركة كما يقولون: ولود، والسكون عقيم، والحركة في قاموس الدعاة هي الحياة، والسكون هو الموت، والحركة هي الحد الفاصل بين عهد الرخاوة، وبين عهد حمل الأمانة بعزم وحزم ووفاء.

وبالحركة: انتشر المسلمون الأوائل مثل شعاع الشمس في أقطار الأرض، يفتحون البلاد، وقلوب العباد، ويدعون إلى التوحيد، ويحطمون الطواغيت، ويقودون الناس إلى الجنة. وبالحركة صاروا في ظلمات الحياة سراجًا وهَّاجًا، فإذا الباطل رماد بعد التهاب، وخمود بعد حركة.

والماء إذا سكن فسد، والأسد إذا توقفت عن الصيد ماتت جوعا، والسهم لا يصيب إلا إذا أطلق من كنانته وقوسه كما قال الإمام الشافعي (رحمه الله):

ما في المقـــــامِ لذي عقلٍ وذي أدبِ ... مِنْ رَاحَةٍ فَدعِ الأَوْطَــانَ واغْتَرِبِ
سافر تجــد عوضــاً عمَّن تفارقــــهُ ... وَانْصبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
إني رأيتُ وقــوفَ الماء يفســــــدهُ ... إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِــبِ
والأسدُ لولا فراقُ الأرض ما افترســت ... والسَّهمُ لولا فراقُ القوسِ لم يصب
والشمس لو وقفت في الفلكِ دائــمــةً ... لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْــمٍ وَمِنَ عَرَبِ
والتِّبْرَ كالتُّرابَ مُلْقَىً في أَمَاكِنِــــــهِ ... والعودُ في أرضه نوعً من الحطب
فإن تغــــرَّب هذا عــــزَّ مطلبــــهُ ... وإنْ تَغرَّبَ ذَاكَ عَز كالذَّهَــــبِ(٢)

---

(١) المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة للمؤلف.

(٢) كتاب ديوان الإمام الشافعي – في الحض علي الترحال ص ٢٨.

ويقول الشيخ / محمد عمر البالمبوري (رحمه الله) :

حركة الصحابة في العالم، حطمت قوي الباطل في زمانهم، لأنهم صاروا كما ينبغي، وضحوا التضحية المطلوبة منهم، فكانت حركتهم مثل الصاروخ الذي ضرب في صخرة ففتتها.. لكن في زمننا هذا تركنا الحركة للدين، وتركنا الجهد والتضحية للدين بالمال والنفس والوقت، وأصبحنا متثاقلين، ودخل حب الدنيا في قلوبنا وكرهنا الموت، فتقاعسنا عن المكرمات، وأصبحنا نحن الذين نُحطم أمام قوى الباطل، وتُنْتقص أرض الإسلام وتُنهب في كل مكان، لتركنا التضحية لدين الله.

ولكن لو تحركنا وخرجنا للناس فإن حركة المؤمنين للدين مثل حركة الماء الجاري المتدفق من الجبل، يُحطم الصخور ويساوي الأرض، ويستفيد منه الزرع والشجر، وتظهر بسببه البساتين والثمار.. ولكن لو وقف هذا الماء، وحُبسَ، ولم يتحرك، لأصبح ماءً راكدا، وتظهر فيه الجراثيم والأمراض والأوساخ، وهكذا لو بقي المسلمون في بيوتهم، واكتفوا بما هم فيه، لظهر الفساد والأمراض التي لم تكن في أسلافهم من قبل، ولزادت الفتن .

ويقول الشيخ / محمد عمر البالمبوري(رحمه الله) أيضا: إن جهد الأقلام لا يجزئ عن جهد الأقدام.. وإن الجهد لهذا الدين والعمل من أجل نشره قرين الانتماء إليه، فيجب على كل مسلم أن يقدم لهذا الدين ما يستطيع فعله، وخير الطرق لنشر هذا المنهج الرباني هو الطريق النبوي الحركي، بأن

تتحرك بقدميك على الناس وتتجول عليهم من قرية إلى قرية ومن بلدة إلى بلدة ومن قارة إلى قارة، ولو كانت هناك طريقة أفضل من هذه الطريقة لاصطفى الله تعالى بها نبيه وحاش الله تعالى أن ييسر طريقة أجدى في الدعوة لأحد ثم يمنعها حبيبه وخير خلقه وأعظم رسله !! فلنحمل الأمانة ولنتحرك بها ونصرة الله تنتظرنا وعينه تكلأنا ومعيته معنا .

الرسول ﷺ أرسل الكتب بعد صلح الحديبية لجميع الملوك والأمراء ورؤساء العشائر ليبلغ دين الله تعالى، فعلينا أن نتحرك بالدعوة لتصل إلى كل مكان ،حتى إذا بعد الناس في البلدان والفيافي والقفار والصحاري، فلا بد أن تصل الدعوة إليهم، والدعوة لن تصل بالأقلام، بل لا بد أن تصل بالأقدام، وبعد أن تصل الدعوة للناس، تبدأ أحكام التعامل معهم، مثل الصحابة رضي الله عنهم، بعد الدعوة والتبليغ، الله تعالى أنزل عليهم قوله سبحانه :﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (١)، ثم تأتي تمام الصفات، وبعد أن نبيع النفس والمال لله تعالى، يقول الله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢)،بعدها يقول

---

(١) سورة الحج _ الآية ٣٩.

(٢) سورة التوبة – الآية ١١١.

سبحانه وتعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

لو نظرنا نجد (التَّائِبُونَ) رجوع إلى الله تعالى (الْعَابِدُونَ) إقامة شعائره (الْحَامِدُونَ) الصبر على كل حال (السَّائِحُونَ) أي دعوة الناس (الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ) صلاة وتوجه (الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ) بالحكمة والحسنى (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ) مراقبة الله تعالى في كل حال (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بعد هذه الصفات تأتي البشرى بالجنة.أ.هـ.

والذي ينظر في تاريخنا الهجري يجده متحرك مع فصول السنة الأربعة، فمرة تجد شهر رمضان في فصل الصيف ومرة في الشتاء ومرة في الخريف ومرة في الربيع وهكذا.. وهذا يرمز إلى حركة الأمة، فكما أن تاريخها متحركة، فهي أمة متحركة على مر الزمان.

أما الأمم السابقة فهي أمم ساكنة لا تعبد الله إلا في الصوامع والبيع والكنائس فقط لأنهم لم يأمروا بالحركة للدين وتاريخهم ساكن لا يتحرك فشهر يناير دائما يأتي في الشتاء ولا يمكن ومستحيل أن يأتي في الصيف وكذلك شهر طوبه لا يمكن أن يأتي في الصيف.

---

(١) سورة التوبة _ الآية ١١٢ .

وكما تعلمنا أن المتحرك دائما يؤثر في الساكن، فكذلك لما كانت الأمه متحركة أثرت في العالم كله فغيرت عقائدهم ولباسهم ولغاتهم ولما قعدت الأمة وسكنت ولم تتحرك لدينها تأثرت من أهل الباطل.

ويقول الإمام الحافظ الرامهرمزي: لو عرف الطاعن علي أهل الرحلة (الدعوة) مقدار لذة الراحـل (الداعي) في رحلته ونشاطه عند فصوله من وطنه، واستلذاذ جميع جوارحه عن تصرف لحظاته في المناهل والمنازل والبواطن والظواهر..والنظر إلي دساكر الأقطار وغياضها.. وحدائقها ورياضها.. وتصفح الوجوه.. ومشاهدة ما لم يري من عجائب البلدان.. واختلاف الألسنة والألوان الدالة علي قدرة الكبير المتعال.. والاستراحة في أفياء الحيطان وظلال الغيطان.. والأكل والنوم في بيوت الله، واستصحاب من يحبه في ذات الله ﷻ بسقوط الحشمة وترك التصنع.. (وزيادة الإيمان بالجلوس في حلقات التعليم والتعلم.. ومذاكرة عظمة الله العظيم.. وزيارة العلماء العاملين، والدعاة المخلصين، وزيارة الأولياء، والصالحين، والطائعين والعاصين.. والفقراءِ والمساكين، والتُجار في متاجرهم.. والصُناع في مصانعهم.. والزُراع في مزارعهم، والوجهاء في مناصبهم، وذلك لدلالتهم علي خالقهم ورازقهم.. وكل ما يصل إلي قلبه من السرور عن ظفره ببغيته ووصوله إلي مقصده من هداية الناس

ورجوعهم إلي الله ﷻ.. وثقته وإيمانه بربه وامتلاء قلبه بمحبته) وهجومه علي المجلس الذي شمر له، وقطع الشقة إليه لعلم أن لذات الدنيا مجموعة في محاسن تلك المشاهد، وحلاوة تلك المناظر، واقتناص تلك الفوائد التي هي عند أهلها أبهي من زهر الربيع وأنفس من ذخائر العقيان من حيث حرمان الطاعن وأشباهه (١).

وقال الوزير ابن هبيرة: في قوله تعالى: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) (٢).

وقوله عز وجل: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ) قال:" تأملت ذكر أقصى المدينة فإذا الرجلان جاءا من بعد للأمر بالمعروف ولم يقعدا لبعد الطريق".(٣).

---

(١) في كتابه المحدث الفاضل في بيان الرحلة في طلب العلم والمتع الحاصلة بها رداً علي من كره الرحلة وعباها (وقد نقلتها من كتاب لا تحزن د. عائض القرني.. وقد زدت ما بين الأقواس) .

(٢) سورة يس _ الآيات من ٢٠ :٢٧.

(٣) من كتاب وصايا للدعاة _ المائة الأولى _ صـ ٤٤.

ويقول الدكتور نعمان أبو الليل(حفظه الله): ليس هناك فرض من فروض الأعيان يحتاج إلى "قلم" مطلقا . كل حركة فيها قلم فرض كفاية . واحد يريد الحج ، الصوم ، الصلاة ، هل هذا يحتاج إلى " قلم" ؟ ((صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)) (١) .

فلاح لايقرأ ولايكتب ، وابنه يكتب أبي زرع أبي حرث ، ولكن لا يكون مزارعا كأبيه ، هو صور جهد أبيه ولكن ماحقق جهده .

كذلك الجهد للدين ليس فيه قلم ولاورقة ، فالقلم لتصوير الدين " ذهب النبي ﷺ إلى الطائف .. وأنت تصور جهد النبي ﷺ ، فإن كنت تريد جهده : فالنبي ﷺ ذهب إلى الطائف ، أنت أيضا تذهب إلى القرية المجاورة لك لتدعوهم إلى الله .

إذا حركنا القلم صورنا جهده ، وإذا حركنا القدم حققنا جهده . فمن أقوى الصورة أم الحقيقة؟ . صَوَّرَ أخلاق النبي ﷺ ، ياأخي حقق أخلاقه ؟ أهـ . (٢).

فعلى الداعية أن يتحرك، ويحرك الآخرين، مبتدئًا بعشيرته الأقربين :

قال تعالى:(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (٣).

---

(١) صحيح البخاري» كتاب الأذان» باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة رقم الحديث: (٦٠٥).

(٢) الأنوار النعمانية بقلم المؤلف.

(٣) سورة الشعراء _ الآية ٢١٤.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، رَحِمَهُ اللهُ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، أَتَى النَّبِيُّ - ﷺ- الصَّفَا فَصَعِدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَادَى: " يَا صَبَاحَاهُ " . فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ بَيْنَ رَجُلٍ يَجِيءُ إِلَيْهِ، وَبَيْنَ رَجُلٍ يَبْعَثُ رَسُولَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ- : " يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي لُؤَيٍّ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، صَدَّقْتُمُونِي ؟ ". قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: " فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ". فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَمَا دَعَوْتَنَا إِلَّا لِهَذَا ؟ وَأَنْزَلَ اللهُ: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) (١) (٢) .

وقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، قَامَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ- فَقَالَ: " يَا فَاطِمَةُ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ ابْنَةَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ " . انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ .

وقَالَ أَحْمَدُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، دَعَا رَسُولُ اللهِ - ﷺ- [قُرَيْشًا]، فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: " يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبٍ،

---

(١) سورة الْمَسَدِ : الآية ١.

(٢) وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ ، مِنْ طُرُقٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، بِهِ(ابن كثير).

أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. [يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ] ، فَإِنِّي – وَاللهِ – مَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، إِلَّا أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا "(١) .

كُنْ مشعــلاً في جُنْح ليلٍ حالكٍ ... يهدي الأنَامَ إلى الهــدى ويُبيِّــنُ
وانشط لدينك لا تكنْ متكاســلاً ... واعمل على تحريك ما هو ساكنُ
وابدأ بأهــلك إنْ دعَــوَتَ فإنهم ... أولى الورى بالنصح منك وأَقْمَــنُ
واللــه يأمــــر بالعشــيرة أوَّلا ... والأمــر من بعد العشــيرة هَيِّــنُ

وعَنْ ذِي الْجَوْشَنِ الضِّبَابِيِّ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ بِابْنِ فَرَسٍ لِي يُقَالُ لَهَا الْقَرْحَاءُ فَقُلْتُ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ بِابْنِ الْقَرْحَاءِ لِتَتَّخِذَهُ قَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ أَقِيضَكَ فِيهَا الْمُخْتَارَةَ مِنْ دُرُوعِ بَدْرٍ فَعَلْتُ فَقُلْتُ مَا كُنْتُ لِأَقِيضَهُ الْيَوْمَ بِعُدَّةٍ قَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ثُمَّ قَالَ يَا ذَا الْجَوْشَنِ أَلَا تُسْلِمُ فَتَكُونَ مِنْ أَوَّلِ أَهْلِ هَذَا الْأَمْرِ فَقُلْتُ لَا قَالَ لِمَ قُلْتُ إِنِّي رَأَيْتُ قَوْمَكَ وَلِعُوا بِكَ قَالَ فَكَيْفَ بَلَغَكَ عَنْ مَصَارِعِهِمْ بِبَدْرٍ

(١) وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، بِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ . وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ مُرْسَلًا لَمْ يَذْكُرْ فِيهِ أَبَا هُرَيْرَةَ. وَالْمَوْصُولُ هُوَ الصَّحِيحُ. وَأَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ابن كثير).

قُلْتُ قَدْ بَلَغَنِي قَالَ فَإِنَّا نُهْدِي لَكَ قُلْتُ إِنْ تَغْلِبْ عَلَى الْكَعْبَةِ وَتَقْطُنْهَا قَالَ لَعَلَّكَ إِنْ عِشْتَ تَرَى ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ يَا بِلَالُ خُذْ حَقِيبَةَ الرَّجُلِ فَزَوِّدْهُ مِنْ الْعَجْوَةِ فَلَمَّا أَدْبَرْتُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ مِنْ خَيْرِ فُرْسَانِ بَنِي عَامِرٍ قَالَ فَوَ اللَّهِ إِنِّي بِأَهْلِي بِالْغَوْرِ إِذْ أَقْبَلَ رَاكِبٌ فَقُلْتُ مَا فَعَلَ النَّاسُ قَالَ وَاللَّهِ قَدْ غَلَبَ مُحَمَّدٌ عَلَى الْكَعْبَةِ وَقَطَنَهَا فَقُلْتُ هَبِلَتْنِي أُمِّي وَلَوْ أُسْلِمُ يَوْمَئِذٍ ثُمَّ أَسْأَلُهُ الْخِيرَةَ لَأَقْطَعَنِيهَا .

ونبي الله ورسوله نوح(عليه السلام) يقول: { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا * مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا } (١).

(١) سورة نوح:الآيات من ٥ ــ ٢٠ .

فهل كان ينتظرهم ليأتوه، أم كان يخرج لمجالسهم ومجامعهم وأسواقهم، بل وبيوتهم فيدعوهم إلى الله. كما كان نبينا (ﷺ) يفعل وكل الأنبياء قبله.

وقال الإمام الغزالي (**رحمه الله**): اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ قَاعِدٍ فِي بَيْتِهِ أَيْنَمَا كَانَ فَلَيْسَ خَالِيًا فِي هَذَا الزَّمَانِ عَنْ مُنْكَرٍ مِنْ حَيْثُ التَّقَاعُدُ عَنْ إِرْشَادِ النَّاسِ وَتَعْلِيمِهِمْ وَحَمْلِهِمْ عَلَى الْمَعْرُوفِ، فَأَكْثَرُ النَّاسِ جَاهِلُونَ بِالشَّرْعِ فِي الْبِلَادِ فَكَيْفَ فِي الْقُرَى وَالْبَوَادِي، فَوَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ وَمَحَلَّةٍ مِنَ الْبَلَدِ فَقِيهٌ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ، وَكَذَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ، وَوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ فَقِيهٍ فَرَغَ مِنْ فَرْضِ عَيْنِهِ وَتَفَرَّغَ لِفَرْضِ الْكِفَايَةِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى مَنْ يُجَاوِرُ بَلَدَهُ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ وَالْعَرَبِ وَيُعَلِّمُهُمْ دِينَهُمْ وَفَرَائِضَ شَرْعِهِمْ، فَإِنْ قَامَ بِهَذَا الْأَمْرِ وَاحِدٌ سَقَطَ الْحَرَجُ عَنِ الْبَاقِينَ. وَبِالْجُمْلَةِ فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ فَيُصْلِحَهَا بِالْمُوَاظَبَةِ عَلَى الْفَرَائِضِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، ثُمَّ يُعَلِّمُ ذَلِكَ أَهْلَ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَتَعَدَّى بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُمْ فِي جِيرَانِهِ، ثُمَّ إِلَى أَهْلِ مَحَلَّتِهِ، ثُمَّ إِلَى أَهْلِ بَلَدِهِ، ثُمَّ إِلَى أَهْلِ السَّوَادِ الْمُكْتَنِفِ بِبَلَدِهِ، ثُمَّ إِلَى أَهْلِ الْبَوَادِي، وَهَكَذَا إِلَى أَقْصَى الْعَالَمِ، فَإِنْ قَامَ بِهِ الْأَدْنَى سَقَطَ عَنِ الْأَبْعَدِ وَإِلَّا حَرَجَ بِهِ كُلُّ قَادِرٍ عَلَيْهِ قَرِيبًا كَانَ أَوْ بَعِيدًا. "(١).

---

(١) كتاب إحياء علوم الدين للغزالي .

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) يفسر قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ) (١)، فيقول: فواجب على الأمة أن يُبَلِّغوا ما أُنزل إليه، وينذروا كما أنذر، قال تعالى: (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (٢)،والجن لما سمعوا القرآن: (وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) (٣)(٤).

وقال الإمام أبو الفرج بن الجوزي (رحمه الله): ثم ألست تبغي القرب منه؟! فاشتغل بدلالة عباده عليه، فهي حالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام! أما علمت أنهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد، لعلمهم أن ذلك آثر عند حبيبهم؟! أما قال الرسول ﷺ لعلي ﷺ: " فَوَ اللهِّ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُّ بِكَ رجلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ "(٥).

وهل كان شغل الأنبياء إلا معاناة الخلق، وحثهم على الخير ونهيهم عن الشر"؟!.(٦).

---

(١) سورة المدثر – الآيتان ١ ، ٢ .

(٢) سورة التوبة – الآية ١٢٢ .

(٣) سورة الأحقاف – الآية ٢٩ .

(٤) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين.

(٥) صحيح البخاري» كتاب الجهاد والسير» بَاب فَضْلِ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ ـ رقم الحديث: ٢٨٤٧ .

(٦) صيد الخاطر .

ويقول أيضا (رحمه الله): الزهاد في مقام الخفافيش، قد دفنوا أنفسهم بالعزلة عن نفع الناس، وهي حالة حسنة إذا لم تمنع من خير، ومن جماعة واتباع جنازة وعيادة مريض، إلاَّ أنها حالة الجبناء، فأما الشجعان فهم يتعلمون ويعلمون. وهذه مقامات الأنبياء عليهم السلام(١).

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلاني (رحمه الله): من كملت معرفته لله عز وجل صار دالاً عليه، يصير شبكة يصطاد بها الخلق من بحر الدنيا، يعطي القوة حتى يهزم إبليس وجنده، يأخذ الخلق من أيديهم.

يا من اعتزل بزهده مع جهله؛ تقدم واسمع ما أقول، يا زهاد الأرض تقدموا.. خربوا صوامعكم، قد قعدتم في خلواتكم من غير أصل، ما وقعتم بشيء، تقدموا(٢).

وجَعْفَرٌ بن سليمان ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ : لَوِ اسْتَطَعْتُ أَنْ لا أَنَامُ لَمْ أَنَمْ ، مَخَافَةَ أَنْ يَنْزِلَ الْعَذَابُ وَأَنَا نَائِمٌ ، وَلَوْ وَجَدْتُ أَعْوَانًا، لَفَرَّقْتُهُمْ فِي مَنَازِلِ الأَرْضِ كُلِّهَا ، يُنَادُونَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، النَّارَ النَّارَ " . (٣) .

وإِبْرَاهِيمُ بْنُ الأَشْعَثِ، قَالَ: كُنَّا إِذَا خَرَجْنَا مَعَ الْفُضَيْلِ فِي جِنَازَةٍ لا يَزَالُ

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الفتح الرباني للشيخ عبد القادر الجيلاني .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم _ رقم الحديث: ٨٧٩٢، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» من الطبقة الأولى من التابعين» مالك بن دينار.

يَعِظُ وَيذْكَرُ وَيَبْكِي حَتَّى لَكَأَنَّهُ يُوَدِّعُ أَصْحَابَهُ، ذَاهِبًا إِلَى الآخِرَةِ، حَتَّى يَبْلُغَ الْمَقَابِرَ فَيَجْلِسُ ، فَكَأَنَّهُ بَيْنَ الْمَوْتَى جَلَسَ مِنَ الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ حَتَّى يَقُومَ، وَلَكَأَنَّهُ رَجَعَ مِنَ الآخِرَةِ يُخْبِرُ عَنْهَا . (١).

قَالَ شُجَاعُ بْنُ الْوَلِيدِ: كُنْتُ أَحُجُّ مَعَ سُفْيَانَ، فَمَا يَكَادُ لِسَانُهُ يَفْتُرُ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، ذَاهِبًا وَرَاجِعًا. وَعَنْ سُفْيَانَ: أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى خُرَاسَانَ فِي حَقٍّ لَهُ ، فَأَجَّرَ نَفْسَهُ مِنْ جَمَّالِينَ . (٢)..

وقَالَ يَحْيَى بْنُ يَمانٍ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ : إِنِّي لَأَرَى الْمُنْكَرَ ، فَلَا أَتَكَلَّمُ ، فَأَبُولُ أَكْدَمَ دَمًا (٣).

وَقَالَ أَحْمَدُ الْعِجْلِيُّ: وكَانَ أبو إسحاق الفزاري ثِقَةً صَاحِبَ سُنَّةٍ صَالِحًا ، هُوَ الَّذِي أَدَّبَ أَهْلَ الثَّغْرِ ، وَعَلَّمَهُمُ السُّنَّةَ ، وَكَانَ يَأْمُرُ وَيَنْهَى . وَإِذَا دَخَلَ الثَّغْرَ رَجُلٌ مُبْتَدِعٌ ، أَخْرَجَهُ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْحَدِيثِ ، وَكَانَ لَهُ فِقْهٌ . أَمَرَ سُلْطَانًا وَنَهَاهُ ، فَضَرَبَهُ مِائَتَيْ سَوْطٍ ، فَغَضِبَ لَهُ الْأَوْزَاعِيُّ ، وَتَكَلَّمَ فِي أَمْرِهِ . (٤).

هكذا كان شأن الدعاة دومًا، وعلى داعية اليوم أن يكون رحالة سائحًا

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ _ رقم الحديث: ١١٦٥٣.
(٢) سير أعلام النبلاء» الطبقة السادسة» سفيان .
(٣) المرجع السابق .
(٤) سير أعلام النبلاء» الطبقة السابعة» أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ (ع).

في محلات مدينته، ومدن قطره، يبلغ دعوة الإسلام.

فلا يكون المؤمن عامر القلب إلا متحركًا محركا، وقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم رسله ليسيحوا في البوادي يبلغون الناس دعوة الحق ويعلمونهم سنة سيد الخلق، كمعاذ وأبي موسى وغيرهم.

فكن رائدًا، وأجب داعي الله، بلا تلكؤ ولا تلعثم، ولا تردد، فهذا هو شأن المؤمنين.

قال سيدنا إبراهيم (عليه السلام): "يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر". قال: "فاصنع ما أمرك ربك". قال: "وتعينني؟". قال: وأعينك".

وانظر كيف كانت رسل رسول الله ﷺ تسيح في البوادي تبلغ الأعراب كلمة الإسلام، وتبشر به، ولم يكن ثمة انتظار ورودهم إلى المدينة، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ قَالَ صَدَقَ قَالَ فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ قَالَ اللهُ قَالَ فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ قَالَ اللهُ قَالَ فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ قَالَ اللهُ قَالَ فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ آللهُ أَرْسَلَكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا قَالَ صَدَقَ قَالَ فَبِالَّذِي

أَرْسَلَكَ آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا قَالَ صَدَقَ قَالَ فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا قَالَ صَدَقَ قَالَ فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ صَدَقَ قَالَ ثُمَّ وَلَّى قَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ ".(١).

كيف كان قد بدأ سؤاله: " فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَّ أَرْسَلَكَ ؟". أتاهم رسوله داعيًا، وكذلك الناس تُؤتى، ومن انتظر أن يأتيه الناس فليس بداعية، ولو فصَلت كلمة هذا الأعرابي، لتبين لك كيف فارق هذا الصحابي الداعية المدينة لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم لقوم هذا، وكيف فارق أهله وبيته وأولاده، وكيف اجتاز المفاوز وصحراء من بعد صحراء، وكيف تعرض للمخاطر والحر أو البرد، ليبلغ دعوة الإسلام..*وليس القعود ولا لزوم البيوت*!!! .

وقد التقيت بالشيخ فاروق(٢) في مركز الدعوة بمدينة الحجاج بعمان الأردن عام ١٩٨٦م، فسمعته في إحدى بياناته يقول: كنت في أمريكا فقال

---

(١) صحيح مسلم » كتاب الإيمان » بَاب السُّؤَالِ عَنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ_ رقم الحديث:[١٢].

(٢) من علماء الدعوة والتبليغ _ من مدينة كراتشي بالباكستان.

لي رجل : ماذا تريد من الناس ؟ أنت تريد الإسلام ؟ اجلس في محلك.. عزة ضروري.. الناس تأتي إليك لتتعلم الدين. **قلت له: جزاك الله خيراً، ما الدليل؟.**

فقال: العطشان يأتي إلى البئر، والبئر لا يأتي إلى العطشان.

فقلت: ما شاء الله ! صدقت، يا حبيب لماذا جعلت نفسك بئراً ؟ اجعل نفسك سحاباً ... فالسحاب يذهب ويمطر.. والبئر إذا لم يشرب منه الناس، يتغير لونه ورائحته **(فكن سحابا، ولا تكن بئرا).**

وعندما تجولنا قال آخر: يا شيخ ! أنا أعرف كل شيء، اذهب إلى الجيران.

قلت: يا حبيب ! لماذا المطر ينزل على البحر ؟ فهل البحر محتاج إلى المطر ؟!.

قال رجل آخر: لا تذهبوا إلى هذه الحارة، فهناك الناس لا يسمعون كلامكم ؟.

قلت يا شيخ: لماذا ينزل المطر على الجبل، فهل الجبل محتاج المطر ؟! .

فالمطر ينزل بأمر الله على البحر وعلى الجبل.. وفى كل مكان، ولذلك الله ﷻ قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾(١)، وما قال: (سَوَاءٌ عَلَيْك) فعليك سواء سمعوا، أم لم يسمعوا

---

(١) سورة البقرة – الآية ٦.

أن تدعوهم وتبلغهم.أ.هـ.

فعند توفر داعي الخروج - فمن شِيَمِ الكرام ألا يظلوا جالسين على شهواتهم.

لاسيما ونحن نطلب خيري الدنيا والآخرة معاً، وقد فهم هذا الأمر كل تاجر وصانعٍ وعاملٍ يسعى على رزقه ورزق عياله بالبواكير، فخرج طالباً المعاش ليصل إلى سُترة نفسه أو ليبني المجد الدنيوي الذي يريد، وما كان لقاعدٍ في البيت أن ينال ما يشتهي أبداً، هذا بالنسبة لمعاش الدنيا وطلب رزقها، فكيف يا ترى نحلم بتحقيق نهضة لأمتنا، وانتشار لديننا، وتعظيم لأمر ربنا في العالمين، ومحاربة لمن ظلمنا وطغى وبغى علينا؛ ونحن لا نزال أحلاسَ بيوتنا لا نغادرها ولا نتحرك مع المتحركين، بل ونؤثر الدعة والسكون والقعود مع القاعدين.

إن الخروج في سبيل الله تعالى عبادة جليلة تحتاج منا إلى تحضير النوايا الكريمة بين يدي كل خرْجَةٍ نخرجها من بيوتنا، فمِنْ خروج إلى صلة الأرحام إلى خروج في إصلاح ذات البَيْن إلى خروج في السعي على الأرملة والمسكين، إلى خروج للدعوة إلى الله تعالى والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح المجتمع ومحاربة المجرمين، إنه الخروج العظيم المقبول؛ نخرج من البيوت لأجل الله، ونخرج عن صمتنا لأجل الله، ونخرج من صوامع عبادتنا لأجل الله، وما أجمل خروج زكريا عليه السلام لأجل الله تعالى، فها هو ذا يترك

محرابه ويخرج داعياً قومه إلى تعظيم الله تعالى: (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً) (١)، إنه الخروج الذي يرضي رب البرية لا كمثل خروج قارون يوم خرج متكبراً متعالياً: (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) (٢)، والفصل بين خروج وخروج هو النية، لأجل ذلك يُحذِّر الله تعالى كل خارج من أن يكون خروجه لغير مرضاة الله تعالى فيقول سبحانه: (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِّ وَاللهُّ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) (٣)، ذلك أنه ليس كل خارج من بيته يقصد وجه ربه بالضرورة، وهذا أيضاً هو حال المنافقين الذين جعل الله تعالى الخير كله في عدم خروجهم في صفوف المجاهدين فقال تعالى: (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُّ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (٤).

إن الخروج في سبيل الله تعالى لأجل الجهاد والقتال، أو لأجل طلب العلم، أو لأجل الدعوة والإصلاح أو لنصرة المستضعفين وغيرها من المعاني الجليلة، سواء أكان ذلك الخروج فردياً أو جماعياً في مسيرة أو غير

---

(١) سورة مريم – الآية ١١ .
(٢) سورة القصص – الآية ٧٩ .
(٣) سورة الأنفال – الآية ٤٧ .
(٤) سورة التوبة – الآية ٤٧.

ذلك يُعدُّ هجرة في سبيل الله تعالى، والهجرة لها عند الله تعالى منازل الجهاد الكريمة، ولن يجد خير هذا الخروج ولذَّته وبركته على حقيقته إلا من جاءته المنيَّة وهو في طريقه إلى الله تعالى لا يتأخر ولا يتردد، قال تعالى: (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) (١) .

إنه إلهام وأيُّ إلهامٍ من الله تعالى أن يُحرك في نفسك داعي الخروج، فتخرج عن حالة الدعة والسكون التي تعشقها، وتتحرك في ساعاتِ وأيام عطلتك وراحتك من أجل الله تعالى، فهو توفيق من الله ليكرمك سبحانه بحسن استجابتك وخروجك لأجله، قال تعالى: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) (٢).

ومن مشى في حاجة الناس مشى الله في حاجته، والمشي من دلائل الخروج.

((كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُها)) ؛ فمن الناس من يخرج لله تعالى، ومنهم من يخرج لسواه، نطلب من الله تعالى أن يوجِّه نوايانا

---

(١) سورة النساء – الآية ١٠٠ .

(٢) سورة الأنفال – الآية ٥ .

ليكون كل خروج لنا في سبيل الله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً) (١).

لقد أكرم الله تعالى جماعات من الناس فخرجتْ في سبيل الله إلى أصقاع الدنيا لأجل الدعوة والنصيحة فطوبى لهم، وخرج قوم في سبيل الله لأجل الجهاد فأرغموا أعداء الله تعالى في كل مكان فالبشرى لهم، كما خرج من خرج في طلب علم ورزق فبورك لهم، وكل ذلك يحتاج إلى تأكيد العزم والنية، والصبر والمصابرة والرباط على الخير حتى تتم المهمة؛ لأن قوماً خرجوا لأجل الخير وما لبثوا أن عادوا إلى ديارهم دون أن يحققوا أدنى المطالب والغايات، فكأني بهم يحاكون صورة الذي يفرُّ يوم الزحف فأولى لهم أن يثبتوا على أمر خرجوا من أجله، وأن لا يعودوا إلا بتحقيق الغايات السامية، ولاشك أن لكل خروج ناجح عدته التي لابد من أخذها وتحضيرها بين يدي التفكير بالخروج في سبيل الله تعالى وإلا وقع ما نُحذِّرُ منه من النكوص والتخلف والفرار، والله تعالى يقول: (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ) (٢).

---

(١) سورة الإسراء – الآية ٨٠ .

(٢) سورة التوبة – الآية ٤٦.

وإنني أخشى على نفسي وإخواني إن نحن تأخرنا عن تلبية النداء للخروج – وقد حان وقته ودقَّتْ طبوله، وارتفع نداؤه وأذانه – أن لا يُقبل لنا خروج نَهُمُّ به ونطلبه بعد ذلك، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ (١).

وحسب أمة محمد ﷺ أن تعلم وهي خير أمة أخرجت للناس أن وسام الخيرية هذا لخير أمة أُخرجتْ لم يحصل لها إلا بعد أن خَرَجَتْ، أي خرجت عن إثم القعود، وتحركت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقارعة الظالمين والغاصبين، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ (٢)، فهلا كان منا الحرص والرباط على عبادة الخروج في سبيل الله تعالى؟!!.

(١) سورة التوبة – الآية ٨٣ .

(٢) سورة آل عمران – الآية ١١٠ .

السؤال الثامن

س: ما هي مكانة الداعي عند الله تعالى؟.

ج: الداعي إلى الله له مكانة عظيمة جداً:

فقوله في الدعوة إلى الله أحسن الأقوال في ميزان الله وهو أصدق الموازين، فقد تلا الحسن : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِّ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (١) ، فَقَالَ : " هَذَا حَبِيبُ اللهِّ ، هَذَا وَلِيُّ اللهِّ، هَذَا صَفْوَةُ اللهِّ ، هَذَا خِيرَةُ اللهِّ ، هَذَا أَحَبُّ أَهْلِ الأَرْضِ إِلَى اللهِّ، أَجَابَ اللهِّ فِي دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ اللهِّ فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ، وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ، وَقَالَ : إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَذَا خَلِيفَةُ اللهِّ (٢).

وهذه الآية عامة فيمن دعا إلى الله وهو في نفسه مهتد يعمل الخير ويؤدي الفرائض ويجتنب المحارم.

إن كلمته في الدعوة إلى الله – لا سيما عند الجحود وشيوع التمرد على الله – هي أحسن كلمة تقال في الأرض وصاحبها بهذه الصفة من الصلاح في نفسه مع استسلامه لله رب العالمين.

---

(١) سورة التوبة – الآية ٤٦.

(٢) تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني ـ رقم الحديث: ٢٦٣١.

أما أجر الداعي إلى الله فأجر عظيم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : " مَنْ دَعَا إِلَى هُدى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً " أخرجه مسلم (١).

وعن أَبي أُمَامَة ﷺ : أَنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ : ((فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ)) ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ : ((إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيْرَ)) . رواه الترمذي ، وقال: ((حديث حسن)) (٢).

وعن سهل بن سعد ﷺ : أَنَّ رسولَ الله ﷺ ، قَالَ لِعَلِيٍّ ﷺ : ((فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)) . متفقٌ عَلَيْهِ . (٣).

وفي الآخرة يكون جليس الرحمن، وجليس الملائكة، وجليس الأنبياء والمرسلين في جنة الفردوس: قَالَ قَتَادَةُ: (فِي قَوْلُهُ تَعَالَى): ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) رياض الصالحين ـ كتَابُ العِلم ـ باب فضل العلم تعلماً وتعليماً لله (١٣٨٢).

(٢) المرجع السابق (١٣٨٧).

(٣) المرجع السابق ـ باب في الدلالة عَلَى خير والدعاء إِلَى هدى أَوْ ضلالة (١٧٥).

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) قال: الْفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَعْلَاهَا وَأَفْضَلُهَا وَأَرْفَعُهَا.

وَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ : الْفِرْدَوْسُ سُرَّةُ الْجَنَّةِ .

وَقَالَ كَعْبٌ : لَيْسَ فِي الْجِنَانِ جَنَّةٌ أَعْلَى مِنْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ ؛ فِيهَا الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ .

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُبَشِّرَ النَّاسَ ؟ قَالَ : إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ - تَعَالَى - فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أُرَاهُ قَالَ - وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ (١).

وَعَنْ كَعْبٍ : لَيْسَ فِي الْجِنَانِ أَعْلَى مِنْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ ، وَفِيهَا الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ (٢).فهل عرفتم مكانة الداعي؟.

فهل نويتم القيام بالوظيفة؟ نيابة النبي، وخلافة الله في أرضه.

سارعوا، وسابقوا، واستبقوا، ولا تقعدوا عن مهمتكم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن» تفسير سورة الكهف» للقرطبي.

(٢) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب» سورة الكهف» قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا.

السؤال التاسع

س: هل صحيح ما يقوله بعض الناس أن أهل التبليغ والدعوة لا ينهون عن المنكر، ولا يأمرون بالمعروف ؟.

ج : المتأمل في بعض الكتابات التي كتبت لتشكك في هذا العمل؛ يجد كثيرا منها لم تبُنَ على أساس علمي أو منهجي من الدراسة ، ولكن تعتمد على الظن والنقل غير الموثوق والحكم بظاهر من القول على هذه الدعوة بالبدعية والضلال دون تحقيق ولا تمحيص، ولمجرد ما يُشاع عن الجماعة، أو ما شوهد من بعض أفعال وأقوال بعض الرجال الجدد الذين خرجوا مع هذه الجماعة أو صحبوها لوقت قصير، ولم يتمكنوا من فهم أصول هذا العمل .

علماً بأنه قد صحب الجماعة بعض من أهل العلم وطلبته وقتاً طويلاً، ولم يَرَ مخالفة واحدة ممن خرج معهم، ولم يَدْعُهُ أحد إلى بدعة أو مخالفة، كما يذكر ذلك بنفسه أكثر من ثماني سنوات، إلاّ ما كان من أخطاء بعض الجدد كما ذكرنا.

وحين نُقلت إليه بعض الأقاويل، اعتمد قول من قال بتبديع الجماعة.

وآخر لا يعلم عن الجماعة شيئاً يكتب ويقول: "إني لم أدرس الجماعة ولا أرغب في ذلك" ومع ذلك أجاز لنفسه أن ينصب نفسه قاضياً يحكم على سلوك وصفات الجماعة بغير علم ولا دراسة.

أليس من الظلم ومن كبير المقت أن نقول على الناس شيئاً لا علم لنا به، ولم نصحب الجماعة؟ ونصف حالهم العقديّ أو نرميهم بالبدعة؟ أو أن نرى من يصحبهم ردحاً من الزمن ولا يجد عندهم إلا الخير والسنة، ثم يحكم عليهم بقول قائل وينسى صحبته لهم؟!.

أيها الأحبة! لا بد من العلم والتواضع، ولا بد من التأني والإنصاف كي نفهم دعوتنا، وليس هناك أسرارٌ في عملنا ولا دعوتنا، فنحن نظهرها جلية كما فعل الأولون نفهم، وليس لدينا باطنية نخفيها عن الناس.

نحن ندعو إلى الله عز وجل بالحكمة ولين الجانب والصبر على الأذى.

ونحن نخرج في سبيل الله ونزور الناس في بيوتهم وأنديتهم ليس بيننا وبينهم سابق معرفة ولا علاقة ولا نعرف عن أحوالهم شيئاً، ولكنا نعرض دعوتنا من غير أن نسأل عن ماضيهم، وذلك بسبب انتشار الجهل في كثير من الأمور الشرعية والعقائدية بين الناس ... وحين ندخل إلى بيوت هؤلاء نغض أبصارنا عن الحلال والحرام، ثم نتحدث مع هؤلاء الناس عن عظمة الله تعالى وتضحية الأنبياء صلوات الله عليهم، وتضحيات

الصحابة الكرام رضي الله عنهم ونجتهد على إخراجه من بيئة الغفلة والشهوات والزينات المحبوبة في قلبه إلى بيئة الإيمان والرحمة.

إن هذه الزيارة القصيرة والتي لا يزيد وقتها عن عشر دقائق لا يتسع المقام أن نشرح فيها عقائد السلف وبيان أصول الحديث، وإنما يكفي فيها الكلام عن آية أو سورة قصيرة، كسورة العصر مثلاً في بيان الخسران لمن لم يلتزم العمل الصالح والإيمان والتواصي بالحق والصبر.

هذه الزيارة تتحقق فيها الصفات المذكورة في السورة لنا ولهم إن أراد الله به خيراً، فإن خرج معنا إلى المسجد لأداء صلاة تحقق لنا العمل الصالح بزيارته، وتحقق له العمل الصالح بخروجه إلى المسجد، وبهذا عندما يجلس لحضور الصلاة ولسماع درس في الإيمان فإنه يميل قلبه بإذن الله إلى الطاعة.

إن من حكمة الدعوة إذا رأينا في بيته شيئاً من المنكرات كالزخارف والصور - وفي بعض الأوقات التماثيل - فإننا نسكت عنها منكرين ذلك بقلوبنا، وليس إقراراً منا على وجودها وليس تعظيماً له ولكنها حتى الآن هي محبوبة من محبوبات حياته، وعظيمة في قلبه، كيف لا ؟ وبجهله بحرمتها بذل من أجلها الوقت والمال وفرح بإحضارها من مكان كذا، ويفاخر بها أقرانه من الناس إن علم أنه لا يوجد مثلها في بيوتهم، وفي لحظة ما دخل إلى بيته هؤلاء المشايخ الذين ربما لا يملكون ثمن قطعة القماش

التي تُمسح بها هذه الصور أو اللوحات أو التماثيل، فيقول هذا الشيخ للمزور: ألا تعلم أن هذه الأصنام والتماثيل محرمّة؟ ولا يجوز لمسلم أن يضعها في بيته، وهذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإني آمرك أن تحطم هذا الصنم وتخرجه من بيتك الآن وأن تتق الله أيها الظالم المعتدي على حرمات الله كيف تدخل الجنة وهذه الأشياء معظمة في قلبك ونفسك؟ ترى ماذا سيقول الرجل؟ هل سيقول: سامحوني والله لم أكن أعلم، أرجوكم إحملوها وحطّموها بأنفسكم!! وأنا سأقول: { وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا }(١) أم أنه سوف يبدأ باللعن والسباب والشتائم، وتخيل أنت ما سيصيب الدين وأهل الدين وأصحاب اللحى من الطرد من البيت وزيادة عصيان الرجل.

بالله عليك يا أخي كن منصفاً أي الطريقين أحق أن يتبع؟ لذلك نحن نُرغب ونُرهّب بالحكمة وإذا كان الحديث عن تحطيم الأصنام في درس عام أمام الناس بمن فيهم هذا الذي أكرمه الله بالمجيء إلى المسجد فذلك خير، فأصنام قوم إبراهيم عليه السلام حُطّمت في مجامعهم، ولكن إبراهيم عليه السلام لم يحطم الأصنام التي كانت تُصنع في بيت أبيه، ولم يخاطب أباه بالقسوة والجفوة بل كان يقول له: { يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ

(١) سورة الإسراء _ الآية ٨١ .

يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا } (١).

ولما لم يستجب له أبوه ماذا قال له: { قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا } (٢)

والآن بدأ إبراهيم مرحلة جديدة:{ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا } (٣) وبدا لإبراهيم عليه السلام أنه لابد من الحرب على هذه الأصنام :{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ } (٤) وبدأت المجادلة والمحاجّة وبيان عظمة الله وتصغير هذه الأصنام وتصغير الشمس والقمر والنجوم وقصّة تحطيم الأصنام.

حقّق إبراهيم عليه السلام توحيد الإلوهية والربوبية والصفات تحقيقاً كاملاً في أفعاله أمام أبيه وقومه وآلهتهم. بالصبر على الأذى الذي هو قادم.

الذي تخرجه من أصنامه ومحبوباته وتسمعه مع بقية الناس هذا الكلام ومثله، فإنه يرجع إلى بيته متفكراً تتصارع في نفسه محبة الله عز وجل ومحبة

---

(١) سورة مريم _ الآيتان ٤٣، ٤٤ .

(٢) سورة مريم _ الآية ٤٧.

(٣) سورة مريم _ الآية ٤٨ .

(٤) سورة الأنعام _ الآية ٧٤ .

الأشياء ... فإن أراد الله به خيراً وفّقه إليه كما حدث لكثير من الناس ممن عرفت.

فإني رأيت من الناس أصحاب حانات ومتنزهات كانت مقراً للفساد وتجارة الخمور ونشر الأخلاق الدنيئة، فلما زارتهم الجماعات وسمعوا كلام الله ورسوله تركوا هذه الأعمال وباعوا هذه المحلات بأزهد الثمن ورجعوا إلى الله دعاة إليه.

فإن أحببت أخي أن تسمع وترى أناس قد منّ الله عليهم بسبب زيارة أصبحوا أهل عقيدة حسنة ونبذوا أصنامهم ومحبوباتهم نادمين على ما فاتهم فما عليك أخي إلا أن تحضر إلى أحد مراكز الدعوة وتسأل أي شخص تقابله كيف اهتدى؟ وكيف كان وكيف أصبح؟

نحن نطرق أبواب الناس عامة، وندعو إلى الله ولكن قبل أن ندعوهم هل يجب أن نسألهم ... إن كانوا أشاعرة أم ما تريديه أم جهمية أم كانوا على عقيدة السلف أم حلولية أو اتحادية وما إلى ذلك؟؟ فإن هذه الزيارة ليس فيها متسع لذلك ... ولا يصح أن يكون... ولم نجد على الأبواب إعلاناً من أهله أنهم أصحاب عقيدة سلفية أو أشعريه فتأمرهم بترك الضلال والعودة إلى الفضيلة. ولكن إذا حصل خلال زيارتنا أن تقابلنا بمن يعلن عن عقيدة تخالف عقيدة السلف الصالح وما نحن عليه؛ فإن ذلك يكون يوماً يُعلن فيه أن أصحاب

هذا العمل: عظيمٌ عندهم التوحيد ... عاليةٌ عندهم كلمتُه، يُبيّنون عظمة الله، ويحاجّون أهل الباطل فرادى وجماعات.

وإن جاء الوقت والتقينا بأحدهم - كنت أخي حاضراً - فسوف نتحاور وتشهد بنفسك أنصار الحق من أنصار الباطل.

فأهل الحق يبحثون عما يجمع الصفوف ويوحّد الكلمة والفكر والعقيدة دون أن يكون هناك مساس بأصل الاعتقاد ... ولن نسمح لأحد أن ينشر عقيدةً فاسدةً بين صفوف الدعاة، وإن كان من أكابر المشايخ، ولكن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها.

ونحن كذلك نعمل في المساجد في أنحاء العالم ونرى من يناقش ويجادل ... ونجد من يدعو إلى ضلاله فنحن معه أحد اثنين: إما ذو علم بمنهجه فنحاوره ليظهر الحق بإذن الله أو على جهل بمعتقده ولا طاقة لنا بمحاجّته فأتركه ناصحاً له بما أعلم ولا أخوض بما ليس لي به علم. (١)

وأسوق لك أقوال العلماء الربانيين في هذا الشأن:

۞ **يقول الشيخ أبو بكر جابر الجزائري**(رحمه الله): يقولون إن أهل التبليغ لا ينهون عن المنكر، ولا يأمرون بالمعروف على الوجه الصحيح،

---

(١) هذه دعوتنا للشيخ محمود عبد الكريم .

ونقول: إن منهج الجماعة وقد سبق بيانه ليس من مبادئه الإنكار على ذوي المنكر، وذلك لأمرين:

الأول: إن الإنكار في مجتمعات غلب عليها الجهل وسادها الفسق لا يجدي نفعاً، وهذا واقع لا ينكره ذو بصيرة بأحوال الناس.

والثاني: أنهم قد استعاضوا عن الإنكار بالقول تهجير فاعل المنكر بالخروج به بعيداً عن بيئته ووضعه بين يدي مربيين حكماء يعالجونه بالحال وطيب المقال، فلا يلبث حتى يترك المنكر وينكره، فهذا أجدى من كلمات يقولها المرء على منبر أو في حلقة درس والناس عنها غافلون.

وشيء آخر هو: هل المنكرون على جماعة التبليغ تركهم النهي عن المنكر قد نهوا هم عن المنكر؟ .

والجواب معلوم والواقع يشهد ونستغفر الله لنا ولهم في تركنا واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إن حال من عيب على التبليغ نهيهم عن المنكر وهو لا ينكر، ينطبق عليه قول القائل: لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم.أ. هـ.

۞ **وقد مر قول فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين** (رحمه الله): **ويقولون: لا يغيرون المنكر، نقول:** إنهم يغيرون المنكر بالتدريج، إذا صحبهم صاحب المنكر فيغير من نفسه وإن لم يجابهونه لا يقولون له لا تحلق

لحيتك، فإذا صحبهم تأثر بهم وتاب من حلق اللحية، لا يقولـون : اتـرك شرب الدخان، ولكن لما يصحبهم يتوب إلى الله ويترك شرب الدخان، ولا يقولـون إن ثيابـك طويلـة إن هـذا منكـر، ولكـن بصـحبتهم كـل صـاحب منكـر يـترك منكره.أ.هـ.

۞ ويقول الشيخ الداعية محمد إليـاس الكانـدهلوى (رحمه الله) في الرسالة التي أرسلها للملك عبد العزيز الأول سنة ١٣٥٧هـ ومقاصد أهل الدعوة تتمثل فيما يلي:

أولاً : إعلاء كلمة التوحيد، والتدبر في الأسرار المودعة في هذه الكلمة العلياء، حتى يظهر آثارها في جميع الأعمال والأحوال – ألا وهي كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) كلمة حق تسكن منها النفوس كيف: لا ؟ ألا بذكر الله تطمئن القلوب وأفضل الذكر لا إله إلا الله.

ثانياً: تحريض الناس على الصلاة وحثهم على أدائها بكل خضوع وخشوع وبمراعاة الآداب والشروط لأن الصلاة عماد الدين فمن أقامها أقام الدين ومن هدمها هدم الدين { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ }(١).

---

(١) سورة المؤمنون _ الآيات من ١: ٥ .

والصلاة مع أنها فريضة يجب القيام بها معراج المؤمن، ومظهر من المظاهر الإسلامية المقدسة التي تميزنا عن الغير، وكفى بالمؤمن فضلاً أن يقوم بين يدي جلال ربه معترفاً عظمته وفضله في كل حين وآن.

ثالثاً: الإكثار من تلاوة القرآن بتدبر وفهم على قدر الاستطاعة كلما سنحت الفرصة، لأنه مصدر للهداية ومنزل من الله تعالى لتعميم الخير وإرشاد البشر في سائر أنحاء المعمورة لكل زمان في كل مكان، فتلاوته مع الفهم لمعانيه والاعتبار لغاياته، سعادة للمرء وفوز كبير .

رابعا: أن يتمسك كل شخص بالأمور السالفة ويصرف جزءاً من وقته في إرشاد العامة وهدايتهم قولاً وعملاً بموجبها، وحملهم على نشر مبادئ الدين الحنيف وردعهم من إتباع الأهواء الموقعة في مهالك البدع، والسعي الحثيث في تطهير النفوس من جراثيم الكفر والشرك، وإبلاغ أوامر الله نواهيه وقد أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله: { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } (١) وقال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (٢).

---

(١) سورة آل عمران _ الآية ١١٠ .

(٢) سورة التوبة _ الآيات من ٧١.

فأوجب سبحانه وتعالى على الأمة المحمدية أن تأمر الناس بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، فإن في إقامة ذلك الركن وحدتها وقوتها في إضاعته انحطاطها الدائم وشقائها المستمر، فهو الذي يحفظ الأمة ويقيها غائلة التفرق وشؤم الانحلال.. أ. هـ.

والشيخ محمد يوسف ابن الشيخ محمد إلياس- رحمه الله - قال في كتابه حياة الصحابة: " اتباع السنة واقتداء السلف والإنكار على البدعة " وعنون كذلك (الإنكار على من تشبه بالكفرة في النكاح) .

۞ **ويقول الشيخ محمد إنعام الحسن (رحمه الله):** الآن نحن نسمي النكاح فريضة أو سنة وكم نجعل فيه من الإسراف والمنكرات ؟، فبدل أن تأتي البركة يأتي الشر والبلاء.

وورد في كتاب (بصائر الدعوة وفهمها وإدراكها) للكاتب الفاضل الشيخ محمد شاهد السنهافوري (١) ص_ ١٧٢ من الكتاب، نقلا عن الشيخ (شبير أحمد) بتصرف يسير قال: تحدث سماحه الشيخ محمد إنعام الحسن رحمه الله تعالى بكلام وجيز أمام مجمع كبير من العلماء يبلغ عددهم مائة عالم في ميدان اسكندر أباد (حيدر أباد) وكان الصمت مخيم على الجميع فقطعت السكوت (أي شبير أحمد) وقلت حضرة جي (لقب الشيخ إنعام)

---

(١) كاتب الشيخ وهو صهر الشيخ انعام الحسن وزوج ابنته.

يقول بعض الأخوة إن في جماعتنا يوجد الأمر بالمعروف فقط ، ولا يوجد النهي عن المنكر مع إن النص القرآني يذكرهما معاً !!.

قال الشيخ: انظروا ما المقصود ؟ هل المقصود إظهار المنكر أو المقصود إزالة المنكر؟ فقلت: (أي السائل) إن المقصود إزالة المنكر ، فقال الشيخ إنعام: انظروا للذين هم في الجماعة كم من منكرات زالت من حياتهم على ما كانت فيهم من ذي قبل ؟؟ (أي قبل خروجهم للدعوة والتبليغ) قال شبير : وهنا تأثر العلماء الحاضرون في ذلك المجلس أثراً طيباً لهذا الكلام، وصارحوا السائل فيما بعد (١) .

أي أعجب العلماء برد الشيخ الموجز والدقيق لتبديد ذلك الإشكال عند البعض، (أقول وهم يعلمون سلفا مدى زوال المنكرات من حياه دعاه التبليغ مما كانوا عليه من ذي قبل انتظامهم في الجماعة والخروج في سبيل الله) .

وقال الشيخ إنعام (رحمه الله): وفي نفس المصدر السابق ما معناه: لكي نزيل المنكرات من الفرد المسلم أولا: نحاول نعطي الرجل ونؤلف قلبه حتى تتحكم الصلة بيننا وبينه ثم نلفت نظره عن تلك المنكرات التي في حياته ، وهنا تكون النتائج عظيمة وقبلها على الفور ويتخلى عن تلك المنكرات) المصدر السابق بتصرف يسير .

---

(١) انتهى الاقتباس.

وفي ص ١٧٣ من المصدر السابق ردا على رسالة طويله في المنكرات والسيئات وكيف يتم إزالتها عن الناس أرسلت له من أحد العاملين في الدعوة، وبعد أن أخذت منه تلك الرسالة الاهتمام والتفكير، أملى على الشيخ محمد شاهد (مؤلف الكتاب) الرد على الرسالة بهذا الكلام الوجيز، ما معناه: إننا نسعى عن طريق هذا العمل (الخروج في سبيل الله) الإتيان بالخير في الأمة أولا ، لأن الإتيان بالخير يحتاج منا لجهود عديدة ومجاهدات كي يأتي هذا الخير في الناس، ومتى أتى فيهم فعل الخيرات فمثله مثل النور والضوء متى أشعل فتيله تبدد الظلام وزال ولسنا في حاجة لجهود لإزالة ذلك الظلام بحكم طبية الأشياء لذا ورد في القرآن (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ) (١) .

ويقول الشيخ محمد إنعام الحسن- رحمه الله - في رسالته التي أرسلها **للشيخ سعد الدين الحصين** : إن هذه الدعوة ليست إلا للعودة بالأمة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وطريقة السلف الصالح وهو صراط المستقيم .

وقد نفع الله بهذه الدعوة.. والحمد لله.. خلائق لا يحصون في جميع أنحاء العالم وعادوا من الشرك والضلال والبدع والخرافات إلى عقيدة التوحيد النقية، وتاب كثيرٌ منهم من الإلحاد و الزندقة.. ومن شرب

---

(١) سورة هود _ الآية ١١٢.

الخمور وتعاطي الربا وارتكاب شتّى المعاصي، ورجعوا إلى المساجد يعبدون ربهم وينيبون إليه متمسكين بهدي المصطفى ﷺ ملتزمين بسنته الطاهرة كما لا يخفى عليكم .

كذلك لا ننكر أن كثيراً من الناس والشباب المنحرفين، تابوا من المعاصي وعادوا إلى الصراط المستقيم، بقي فيهم بعض آثار الانحرافات السابقة، وهم بحاجة إلى تثقيف ووعي إسلامي أعمق، فهذه الانحرافات لا ينبغي أن تنسب إلى الدعوة .. فإننا أحياناً نضطر لغض النظر عنها للظروف القاهرة.. بل يحتاج هذا إلى المشاركة من أمثالكم في هذا العمل الجليل لتثقيفهم وتربيتهم(١).

۞ **ويقول الشيخ محمد عمر البالمبوري** – رحمه الله –: لا نعتمد على غير الله ولا نرجو غير الله ولا نستغيث إلا بالله ولا نستعين إلا بالله".

ويقول في مناسبة أخرى: " الله عز وجل علم نبيه أن يركز على الإيمان واليقين الصحيح وبضدها تتبين الأشياء، التوحيد ضد الشرك ، نصرف أنفسنا لله ولا نتوجه لغير الله سواء صنم يعبد أو قبر يزار بل كل هذا شرك.

۞ **ويقول الشيخ أحمد اللات** – رحمه الله –(٢): عندما الصحابة خرجوا للدين وتحملوا الشدائد، الله نصرهم نصرات غيبية، والآن انتشر الشرك

---

(١) الكلام البليغ في تأييد أهل الدعوة والتبليغ للمؤلف.

(٢) من علماء الدعوة بنظام الدين بدلهي الهند.

والبدع مثل أيام الجاهلية وكذلك فقد الأمن وفقد العدل والإنصاف، ولا يوجد العدل إلا في الأوراق والكتب هكذا أبطلت الأخلاق وعاد الناس إلى الجاهلية، الخمر والزنا والسرقة.

وبعد هذه النقول عن مشايخ أهل الدعوة والتبليغ فهل يظن ظان أن مشايخ التبليغ يقولون أن النهي عن المنكر فضول من الكلام أو خوضاً أو طيشاً ؟؟؟.

والذي عنده أدنى فقه يجد أن الأمر بالمعروف يحمل في طياته النهي عن المنكر، فمثلا: الذي ترك الصلاة فقد ارتكب أكبر منكر، فلو أنك لم تبين له عقوبة تارك الصلاة، ولكن رغبته في الصلاة بعد أن بينت له عظمة الله وكبريائه وإحسانه وبره وعطفه وكرمه ونعمه، واحتياجنا إلي الوقوف بين يديه، فرغب في الصلاة وتمسك، أليس بهذا المعروف الذي تكلمت معه فيه، نهيته عن المنكر، بل أخرجت من حياته المنكر؟.أ.هـ.

ملاحظات هامة :

من يريد معرفة مدى عمل جماعة التبليغ في النهي عن المنكرات التي توغلت في مجتمعاتنا الإسلامية، فلينظر بعين الإنصاف مدى زوال المنكرات في رجال التبليغ أولا وما يقومون به في إزالتها من غيرهم ثانيا، وهذا أمر لا يستطيع أحد نكرانه، وكيف استطاعوا بعون الله، التحول الكامل أو الجزئي أو النسبي من حياه المنكرات الى حياه الطاعات والتقرب

لله عز وجل نسال الله لهم الثبات حتى لو خرج رجل صالح معهم ابتداء تحول لان يكون مصلحا لغيره بعد أن كان خامدا عابدا راكدا غير حاملا للخير لغيره.

من يريد معرفة مدى عملهم بالآية التي بها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيلحظ الحارات والقرى وإحياء المدن وبيوت ومنازل التي بها جهود أهل التبليغ والدعوة، كيف كانت وكيف صارت؟.

والمنكرات ظلام دامس تسلل لحياه المسلم في بيته وحارته وقريته ومجتمعه، كلما خبت نور الدعوة والتبليغ والأعمال والجهود لذلك والبذل والتضحية، والعكس صحيح من أوقد ثقاب كبريت في غرفة مظلمة عرف أين يضع رجله بها ، فان أشعل الفانوس الضوئي تبدد الظلام أكثر ، ومن أشعل المصابيح الكهربائية زال الظلام وان طلعت الشمس زال الليل كله أمام أشعتها المباشرة والغير مباشرة ، فالحسنات يذهبن السيئات.

والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولكن بتحفظ دقيق (حقيقة الصلاة ذات الخشوع والخضوع) وليس صورة الصلاة دون أن تحمل حقيقة .

فإن لم يعرف المرء ولا أهل الحارة ولا أهل القرية رجال ونساء طريق الصلاة فكم من فواحش في حياتهم وكم من منكرات في معاشهم.

وحتى الأمر بالمعروف الذي يعترف كثير من الناس لأهل التبليغ والدعوة بأنهم يقوموا بها خير القيام، حتى المعارضين يقرون لهم بذلك.

وكم من وقائع في اقتلاع جذور الفساد والمنكرات في حياه الفرد والجماعة من قبل أهل الدعوة والتبليغ، تعجز الأقوال والأقلام عن رصدها وحصرها .

مع ذلك وللإنصاف والحق ليس كل من خرج مع جماعة التبليغ، نال الحصانة والبراءة ولن يقع منه خطأ وذنب ومنكر مستقبلا ، فليست العصمة لأحد من خلق الله سوى الأنبياء وحدهم،، فكم من مرة (تعود حليمة لعادتها القديمة) من جدد وقدماء، فلا يؤمن على الأحياء من الفتنة، والشياطين من الإنس والجان تواصل دعوتها ليلا ونهارا، على طرق من يسلك الصراط المستقيم والنهج القويم، والتوفيق بيد الله وحده.

كان من التجار هذا الرجل، وكان بحمد الله لا يترك الصلاة في المسجد ، ومحافظا على الصوم وحج بيت الله الحرام ، شاهدته مرارا يغلق الدكان عند سماعه الأذان في الظهر والعصر والمغرب والعشاء، والفجر يصلي في المسجد المجاور لبيته، وهو مسجد لأهل ألسنه والجماعة، ويسمع خطبتي الجمعة بانتظام فيه.

ويعرف الحلال والحرام، ويعلم إن الربا من الكبائر وكم سمع من محاضرات وخطب في ذلك، ولكنه للأسف مع كل ذلك يضع أمواله في بنوك ربوية طمعا في أرباحها، ويقترض أمولا بأرباح ربوية لعقد صفقات

مربحه، ولم يستطع الكف عن ذلك، مع ان حالته المالية ميسورة لا حاجة ضرورية تلجئه لفعل تلك المصيبة بل الكبيرة من الكبائر كما هو معلوم، ولم نكن نعرف تلك معاملته بالربا إلا بعد إقراره بها بعد ذلك.

يشاء القدر أن يجتمع في حفل غداء مع ثلاثة من مشايخ التبليغ، فما تركوه إلا وقد أخذوا جوازه وقيمة التذاكر وسافر معهم لحضور اجتماع بنجلاديش، ومن هنالك مدد المدة لأربعة أشهر،

ما هي إلا أيام معدودة إلا والاتصالات تنهال منه على ابنه إلا يتأخر بإيقاف جميع التعاملات الربوية وسحب كل المال من البنوك وتسديد ما عليه فورا دون تأخير، والابن غير مصدق من هذه التوجيهات الحازمة، ويرد عليه أنه سوف يفعل إن شاء الله، وتتكرر الاتصالات مرة بعد أخرى حتى شعر الابن أن الأمر ليس بالهزل ولم يكن بعاطفه سرعان ما ينتهي مفعولها، فافعل بتوجيهات الأب مباشرة.

بل هدد الأب أبنه يا وبله أن عاد وهنالك ريال واحد في البنك، والحمد الله استمر على ذلك المنوال بعيدا عن الربا محذرا منه معترفا لنا بمدى تعدية لحدود الله، وكرر الخروج أربعة أشهر مرة أخرى ولم يعد يتعامل بالربا حتى وفاته رحمه الله بعد سنيين عديدة ، وتجارة رابحة.

فكيف حول الله هذا قلب هذا الرجل من الجشع المحرم للحلال من التعامل في بضعة أسابيع وعجزت الخطب والمحاضرات سنين طويلة من ردعه عن فعل كبيرة من الكبائر رغم أن ظاهره الصلاح والتقوى بل كان يلقب بالحاج وهو يتعامل بالربا المحرم.

إنها حركة تحريك الإيمان في قلوب العباد بالخروج في بيئة الإيمان والصحوة من السبات العميق على فراش المعصية وحب الدنيا التي تعمي القلوب والأبصار وإن كان الظاهر الدين والتدين.

والحمد لله والشكر على هذه النعمة نعمه الحركة والتضحية لهذا الدين القويم وأن يحفظها الله من الزوال.

السؤال العاشر

س: **بعض الناس يقولون:** نحنُ نُصلي لماذا تأتون إلينا ؟ .

ج : يقول الشيخ مفتى زين العابدين (رحمه الله)[١] : فنحن نقول لهم: نحن لا ندعو الناس للصلاة التي نصليها نحن وأنتم، بل للصلاة – ذات الخشوع والخضوع – التي كان يصليها النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، والصحابة رضي الله عنهم أجمعين في البيت الحرام عند الكعبة، وفى المسجد النبوي .أ. هـ.

وإذا دعونا الناس لإقامة الصلاة، فنكون دعوناهم لأمر عظيم وركن عظيم في الدين، وليس ذلك فحسب، بل بعد الصلاة نجلس نتشاور معهم في كيفية إحياء الدين فينا وفي العالم كله إلي يوم القيامة.أ.هـ.

الناس يقولون : أنتم تقولون الكلمة الطيبة والصلاة فما الآثر ؟

ليس بمجرد الكلمة والصلاة باللفظ والحركات والصورة ليتحصل الإنسان على الفلاح مثل البندقية لو لم يوجد فيها الرصاص لا نستفيد منها.

---

(١) مفتي باكستان الأسبق ومن علماء الدعوة والتبليغ بالباكستان.

السؤال الحادي عشر

س : لِمَ قُدِّمَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ في قوله تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} مَعَ أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ مُقَدَّمًا عَلَى كُلِّ الطَّاعَاتِ ؟

ج : يقول الإمام الفخر الرازى: أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ أَمْرٌ مُشْتَرَكٌ فِيهِ بَيْنَ جَمِيعِ الْأُمَمِ الْمُحِقَّةِ ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى فَضَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ الْمُحِقَّةِ ، فَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْمُؤَثِّرُ فِي حُصُولِ هَذِهِ الْخَيْرِيَّةِ هُوَ الْإِيمَانُ الَّذِي هُوَ الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ الْكُلِّ ، بَلِ الْمُؤَثِّرُ فِي حُصُولِ هَذِهِ الزِّيَادَةِ هُوَ كَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَقْوَى حَالًا فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ ، فَإِذَنِ الْمُؤَثِّرُ فِي حُصُولِ هَذِهِ الْخَيْرِيَّةِ هُوَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ فَهُوَ شَرْطٌ لِتَأْثِيرِ هَذَا الْمُؤَثِّرِ فِي هَذَا الْحُكْمِ لِأَنَّهُ مَا لَمْ يُوجَدِ الْإِيمَانُ لَمْ يَصِرْ شَيْءٌ مِنَ الطَّاعَاتِ مُؤَثِّرًا فِي صِفَةِ الْخَيْرِيَّةِ ، فَثَبَتَ أَنَّ الْمُوجِبَ لِهَذِهِ الْخَيْرِيَّةِ هُوَ كَوْنُهُمْ آمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ نَاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَمَّا إِيمَانُهُمْ فَذَاكَ شَرْطُ التَّأْثِيرِ ، وَالْمُؤَثِّرُ أَلْصَقُ بِالْأَثَرِ مِنْ شَرْطِ التَّأْثِيرِ ، فَلِهَذَا السَّبَبِ قَدَّمَ اللهُ تَعَالَى ذِكْرَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى ذِكْرِ الْإِيمَانِ . (١).

---

(١) مفاتيح الغيب للرازى - ٤/ ٣٩٥.

ويقول الشيخ محمد متولي الشعراوي(مجيبا عن هذه المسألة): لأنه من الجائز أن يوجد إنسان له صفات الإنسانية ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصنع الخير ويقدم الصدقات ويقيم مؤسسات رعاية المحتاجين والعاجزين، سواء كانت صحية أو اقتصادية.. لكنه يفعل ذلك من زاوية نفسه الإنسانية لا من زاوية منهج الله ﷻ فيكون كل ما فعله حابطاً ولا يعترف له بشئ لأنه لم يفعل ذلك فى إطار الإيمان بالله فمن صنع خيراً من أمة الشهادة والإنسانية والجاه والمركز والسمعة فإنه ينال جزاءه ممن عمل له ومادام قد صنع ذلك من أجل أن يقال عنه ذلك فقد قيل كما فى الحديث الذى رواه الإمام مسلم: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ أَيُّهَا الشَّيْخُ حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :"إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ، قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ

تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا، قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ (١) (٢).

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن معنى قوله تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } هو أنكم ظهرتم كالأنبياء للناس .. بينما تجد الإشارة في قوله: (أُخْرِجَتْ) أن العمل لا يكتمل في مكان واحد، بل تُبذل الجهود بالذهاب إلي كل بيت ومكان، فعملكم هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما المراد بقوله تعالي: (وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ) بعد ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو: أن الحقائق الإيمانية تتقدم وتترقي بهذا العمل، إذ أن أصل الإيمان وحصوله مترسخة في القلوب يؤكد قوله تعالي: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} فالإيمان كان موجودا في الأمم السابقة .. ولكن سبب

---

(١) صحيح مسلم» كتاب الإمارة» بَاب مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ (١٩٠٥).

(٢) انظر تفسير الشعراوى فى تفسير الآية ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .. الآية ﴾ (سورة آل عمران – الآية ١١٠)

فضل هذه الأمة علي سائر الأمم ليس هو إلا: الأمربالمعروف والنهي عن المنكر، والذي هو أحسن الطرق لترسيخ حقائق الإيمان في القلوب .

ويشرح الأستاذ العلامة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى - *رحمه الله* - هذا القول إذ يقول فى كلمة تقديم كتاب (فضائل الدعوة إلى الخير والتبليغ لدين الله) - الذى أمر بترتيبه الشيخ / محمد إلياس للشيخ محمد زكريا : وقد فتحت هذه الآية الكريمة نافذة عظيمة منيرة كانت مسدودة فى معرفة طبائع الأمم، والإطلاع على ميزة هذه الأمة من بين شعوب العالم ، وأثارت علما دفينا وكنزا مطمورا ، وأحدثت انقلابا فى النظرة إلى هذه الأمة ، ومركزها، وقيمتها ، وهو أن ظهور هذه الأمة على منصة العالم، ومسرح التاريخ والأمم لم يكن مجرد ظهور مجموعة بشرية أو كتلة إنسانية، ولم تكن موجة من الموجات البشرية الكثيرة، ولا من فقاقيع الماء التى تظهر وتختفى، وتتكون وتنحدر ، إنه ليس خروجا كخروج سائر الأمم ، إنما هو إخراج تسيطر عليه الحكمة الإلهية ، وتمده إرادة الله القاهرة، وهو تعبير لم يستخدم إلا فى قضايا الأنبياء المكرمين، وعباد الله المرسلين، وإن كان يفسر بشىء فإنه يفسر بلفظ الإرسال والبعثة .

وقد جاء الحديث الصحيح يفسره ، إذ يقول (ﷺ) مخاطبا أصحابه: (...إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ...) [٢]، ولم يكن أحد أعرف من رسول الله (ﷺ) بخطر هذا التعبير وقيمته ن واختصاصه بالأنبياء والمرسلين ، وقد ورد فى القرآن فى شأن الأنبياء فى مواضع كثيرة يصعب استقصاؤها ، ولم يكن رسول الله (ﷺ) يتكلم جزافا ، ويرسل الكلام على عواهنه ، إنما كان يزن الكلام وزنا ، وقد كان كلامه فصلا لا فضول فيه ولا تقصير، ولا إطراء ولا مبالغة، بل يحتم قول الله سبحانه وتعالى مدى صدق أقوال نبيه إذ يقول :(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (١)، فكلامه إما أن يكون وحيا وإما أن يكون شرحا للوحى .

فإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على أن هذه الأمة حى مقصودة مهيأة ، مأمورة مبعوثة، وقد طاب لذلك وساغ لأحد رسل المسلمين(٢)، الذى اختاره الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص ليكون ترجمانا للإسلام والمسلمين أن يقول فى مجلس ملك الفرس : " إن اللهَّ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ

---

(٢) سنن أبي داود» كتاب الطهارة» باب الأرض يصيبها البول _ بَاب الْأَرْضِ يُصِيبُهَا الْبَوْلُ (٣٨٠).

(١) سورة النجم _ الآيتان ٣ ، ٤.

(٢) رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ.

شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهَّ وَحْدَهُ ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ "(١).

ولتحقيق هذا الأمر وكل الله سبحانه وتعالى هذه الأمة نيابة نبيها الخاتم فى تبليغ آخر الأديان ، وخاتمة الرسالات ، وهكذا ربط مصير الإنسانية بها ، وإلى ذلك يشير قول النبى (ﷺ) فى خطبته التى خطبها فى حجة الوداع :" لا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَلا أُمَّةَ بَعْدَكُمْ "(٢). .

ولذلك ساغ له أن يقول فى ساحة (بدر): اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ (٣).

فبقاء الإنسانية ببقاء هذه الأمة، وبقاء هذه الأمة ببقاء هذه الصفة الدعوية والمركز الإبلاغى، وبمحافظتها على فريضتها الأساسية، ونشاطها فى مجال الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالاته التى حملتها عن نبيها ن فإذا فقدت هذه الصفة أو أصبحت مغمورة مطمورة ضاعت هذه الأمة، أو تحللت وذابت فى خضم الأمم ولجة الغايات والفلسفات ، ومناهج الحياة،

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) مسند الشاميين للطبراني» – مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ مُسْنَدِ بَحِيرِ بْنِ ... بَحِيرٌ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ _ رقم الحديث: ١١٥٠.

(٣) صحيح مسلم» كتاب الجهاد والسير»بَاب الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ (١٧٦٣).

وأشرفت الدنيا كلها على الخطر ، وتعرضت الإنسانية للتلف، وأصبحت المدنية كلها جسما بلا روح ولفظا بلا معنى.

وقد استقامت هذه الأمة ، وسارت سيرها الطبيعى ، وبذا استقامت الأمور وسلمت البشرية ما دامت هذه الأمة محافظة على غايتها ورسالتها، قوية نشيطة فى أمر الدعوة إلى الله، والحسبة على الناس، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ونظرا لذلك كان إخلالها بهذا الواجب وتقويضها لهذا الركن الركين ثورة على طبيعتها ، وانحرافا عن جادتها ، وجناية على البشرية جمعاء تبعتها أمراض وعلل واختلالات واضطرابات يشاهدها الإنسان، ويذوق سمومها فى كل مجال من مجالات الحياة، وفى كل مجتمع من المجتمعات البشرية، ولا سبيل إلى إعادة الأمور إلى نصابها، ودخول البيوت من أبوابها إلا بعودة هذه الأمة إلى أداء واجبها وإلى سيرتها الأولى فى أمر الدعوة إلى الله ، وتبليغ رسالات الله، والقيام بالقسط، والشهادة لله، والحسبة على الأخلاق والأعمال والتعاون على البر والتقوى، والتواصى بالحق والصبر.(١).

(١) أهمية الدعوة والتبليغ في الإسلام ومدى وجوب اهتمام المسلمين بهما _ صـ ١٠٦.

السؤال الثاني عشر

س : يقول البعض: إن الباطل قد انتشر فى الأرض ، ولم تعد الدعوة إلى الله تنفع شيئا، فينبغي أن لا نضيع جهودنا وأوقاتنا في دعوة الناس إلى الله حيث أنهم لا يستجيبون. . فهل هذا القول صحيح ؟.

ج: والجواب على هذه الشبهة:

أولاً: لا يُشترط للدعوة والأمر بالمعروف قبول الناس:

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾(١)، وما قال: (سَوَاءٌ عَلَيْكَ) فعليك سواء سمعوا، أم لم يسمعوا أن تدعوهم وتبلغهم.

وقد أرسل الله نبيه موسى عليه السلام إلى فرعون وفي علمه أنه لا يسلم: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(٢).

ونبينا محمد (ﷺ) يذهب إلى الكفار ويدعوهم إلى الله:

وقَالَ الإمام النَوَوِيُّ (في شَرْحِ مُسْلِمٍ): قَالَ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَسْقُطُ عَنِ الْمُكَلَّفِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ لِكَوْنِهِ لَا يُفِيدُ فِي ظَنِّهِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ فِعْلُهُ لأن الله ﷻ قال: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (٣). وَقَدْ

---

(١) سورة البقرة – الآية ٦.

(٢) سورة طه – الآيتان ٤٣، ٤٤.

(٣) سورة الذريات – الآية ٥٥.

قَدَّمْنَا فَإِذَا فَعَلَهُ وَلَمْ يَمْتَثِلِ الْمُخَاطَبُ فَلَا عَتْبَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْفَاعِلِ لِكَوْنِهِ أَدَّى مَا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ لَا الْقَبُولُ.. كما قال الله ﷻ ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ ﴾ (١)(٢).

فلم يشترط الله تعالى ولا رسوله لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استجابة الناس، بل أوجب الله تعالى على نبيه الكريم وعلى أمته تبليغ الناس أوامره ونواهيه سواء استجابوا أم لم يستجيبوا، وقد وردت نصوص كثيرة تبيّن هذا :

١. قال تعالى:﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ ﴾ (٣).

٢. وقال تعالى:﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾(٤).

٣. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ (٥).

٤. وقال تعالى: ﴿فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾(٦) .

٥. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾(٧).

---

(١) سورة النور – من الآية٥٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى – ٢ / ٢٢.

(٣) سورة النور – من الآية٥٤ .

(٤) سورة آل عمران – الآية٢٠ .

(٥) سورة المائدة – من الآية٩٢ .

(٦) سورة النحل – الآية٨٢ .

(٧) سورة التغابن– الآية٣٥ .

٦. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾(١) .

٧. وقال تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾(٢) .

٨. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(٣) .

٩. وقال تعالى: ﴿ذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾(٤)

١٠. قال تعالى: ﴿وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(٥).

ويقول الإمام ابن العربي [في تفسير الآية]:« لمَّا فَعَلُوا هَذَا نَهَاهُمْ كُبَرَاؤُهُمْ، وَوَعَظَهُمْ أَحْبَارُهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ ، فَاسْتَمَرُّوا عَلَى نَهْيِهِمْ لَهُمْ، وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ التَّمَادِي عَلَى الْوَعْظِ وَالنَّهْيِ عَدَمُ قَبُولِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ فَرْضٌ قُبِلَ أَوْ لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى قَالَ لَهُمْ بَعْضُهُمْ:{ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ }؟ يَعْنِي فِي الدُّنْيَا، { أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا } فِي الْآخِرَةِ ؟ قَالَ لَهُمْ النَّاهُونَ :

---

(١) سورة هود– الآية٥٧ .

(٢) سورة الرعد – الآية٤٠ .

(٣) سورة المائدة – الآية٦٧ .

(٤) سورة الغاشية – الآيتان ٢١، ٢٢.

(٥) سورة الأعراف – الآية ١٦٤.

مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ ، أَيْ نَقُومُ بِفَرْضِنَا؛ لِيَثْبُتَ عُذْرُنَا عِنْدَ رَبِّنَا . » (١).

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ أَيْ جَمَاعَةٌ مِنْ صُلَحَائِهِمْ، يُحَاوِرُونَ فَرِيقًا مِمَّنْ دَأَبَ فِي عِظَتِهِمْ " لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَيْ: مُخْتَرِمُهُمْ وَمُطَهِّرٌ الْأَرْضَ مِنْهُمْ (أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) أَيْ بَلْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا، إِذْ مُجَرَّدُ الْإِهْلَاكِ قَدْ يُوجَدُ مَعَهُ لُطْفٌ، وَأَمَّا شِدَّةُ الْعَذَابِ فَتِلْكَ الْقَاصِمَةُ ((قَالُوا)) أَيِ الْوُعَّاظُ ((مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ)) أَيْ نَعِظُهُمْ مَعْذِرَةً إِلَيْهِ تَعَالَى، لِئَلَّا نُنْسَبَ إِلَى التَّفْرِيطِ فِي وَصِيَّتِهِ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَقُرِئَ بِالرَّفْعِ، أَيْ: مَوْعِظَتُنَا مَعْذِرَةٌ ((وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)) أَيْ وَرَجَاءً فِي أَنْ يَتَّقُوا فَيَتُوبُوا فَيَنْجُوَا مِنَ الْإِهْلَاكِ .(٢).

ثانياً: الحكم على الناس بعدم الاستجابة من الأمور الغيبية:

إن الحكم على الناس بأنهم لا يستفيدون من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمور الغيبية التي لا يعرفها إلا العليم الخبير، إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع رب العباد، يقلّبها متى شاء وكيف ما شاء، وما أسهل على الله تعالى تقليبها.

---

(١) أحكام القرآن،٢/٧٩٧.

(٢) تفسير القاسمي حيث يقول فيه الشيخ جمال الدين القاسمي: «دل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(الأعراف:١٦٤) على أن النهي عن المنكر لما يسقط، ولم علم المُنكِر عدم الفائدة فيه. إذ ليس من شروطه حصول الامتثال منه. ولو لم يكن فيه إلا القيام بركن عظيم من أركان الدين، والغيرة على حدود الله، والاعتذار إليه تعالى –إذ تشدد في تركه– لكفاه فائدة» (٧/٢٨٨).

فقد روى الإمام مسلم عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ)، يَقُولُ: « إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): « اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ » (١).

وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ):" مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرِّيشَةِ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ بِفَلَاةٍ ". (٢).

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ نَظَرَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ فَقَالَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا فَتَبِعَهُ رَجُلٌ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا " (٣).

فإذا كان الشخص يجهل خواتيم الآخرين فكيف يسوغ له أن يفترض أنهم لا يستجيبون، ويترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استناداً إلى هذا

---

(١) صحيح مسلم _ كتاب القدر – باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء _ حديث رقم ٢٦٥٤.

(٢) سنن ابن ماجه» كتاب المقدمة» باب في القدر_ حديث رقم ٨٨.

(٣) صحيح البخاري» كتاب الرقاق» بَاب الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ وَمَا يُخَافُ مِنْهَا (٦١٢٨).

الافتراض؟

ثالثاً: وجوب التأسي بالرسول الكريم في هذا الأمر وفي كل أمر:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾(١).

فهل ترك رسول الله [ﷺ] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نظراً لعدم استجابة الناس ؟ كلا، بل استمر صلوات الله وسلامه عليه في ذلك في أشد الأحوال وأصعبها راجياً من الله هداية المخاطبين، بل هداية أجيالهم القادمة إن لم يستجب الجيل الموجود، فعَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ (ﷺ) حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ (ﷺ) هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ:" لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ

(١) سورة الأحزاب _ الآية ٢١.

الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ):" بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " (١).

هل يُتوقع بعد ذلك ممن ينتسب إلى هذا النبي الكريم(ﷺ) _ الحريص على هداية الناس- أن يقول: ينبغي أن لا نضيع جهودنا وأوقاتنا في أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر حيث إنهم لا يستجيبون ؟.

احتجاج أصحاب الشبهة ببعض الآيات:

١. قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾(٢) .

٢. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾(٣)

٣. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ﴾(٤) .

٤. وقوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾(٥) .

قالوا: نجد في هذه الآيات بأن الله تعالى اشترط لأمره بالتذكير ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ كما أرشد نبيه الكريم أن يقتصر في إنذاره على ﴿ مَن يَخَافُ وَعِيدِ

---

(١) صحيح البخاري» كتاب بدء الخلق» بَاب ذكر الملائكة (٣٠٥٩)، صحيح مسلم _ باب الجهاد والسير (١٧٩٥).

(٢) سورة الأعلى _ الآية ٩ .

(٣) سورة فاطر _ الآية ١٨.

(٤) سورة يس _ الآية ١١.

(٥) سورة ق _ الآية ٤٥ .

﴿ ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ﴾ ﴿ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ لذا لا داعي لبذل الجهود في أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر وهم لا يستجيبون.

وسنبيّن بتوفيق الله تعالى حقيقة احتجاجهم بالآيات من وجهين :

أولاً: النظر في سيرة من أنزل عليه تلك الآيات: أنزلت تلك الآيات على محمد (ﷺ)، وهو الذي كان يتلوها على المؤمنين، ويعلّمهم إياها، وإليه أسندت مهمة بيانها، وكان (ﷺ) صورة حية لما نزلت عليه الآيات ، لنا أن نسأل هؤلاء هل ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسبب إعراض الناس ؟ كلا، فقد استمر في التذكير والإنذار رغم عناد الكفرة وتمردهم، والفهم الصحيح للآيات هو فهمه وكل استنباط أو استدلال يعارض فهمه وعمله باطل ومردود على صاحبه.

ثانياً: المراد بالآيات على ضوء تفسير المفسرين:

١.أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى) .

يقول الإمام الرازي: (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى): فَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا تَكَفَّلَ بِتَيْسِيرِ جَمِيعِ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَمَرَ بِدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ ، لِأَنَّ كَمَالَ حَالِ الْإِنْسَانِ فِي أَنْ يَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ تَامًّا وَفَوْقَ التَّمَامِ ، فَلَمَّا صَارَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَامًّا بِمُقْتَضَى قَوْلِهِ: (وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى) أَمَرَهُ بِأَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ فَوْقَ التَّمَامِ بِمُقْتَضَى قَوْلِهِ : (فَذَكِّرْ) لِأَنَّ التَّذْكِيرَ

يَقْتَضِي تَكْمِيلَ النَّاقِصِينَ وَهِدَايَةَ الْجَاهِلِينَ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ فَيَّاضًا لِلْكَمَالِ ، فَكَانَ تَامًّا وَفَوْقَ التَّمَامِ ، وَهَهُنَا سُؤَالَاتٌ :

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَبْعُوثًا إِلَى الْكُلِّ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُذَكِّرَهُمْ سَوَاءٌ نَفَعَتْهُمُ الذِّكْرَى أَوْ لَمْ تَنْفَعْهُمْ ، فَمَا الْمُرَادُ مِنْ تَعْلِيقِهِ عَلَى الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ : (إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى) ؟ الْجَوَابُ : أَنَّ الْمُعَلَّقَ بِـ " إِنْ " عَلَى الشَّيْءِ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ عَدَمًا عِنْدَ عَدَمِ ذَلِكَ الشَّيْءِ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ آيَاتٌ:

- ومِنْهَا قَوْلُهُ: (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا) (١) .
- وَمِنْهَا قَوْلُهُ : (وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (٢) .
- وَمِنْهَا قَوْلُهُ : (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ) (٣) . فَإِنَّ الْقَصْرَ جَائِزٌ وَإِنْ لَمْ يُوجَدِ الْخَوْفُ .
- وَمِنْهَا قَوْلُهُ : (وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ) (٤) وَالرَّهْنُ جَائِزٌ مَعَ الْكِتَابَةِ .
- وَمِنْهَا قَوْلُهُ : (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ)

---

(١) سورة النُّورِ : الآية ٣٣.

(٢) سورة الْبَقَرَةِ :الآية ١٧٢.

(٣) سورة النِّسَاءِ : الآية ١٠١.

(٤) سورة الْبَقَرَةِ :الآية ٢٨٣.

(١) وَالْمُرَاجَعَةُ جَائِزَةٌ بِدُونِ هَذَا الظَّنِّ .

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ ذَكَرُوا لِذِكْرِ هَذَا الشَّرْطِ فَوَائِدَ :

إِحْدَاهَا : أَنَّ مَنْ بَاشَرَ فِعْلًا لِغَرَضٍ فَلَا شَكَّ أَنَّ الصُّورَةَ الَّتِي عُلِمَ فِيهَا إِفْضَاءُ تِلْكَ الْوَسِيلَةِ إِلَى ذَلِكَ الْغَرَضِ كَانَ إِلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ أَوْجَبَ مِنَ الصُّورَةِ الَّتِي عُلِمَ فِيهَا عَدَمُ ذَلِكَ الْإِفْضَاءِ، فَلِذَلِكَ قَالَ : (إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى) .

وَثَانِيهَا : أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ أَشْرَفَ الْحَالَتَيْنِ ، وَنَبَّهَ عَلَى الْأُخْرَى كَقَوْلِهِ : (سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) وَالتَّقْدِيرُ : (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى) أَوْ لَمْ تَنْفَعْ .

وَثَالِثُهَا: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ الْبَعْثُ عَلَى الِانْتِفَاعِ بِالذِّكْرَى، كَمَا يَقُولُ الْمَرْءُ لِغَيْرِهِ إِذَا بَيَّنَ لَهُ الْحَقَّ: قَدْ أَوْضَحْتُ لَكَ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ فَيَكُونُ مُرَادُهُ الْبَعْثَ عَلَى الْقَبُولِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ .

وَرَابِعُهَا: أَنَّ هَذَا يَجْرِي مَجْرَى تَنْبِيهِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَا تَنْفَعُهُمُ الذِّكْرَى كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ : ادْعُ فُلَانًا إِنْ أَجَابَكَ ، وَالْمَعْنَى : وَمَا أَرَاهُ يُجِيبُكَ .

وَخَامِسُهَا: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَاهُمْ إِلَى اللهِ كَثِيرًا، وَكُلَّمَا كَانَتْ دَعْوَتُهُ أَكْثَرَ

---

(١) سورة الْبَقَرَةِ :الآية ٢٣٠.

كَانَ عُتُوُّهُمْ أَكْثَرَ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَحَرَّقُ حَسْرَةً عَلَى ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ: (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) (١) إِذِ التَّذْكِيرُ الْعَامُّ وَاجِبٌ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ فَأَمَّا التَّكْرِيرُ فَلَعَلَّهُ إِنَّمَا يَجِبُ عِنْدَ رَجَاءِ حُصُولِ الْمَقْصُودِ فَلِهَذَا الْمَعْنَى قَيَّدَهُ بِهَذَا الشَّرْطِ .

السُّؤَالُ الثَّانِي: التَّعْلِيقُ بِالشَّرْطِ إِنَّمَا يَحْسُنُ فِي حَقِّ مَنْ يَكُونُ جَاهِلًا بِالْعَوَاقِبِ ، أَمَّا عَلَّامُ الْغُيُوبِ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِهِ ذَلِكَ ؟ .

الْجَوَابُ: رُوِيَ فِي الْكُتُبِ أَنَّهُ تَعَالَى كَانَ يَقُولُ لِمُوسَى: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (٢)وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ لَا يَتَذَكَّرُ وَلَا يَخْشَى .. فَأَمْرُ الدَّعْوَةِ وَالْبَعْثَةِ شَيْءٌ وَعِلْمُهُ تَعَالَى بِالْمُغَيَّبَاتِ وَعَوَاقِبِ الْأُمُورِ غَيْرُهُ وَلَا يُمْكِنُ بِنَاءُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ.

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: التَّذْكِيرُ الْمَأْمُورُ بِهِ هَلْ مَضْبُوطٌ مِثْلُ أَنْ يُذَكِّرَهُمْ عَشَرَاتِ الْمَرَّاتِ، أَوْ غَيْرُ مَضْبُوطٍ، وَحِينَئِذٍ كَيْفَ يَكُونُ الْخُرُوجُ عَنْ عُهْدَةِ التَّكْلِيفِ؟ وَالْجَوَابُ: أَنَّ الضَّابِطَ فِيهِ هُوَ الْعُرْفُ . وَاللهُ أَعْلَمُ . (٣).

---

(١) سورة ق _ الآية ٤٥.

(٢) سورة طه _ الآية ٤٤.

(٣) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب» سورة الأعلى» قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى).

٢. وأما قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ (١).

يقول أبو القاسم الغرناطي:« المعنى أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم، وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار» (٢).

٣. وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾(٣)، قال أبو القاسم الغرناطي في تفسيره: معناه كقوله: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ﴾(٤) (٥).

٤. وأما قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾(٦) يقول أبو القاسم الغرناطي – كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾(٧) لأنه لا ينفع التذكير إلا من يخاف.

فخلاصة القول أن الاستدلال بتلك الآيات على ترك الأمر بالمعروف

---

(١) سورة فاطر _ الآية ١٨.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل،١٥٧/٣..

(٣)المرجع السابق.

(٤) سورة يس _ ١١.

(٥) المرجع السابق.

(٦) سورة ق _ ٤٥.

(٧) سورة فاطر _ ١٨.

والنهي عن المنكر بسبب عدم استجابة الناس غير صحيح.

ثالثاً: فالواجب على المسلم هو القيام بواجب الدعوة إلى الله ، سواء حصل المقصود واستجاب الناس أو لم يستجيبوا، وقد حصلت هذه الشبهة لأقوام سالفين قص الله لنا من أخبارهم، وكيف أن الدعاة إلى الله ردوا عليهم شبهتهم ، قال تعالى﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (١) والآيات الكريمة تشير إلى أهل قرية صاروا ثلاث فرق : فرقة ارتكبت المعاصى، وفرقة أنكرت عليهم ووعظتهم ، وفرقة سكتت عنهم فلم ترتكب المعاصى ولم تنه من يفعلها ولكنها قالت للمنكرة : (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ؟) أى: لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة من نهيكم إياهم، فقالت الفرقة المنكرة ، بالجواب الصحيح (مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ) أى: فيما أخذ علينا من واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فنحن نعتذر إلى ربنا ، فنحن

(١) سورة الأعراف – الآيات من ١٦٣: ١٦٦.

لا نملك إلا أن ندعو هؤلاء العصاة للإقلاع عن معصيتهم والإنابة إلى ربهم (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) أى: ولعل هذا الإنكار عليهم ودعوتنا إياهم للإنابة إلى ربهم والرجوع إليه يدعوهم إلى الإستجابة.

يقول الشيخ عبد الكريم زيدان : وفى هذا إشارة إلى أنه مادام هناك احتمال قبول الدعوة فلابد من استمرار الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى(لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ). (١).

وبقدر قدرة المسلم على الدعوة والتنفيذ يكون واجبه فى الدعوة إلى الله ومسؤليته عن ذلك ... فالإنسان غير مكلف بما لا يطيق ، وإنما يكلف الإنسان أن يفعل هو فعلا معينا يتعلق بغيره ، وقد يحمله على الفعل كالدعوة إلى الله، وكالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وإذا كان المطلوب من المسلم أن يدعو إلى الله وليس المطلوب منه أن يهدى الناس ، فعليه أن يستمر فى الدعوة بلا كلل ولا ملل ولا فتور لأن واجبه البلاغ والتبيين وهذا متعلق به فعليه أن يؤديه كما يؤدى سائر العبادات ، وإن لم يستجب له أحد (٢) .

(١) أهمية الدعوة والتبليغ في الإسلام ومدى وجوب اهتمام المسلمين بهما _ صـ ١٤٩.
(٢) أصول الدعوة للدكتورعبد الكريم زيدان.

السؤال الثالث عشر

س: هل الدعوة على العلماء فقط دون العوام ؟.

ج: أقول وبالله التوفيق: إن أحاديث الرسول (ﷺ) التي فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ:" مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ. (١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ:" مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ ". (٢)، ليس فيها أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

(١) صحيح مسلم» كتاب الإيمان» بَاب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ مِنْ الْإِيمَانِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ (٤٩).

(٢) صحيح مسلم» كتاب الإيمان» بَاب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ مِنْ الْإِيمَانِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ (٥٠).

خاص بالعلماء، بل جميع الناس.

وقال ابن حجر (في فتح الباري) **تعليقا على الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه:** عَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ (١).

قَالَ الْمُعَافَى النَّهْرَوَانِيُّ فِي كِتَابِ الْجَلِيسِ:....." وَلَوْ آيَةً " أَيْ وَاحِدَةً لِيُسَارِعَ كُلُّ سَامِعٍ إِلَى تَبْلِيغِ مَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْآيِ وَلَوْ قَلَّ لِيَتَّصِلَ بِذَلِكَ نَقْلُ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . اهـ كَلَامُهُ (٢).

وذلك لتبسيط التبليغ وتسهيله لكل فرد، مهما كان علمه قليلا فليبلغه.

وسُئِلَ الشيخ أبو بكر الجزائري: هل يُشترط في الخارج في سبيل الله أن يكون عالماً ؟.

الإجابة: لا يشترط أن يكون عالماً، ولكن يشترط أن يكون مؤمناً صالحاً يعرف محاب الله تعالى ومكارهه ويدعو إلى ذلك .أ. هـ.

وقال الشيخ محمد عمر البالمبورى (رحمه الله) (٣): **أعداء الله**

---

(١) صحيح البخاري» كتاب أحاديث الأنبياء» (٣٢٧٤).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري» كتاب أحاديث الأنبياء» (٣٢٧٤).

(٣) من مشايخ الدعوة والتبليغ بالباكستان، وكان مقيما بمسجد مكي مسجد بكراتشي.

يقولون: أن تبليغ الدين والدعوة على العلماء فقط، فالنصارى عندهم الدعوة تكون للأحبار والرهبان فقط، مع أنها باطلة، وبقية الناس عندهم يقدمون لهم الهدايا، ويأخذون صكوك الغفران، هكذا ينتشر الفساد باسم الدين، وهم يجتهدون في المسلمين حتى يوقعوهم فيما وقعوا فيه، وللأسف كثير من المسلمين يصدقونهم، ويرددون هذا الكلام الباطل. أ. هـ.

وقال الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي (رحمه الله): إن ما يزعمه كثير من الناس، من أن الدعوة وتبليغها وتبليغ دين الله عمل خاص بعلماء الدين فهو غير صحيح، بل إنما يجب على كل من يرى منكر وهو قادر على تغييره أو على تهيئة أسباب تغييره، أن يقوم بتغيير هذا المنكر.

ولو افترضنا ما يزعمه الناس ويقولونه من أن هذا العمل خاص بالعلماء فكيف يكون الأمر إذا قصر العلماء في أداءه بتهاونهم وغفلتهم، أو لأسباب أخرى، أفلا يكون هذا العمل فريضة في ذمة كل مسلم. (١).

إن الشيخ محمد إلياس لم يترك هذه الناحية - حسب عادته - بل تناوله فى منهجه بالجدية ، حتى وضح الأمر ، فكان رحمه الله يعتقد: أن وجوب التبليغ يشمل الجميع من المسلمين سواء أكان عالما أو جاهلا - فى العرف العام - زاهدا أو فاسقا ، فإنه (الإبلاغ) لا يشترط ولا يتوقف على غزارة

---

(١) فضائل الأعمال للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي صـ ٣٨.

العلم والزهد ، وإن اشترط هذا فيجب تحديد معيار العلم بكمه وكيفه ، وتحديد مستوى الزهد فى (المبلغ) كما وكيفا.

ونظرا لبيان هذه العقدة وحلها سجل الشيخ فى منهجه أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يحتاج إلى أن يكون صاحبه عالما دينيا كاملا ، فإن كل من يعرف شيئا من أحكام الدين فمن مسئوليته أن يبلغ ذلك إلى الآخرين ، وإذا رأى منكرا وهو قادر على منعه أو تغييره فيجب عليه أن يقوم بمنعه أو تغييره[١] .

ثم يوضح الشيخ/ محمد زكريا تلميذ الشيخ / محمد إلياس هذه الحقيقة بتوضيح معنى (العالم الدينى) ومعنى (الجاهل) والفرق بين (الإبلاغ) و (الوعظ) ، وهو يدافع عن منهج شيخه بتقديم الصورة الأصلية التى وصل إليها الشيخ / محمد إلياس حيث يقول: إن الإشكال السادس، والذى يرد من فترة بدء هذا العمل - عمل التبليغ - هو أن التبليغ أمر يخص العلماء دون غيرهم ، وبَلَغَنا هذا الإعتراض فى عبارات شتى، تتحد فى مضمونها، وكنت أرد عليها إجمالا وتفصيلا، إن هذا الإعتراض ينتج عن عدم معرفة الفرق بين التبليغ والوعظ (أى إلقاء الكلمة الدينية أمام الجمهور) ونريد هنا أن نوضح الفرق بين (الوعظ) و (التبليغ) وخاصة

---

(١) المرجع السابق.

ما حددناه فى منهجنا العملى للدعوة إلى الله .

إن الوعظ هو عمل خاص بالعلماء فقط، ولا يجوز للعامة أن يقوموا بإلقاء كلمة دينية إطلاقا ، لأنها تحتاج إلى علم غزير ووفير، حتى يعرف الواعظ أن ما يتكلم به مطابق للشرع، وحتى لا يتلفظ بكلمة تكون مخالفة لما جاء فى الكتاب والسنة .

أما التبليغ فمعناه (الإبلاغ) إبلاغ رسالة خاصة على يد أحد لا يُشترط كون حاملها عالما بكل تفاصيلها.

أما نسبة (التبليغ) إلى العلماء واختصاصه بهم ، لدى علماء الإسلام ، فهو اعتبار عام، يشمل الإبلاغ العام الشامل، الذى يحتوى على كل ما يُبَلَّغ من الأمور الخاصة والعامة فى مجال الدعوة إلى الله فتكون كلمة (التبليغ) عامة، وشاملة لجميع ما يأتى فى إطار الدعوة .

ومن هذا المنطلق لا يَرِدُ هذا الإعتراض على الأعمال التى يقوم بها أحبابنا، لأن كلمة (التبليغ) فى اصطلاحنا الخاص تطلق على أمور خاصة ، حيث تحدد فيه المبادىء الستة الأساسية فقط ، ونقوم بتعليمها والتدريب عليها للمشارك فى هذه الأعمال ، وبعد ذلك يؤمر بإبلاغها دون سواها ، وذلك حيث يليها المبدأ السابع كوقاية وهو (ترك مالا يعنيه) والمراد به تجنب كل الأمور التى لا تتعلق بحياة الإنسانية ، وخاصة فى هذه الفترة

التدريبية، ويَشترِط هذا المبدأ أن لا يُشغَلَ المُعلم والمتعلم والمبلغون بغير هذه المبادىء الستة فى المرحلة الأولى من التبليغ والإصلاح، ثم يأتى الشيخ / محمد زكريا الكاندهلوى بقول حكيم الأمة الشيخ أشرف على التهانوى ويقول: إن الشيخ أشرف على التهانوى يقول: إن الأمور الأساسية المعروفة فى الشريعة الإسلامية، والمنصوصة بصراحة واضحة فى الكتاب والسنة، هى أمور لا يختص إبلاغها بالعلماء فحسب، بل يمكن لكل مسلم أن يجهر بها أمام العالَم ، أما الخطاب العام أو إلقاء كلمة بما يشمل فيها الأمور الإجتهادية فهى خاصة بالعلماء، وإن قام به العامة فلا يخلو من الخطأ.

ثم يقول شيخ الحديث/ محمد زكريا الكاندهلوى: إن من العجيب أن المعترضون يعترضون على أن أهل الدعوة والتبليغ يرسلون الجهلة (للدعوة)، وفى نفس الوقت يعترضون أن هؤلاء المبلغين لا يتكلمون فى أمور الشريعة الأخرى - غير المبادىء الستة - إذ أن الشرع والدين ليس موقوفا على تلك المبادىء، وأن هناك أمور كثيرة تحتاج إلى الإصلاح ، فلم لا يتكلم بها هؤلاء المبلغون ؟.

فنقول: إن هذا هو السبب الأساسى فى عدم التفاتهم إلى الأمور الأخرى فى الدين، لأنهم ليسوا علماء، فإنهم غير مسموح لهم بإلقاء الخطب والكلمات الدينية، إلا أن يكونوا علماء - أى فى الجماعة - فلهم حق أن

يقوموا بالوعظ متعرضين للمسائل الأخرى، ولكن مع هذا إذا هم خرجوا فى الرحلات مع الجماعة سواء كانت تلك الرحلات محلية أو إقليمية، أو قاموا بإلقاء الكلمة فى الإجتماعات الخاصة بالجماعة فإنهم أيضا ملتزمون بتلك المبادىء، وسبب ذلك أن الحاضرين لم يأتوا إلا للتدريب على تلك المبادىء، وهم فى أول مرحلة من التعليم والتدريب، وبالتالى فإن المسائل الدينية كثيرة، ومعظمها تختلف فيها المذاهب الفقهية، وتحتاج أحيانا إلى المناقشة والمناظرة، أما هذه المبادىء الستة فهى متفق عليها، ولا خلاف فيها لدى الأمة جمعاء.

أما القول بأن (التبليغ) لا يحتاج إلى عالم دينى كبير متخصص أو لا يقتصر أمره على علماء الدين فقط ، فقد ورد فى أحاديث كثيرة ، كما ثبت هذا الأمر من آثار الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – وأن النبى (ﷺ) قد أعلن أكثر من مرة فى حجة الوداع وكان من بين أقواله (ﷺ): (أَلَا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ) (١) بينما كان يبلغ عدد الحاضرين فى حجة الوداع ما يقرب من مائة وأربعة وعشرين ألف مسلم ، هل كانوا كلهم علماء أجلاء؟ بل كان فيهم من لم يروا الرسول (ﷺ) من قبل ، ولكن الإبلاغ كان يتعلق بأمور خاصة ومحدودة، فلذا لم يشترط فيه أن يكون مبلغ

(١) صحيح البخاري» كتاب العلم» باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب(١٠٥).

هذه الأمور المعدودة عالما كاملا ، وبناء على ذلك خصص الإمام البخارى بابا خاصا وأسماه (باب : رب مبلغ أوعى من سامع) وأتى فيه بقول الرسول (ﷺ) (أَلَا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ) (١) فيمكن أن يكون المُبلِّغ أكثر حفظا للكلام من المبلَّغ.

فالحقيقة أن الشيخ / محمد إلياس قد اعتقد أن المسلم الذى لا يستطيع إبلاغ أمور دينه، ولا يجد فى نفسه الكفاءة للتبليغ فعليه أن يقوم بالعمل الجاد، ويحرض الآخرين للقيام به، حتى يصبح قادرا على تبليغ الدعوة ، فأحيانا يصل الأمر الهام إلى أهله بأيدى الذين لا يتخصصون فيه، ثم ينمو هذا العمل على أيدى هؤلاء المتخصصين

فالذين لا يجدون فى أنفسهم كفاءة تامة للقيام بهذا العمل المبارك عليهم أن يشدوا أزرهم بالجدية حتى يصلوا إلى كفاءة تامة لحمل لواء الدعوة ونشر الدين الحنيف .

هذا هو السبب الوحيد الذى جعلنى منهمكا فى هذا العمل ومهتما به ، لأننى وجدت نفسى غير مؤهل للقيام بحقيقة العمل ، ولعل الله يجعلنى وسيلة إبلاغ هذا الأمر إلى أهله ، ثم يحملونه ويقومون به حق القيام ، وبذا يصلنى الأجر كمساهم فى هذه الصدقة الجارية

---

(١) صحيح البخاري» كتاب العلم» باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب(١٠٥).

. **ثم يسرد الشيخ / محمد زكريا كلامه ويقول** : وهكذا عقد الإمام البخارى بابا مستقلا أسماه : (بَاب تَحْرِيضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ) فأمر رسول الله (ﷺ) هذا الوفد ببعض الأمور وأمرهم بحفظها وإبلاغها إلى قومهم.

كما أتى الشيخان البخارى ومسلم بقصة صحابى يسكن فى البادية ، ولما حضر أول مرة عند رسول الله (ﷺ) وهو يريد ما بلغه وقومه من أمور الإسلام وقال فى نهاية الحديث : (وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ).

ولهذه الجملة (لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ) أقوال كثيرة منها : إننى لا أزيد ولا أنقص فى إبلاغها إلى القوم.

إن التبليغ على قسمين ، قسم خاص وقسم عام ، فالقسم (الخاص) يجب على كل فرد بصفة فردية، أما التبليغ العام فهو خاص بالعلماء، فيمكن لكل مسلم أن يقوم بإلقاء خطاب (منصوص) دون الزيادة أو النقصان فيه، أما الخطاب الغير منصوص فهو أمر لا يُسمح به إلا للعلماء، والأمر الذى يحتاج هنا للتوضيح هو : إن الإبلاغ بأمر خاص فى مجال (التبليغ

الخاص) يحتاج إلى معرفة حقيقة الأمر ، كما يحتاج إلى قدرة بيانية لدى الآخرين.

أما العلم والعلماء فهو أيضا على نوعين ، وهما : (عالم حصل على العلوم بطريق الدرس والتدريس فى المدارس أو الجامعات الدينية ، و (عالم) حصل العلوم بطرق سماعية فقط ، وذلك بكثرة صحبته للعلماء ، فيُسمح لهما بالخطاب العام فى الأمور الدينية ، مع الشرط أن الثانى يجب ألا يتولى هذا الأمر إلا وقد حمله العالم الجليل تلك المسئولية وأشرف عليه ، فإن الصحابة كانوا علماء بطرق سماعية ، ولم يدرسوا فى المدارس مثل تلك الدراسة التقليدية التى نراها اليوم ، فكانوا يسمعون ويؤمرون بالإبلاغ فيبلغونه .

ولا يعنى هذا أن يعتبر كل واحد نفسه مثل الصحابة فى أخذ العلم، ويقوم بالتبليغ معتمدا على ظنه وشعوره وحدسه ، إلا وقد يرى العالِم فيه كفاءة تامة لهذا الإبلاغ ، ثم يأمره به وهو فى ثقة منه.

ثم يقول: إنه للأسف الشديد نجد الخاصة (العلماء) قد اقتنعوا بالدرس والتدريس ، وبذلك احترزوا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتبليغ الدعوة إلى الله ، غير أن الدرس والتندريس ماهى إلا وسيلة لهذا الأمر العظيم ، وما يُهدف منها إلا أن يكون المُبَلِّغ صاحب معرفة كاملة بما يبلغه إلى الآخرين ، أليس من العجب العجاب أن يُهتم (بالوسيلة) اهتماما بالغا ويقتصد فى الهدف الأصيل المنشود ؟.

وجملة القول أن تبليغ أمور الدين يجب على كل مسلم ومسلمة قدر

استطاعته وكفائته العلمية، ولا يقتصر (التبليغ) بمعناه (الخاص) بالعلماء فحسب بل يجب على كل واحد يُبلغ ما يعرف من مسائل الدين إلى الذين لم يصل إليهم علمها بعد ، وإلى الذين يقصرون أو يتكاسلون فيها(١).

وقال الشيخ إلياس الكاندهلوي(رحمه الله): إن الشخص الذي يظن في نفسه أنه ليس أهلا للتبليغ ، فلا يجلس فارغا قط ، بل عليه أن ينشغل في العمل ، ويحرض الآخَرين أكثر من غيره ، لأنه قد يَحْصُل خير كثير لما هو أهلٌ له من طرفِ الذي هو غيرَ أهلٍ له .

ثم ينمو ذلك الخير ويزيد ثم يصل أجره بصفه مستمرة إلى هذا الذي لم يكن أهل له لانه كان هو السبب في إبلاغه له وذلك لقوله (ﷺ) : ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا)) رواه مسلم ، وقال : ((مَنْ سَنَّ فِي الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ)) رواه مسلم .

فلذا من يكن غير أهل له فيلزمه أن يعمل في هذا المجال بحماس وشدة.

ولأنني أنا أعتبر نفسي أنني لست بأهل له ، فلذا أنا منهمك فيه ، أملا من الله بأنه ربما بجهدي هذا يصل هذا العمل إلى من هو أهل له ، ثم أؤجر من الله الأجر الأعلى الذي قرره الله لهذا العمل (٢).

---

(١) أهمية الدعوة والتبليغ في الإسلام ومدى وجوب اهتمام المسلمين بهما للشيخ عبد الخالق بيرزاده.

(٢) ملفوظات الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ــ الشيخ محمد منظور نعماني صـ ٦٣.

وقال الإمام النووي (رحمه الله): قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَلَا يَخْتَصُّ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِأَصْحَابِ الْوِلَايَاتِ بَلْ ذَلِكَ جَائِزٌ لِآحَادِ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ: وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ غَيْرَ الْوُلَاةِ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ، وَالْعَصْرِ الَّذِي يَلِيهِ كَانُوا يَأْمُرُونَ الْوُلَاةَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، مَعَ تَقْرِيرِ الْمُسْلِمِينَ إِيَّاهُمْ، وَتَرْكِ تَوْبِيخِهِمْ عَلَى التَّشَاغُلِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ غَيْرِ وِلَايَةٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ثُمَّ إِنَّهُ إِنَّمَا يَأْمُرُ وَيَنْهَى مَنْ كَانَ عَالِمًا بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ ؛ وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الشَّيْءِ؛ فَإِنْ كَانَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَالْمُحَرَّمَاتِ الْمَشْهُورَةِ كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزِّنَا وَالْخَمْرِ وَنَحْوِهَا، فَكُلُّ الْمُسْلِمِينَ عُلَمَاءُ بِهَا، وَإِنْ كَانَ مِنْ دَقَائِقِ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالِاجْتِهَادِ لَمْ يَكُنْ لِلْعَوَامِّ مَدْخَلٌ فِيهِ ، وَلَا لَهُمْ إِنْكَارُهُ ، بَلْ ذَلِكَ لِلْعُلَمَاءِ .

ثُمَّ الْعُلَمَاءُ إِنَّمَا يُنْكِرُونَ مَا أُجْمِعَ عَلَيْهِ أَمَّا الْمُخْتَلَفُ فِيهِ فَلَا إِنْكَارَ فِيهِ لِأَنَّ عَلَى أَحَدِ الْمَذْهَبَيْنِ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ . (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ وَاجِبَةٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الرَّسُولَ (ﷺ) وَهُمْ أُمَّتُهُ وَقَدْ وَصَفَهُمْ اللهُ بِذَلِكَ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ } إلَى قَوْلِهِ: { الْمُفْلِحُونَ }

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى – ٢ / ٢٣.

فَهَذِهِ فِي حَقِّهِ (ﷺ) وَفِي حَقِّهِمْ قَوْلُهُ: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}،وَقَوْلُهُ: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ }.

وَهَذَا الْوَاجِبُ وَاجِبٌ عَلَى مَجْمُوعِ الْأُمَّةِ: وَهُوَ فَرْضُ كِفَايَةٍ يَسْقُطُ عَنْ الْبَعْضِ بِالْبَعْضِ كَقَوْلِهِ: { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ }(١) فَجَمِيعُ الْأُمَّةِ تَقُومُ مَقَامَهُ فِي الدَّعْوَةِ: فَبِهَذَا إجْمَاعُهُمْ حُجَّةٌ وَإِذَا تَنَازَعُوا فِي شَيْءٍ رَدُّوهُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا فَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُحِبَّ مَا أَحَبَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ : وَأَنْ يُبْغِضَ مَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدِ أَنْ يَجْعَلَ الْأَصْلَ فِي الدِّينِ لِشَخْصِ إلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا يَقُولَ إلَّا لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٢).

وقد أوضح الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله) هذا بقوله: صرَّح العلماء أن الدعوة إلى الله ﷻ فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإنَّ كلّ قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة، وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية؛ إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة وعملاً صالحاً

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٠٤.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية.

جليلاً.

وعند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل، كحالنا اليوم، تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته، وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر المعيّن بالدعوة على التمام صار الإثم عاماً، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه.

أما بالنظر إلى عموم البلاد؛ فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله ﷻ في أرجاء المعمورة، تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله(ﷻ) بالطرق الممكنة.

فإن الرسول (ﷺ) قد بعث الدعاة، وأرسل الكتب إلى الناس، وإلى الملوك والرؤساء ودعاهم إلى الله عز وجل .

وفي وقتنا اليوم قد يسر الله عز وجل أمر الدعوة أكثر، بطرق لم تحصل لمن قبلنا، فأمور الدعوة اليوم متيسرة أكثر، من طرق كثيرة، وإقامة الحجة على الناس اليوم ممكنة بطرق متنوعة: عن طريق الإذاعة، وعن طريق التلفزة، وعن طريق الصحافة، ومن طرق شتى، فالواجب على أهل العلم والإيمان، وعلى خلفاء الرسول أن يقوموا بهذا الواجب، وأن يتكاتفوا فيه، وأن يبلغوا رسالات الله إلى عباد الله ولا يخشوا في الله لومة لائم، ولا يحابوا في

ذلك كبيرا ولا صغيرا ولا غنيا ولا فقيرا، بل يبلغون أمر الله إلى عباد الله، كما أنزل الله، وكما شرع الله، وقد يكون ذلك فرض عين إذا كنت في مكان ليس فيه من يؤدي ذلك سواك، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه يكون فرض عين، ويكون فرض كفاية، فإذا كنت في مكان ليس فيه من يقوى على هذا الأمر، ويبلغ أمر الله سواك، فالواجب عليك أنت أن تقوم بذلك، فأما إذا وجد من يقوم بالدعوة والتبليغ، والأمر والنهي غيرك، فإنه يكون حينئذ في حقك سنة، وإذا بادرت إليه وحرصت عليه كنت بذلك منافسا في الخيرات، وسابقا إلى الطاعات، ومما احتج به على أنها فرض كفاية قوله جل وعلا: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) **قال الحافظ ابن كثير في هذه الآية:** (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ) أَيْ : مُنْتَصِبَةٌ لِلْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْخَيْرِ ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ (٢)، ومعلوم أيضا أن الرسول عليه الصلاة والسلام دعا إلى الله، وقام بأمر الله في مكة حسب طاقته، وقام الصحابة كذلك رضي الله عنهم وأرضاهم بذلك حسب طاقتهم، ثم لما هاجروا قاموا بالدعوة أكثر وأبلغ، ولما انتشروا في البلاد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام قاموا بذلك أيضا رضي الله عنهم

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم» تفسير سورة آل عمران» تفسير قوله تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ).

وأرضاهم، كل على قدر طاقته وعلى قدر علمه، فعند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم، تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته، وإذا كان في محل محدود كقرية ومدينة ونحو ذلك، ووجد فيها من تولى هذا الأمر، وقام به وبلغ أمر الله، كفى وصار التبليغ في حق غيره سنة، لأنه قد أقيمت الحجة على يد غيره ونفذ أمر الله على يد سواه .

ولكن بالنسبة إلى بقية أرض الله، وإلى بقية الناس، يجب على العلماء حسب طاقتهم، وعلى ولاة الأمر حسب طاقتهم، أن يبلغوا أمر الله بكل ما يستطيعون، وهذا فرض عين عليهم على حسب الطاقة والقدرة .

وبهذا يعلم أن كونها فرض عين، وكونها فرض كفاية، أمر نسبي يختلف، فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلى أقوام وإلى أشخاص، وسنة بالنسبة إلى أشخاص وإلى أقوام، لأنه وجد في محلهم وفي مكانهم من قام بالأمر وكفى عنهم .

أما بالنسبة إلى ولاة الأمور ومن لهم القدرة الواسعة، فعليهم من الواجب أكثر، وعليهم أن يبلغوا الدعوة إلى ما استطاعوا من الأقطار، حسب الإمكان بالطرق الممكنة، وباللغات الحية التي ينطق بها الناس، يجب أن يبلغوا أمر الله بتلك اللغات حتى يصل دين الله إلى كل أحد باللغة

التي يعرفها، باللغة العربية وبغيرها، فإن الأمر الآن ممكن وميسور بالطرق التي تقدم بيانها، طرق الإذاعة والتلفزة والصحافة وغير ذلك من الطرق التي تيسرت اليوم، ولم تتيسر في السابق، كما أنه يجب على الخطباء في الاحتفالات وفي الجمع وفي غير ذلك أن يبلغوا ما استطاعوا من أمر الله عز وجل، وأن ينشروا دين الله حسب طاقتهم، وحسب علمهم، ونظرا إلى انتشار الدعوة إلى المبادئ الهدامة وإلى الإلحاد وإنكار رب العباد وإنكار الرسالات وإنكار الآخرة، وانتشار الدعوة النصرانية في الكثير من البلدان، وغير ذلك من الدعوات المضللة، نظرا إلى هذا فإن الدعوة إلى الله عز وجل اليوم أصبحت فرضا عاما، وواجبا على جميع العلماء وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام، فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان بالكتابة والخطابة، وبالإذاعة وبكل وسيلة استطاعوا، وأن لا يتقاعسوا عن ذلك، أو يتكلوا على زيد أو عمرو، فإن الحاجة بل الضرورة ماسة اليوم إلى التعاون والاشتراك، والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل، ذلك لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة، للصد عن سبيل الله والتشكيك في دينه، ودعوة الناس إلى ما يخرجهم من دين الله عز وجل، فوجب على أهل الإسلام أن يقابلوا هذا النشاط الملحد بنشاط إسلامي، وبدعوة إسلامية على شتى المستويات، وبجميع الوسائل

وبجميع الطرق الممكنة، وهذا من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدعوة إلى سبيله(١).

وسُئِلَ الشيخ محمد صالح بن عثيمين(رحمه الله): هل الدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة أم تقتصر على العلماء وطلاب العلم فقط؟.

فأجاب: إذا كان الإنسان على بصيرة فيما يدعو إليه، فلا فرق بين أن يكون عالماً كبيراً يشار إليه أو طالب علم مجد في طلبه أو عامياً لكنه علم المسألة علماً يقينياً.. فإن الرسول ﷺ يقول:" بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ " (٢) .

ولا يشترط في الداعية أن يبلغ مبلغاً كبيراً في العلم، لكن يشترط أن يكون عالماً بما يدعو إليه، أما أن يقوم عن جهل ويدعو بناءً على عاطفة عنده فإن هذا لا يجوز (٣).

كل مسلم مطالب بنصرة الإسلام ودفع الغربة عنه وإصلاح المجتمع

---

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

(٢) صحيح البخاري_ كتاب أحاديث الأنبياء_ باب ما ذكر عن بني إسرائيل _ عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٣) فتاوى إسلامية – الشيخ ابن عثيمين.

حسب قدرته واستطاعته، ولذا فلا ينبغي أن يلقى اللوم على العلماء فقط، وإن كان دور العلماء هو الدور الأكبر والأهم في توعية الناس وتعريفهم بشرع الله تعالى في الوقائع والأحداث التي تنزل بهم، وأن يكونوا قادة لهم، ولا شك أن العلماء القائمين بالحق موجودون في كل زمان تصديقاً لقول النبي:" لا تَزَالُ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ ". رواه مسلم. (١).

وفي البخاري عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ "(٢).

فالدعوة إلى الله لا تقتصر على علماء الأمة، وإن كانوا أولى الناس في القيام بها، فكل مسلم مكلّف بنشر دين الله في الأرض، وعمارتها بالالتزام بدين الله وأوامره واجتناب نواهيه، وتبليغ الدعوة لكل من يستطيع، وفي أي مكان من العالم في حدود قدراته وإمكاناته، فالمسلم يعتبر نفسه مسئولا مسؤولية شخصية عن الدعوة إلى الله، فهو يبلغها بالطرق الشرعية الصحيحة، مع حبه الخير للناس كافة.

---

(١) رقم الفتوى (٣٢٧٦٩) مركز الفتوى بإشراف د.عبد الله الفقيه.

(٢) صحيح البخاري » كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة » باب قول النبي ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم _ رقم الحديث(٦٨٨١).

إن الإشكال المنصب على إثبات خروج العوام ومشروعية قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب علمهم فقط دون التجاوز إلى غيره شيء، وأما هذا فهو عبارة عن سبب السماح لبعض العوام بالدعوة مع مخالفتهم لتوجيهات علمائهم فنجدهم يقولون مثلاً قال الله تعالى: ويأتون بالحديث والعكس.

وتجد بعض العوام يورد الآية أو الحديث ثم يقوم بشرحه من غير بينة إلى غير ذلك من الأمور التي تخالف الشرع ويقوم بها بعض هؤلاء العوام فكأن الذي يسأل يقول: أنا أقر بالسماح للعامي بأن يدعو إلى الله ولا يتعد علمه، وأما إذا تعدى علمه فلماذا تسمحوا لهذا العامي بالدعوة؟ .

والجواب: لا شك أن بعض العوام الذين يخرجون للدعوة يقعون في مثل تلك المخالفات المتقدمة إلا أنهم في الواقع قليلون جداً بالنسبة إلى باقي العوام الملتزمين بأصول المشايخ القائمين على هذا العمل، والدليل على ذلك الواقع المشاهد حتى أن هذه الجماعة اشتهر عنهم بالتواتر أو ما يشبهه أنهم لا يتكلمون في مسائل الفقه ولا الفتوى، فهم قليلون بالنسبة للآخرين فنحن عند ذلك نقول: لا شك والله أعلم أن المصلحة المترتبة على خروج العوام هؤلاء أعظم بكثير جداً من المفسدة التي تقع بسبب جهل بعضهم، أضف إلى ذلك أن العوام الذين يقعون في الخطأ هم بأنفسهم محتاجون إلى الفهم والعلم والعمل، فلو أننا منعناهم من الخروج مع الجماعة لترتب على ذلك مفسدة بالنسبة لهم كتقصير

بعضهم في أوامر الله، وضعف بعضهم في محاربة الهوى والشيطان إلى غير ذلك من المفاسد، ومن هنا ظهر أن العوام الذين يقعون في الخطأ لا يتم علاجهم بمنعهم وإنما يتم الشفاء بتعليمهم وإرشادهم في داخل هذا العمل، وهذه مهمة كل عالم وطالب علم يخرج مع الجماعة، بل الأمر كما قال بعض فضلاء علماء أهل الحجاز أنه ينبغي على أهل العلم والبصيرة أن يخرجوا معهم ويعلموا جاهلهم ويسدوا النقص الذي قد يقع من بعضهم وهذا كلام قوي وجيد جداً لأنه منظور فيه لعظم المصلحة التي ترتبت على خروج هؤلاء العوام كدخول كثير من أهل الكفر في الإسلام، ورجوع أهل المعاصي إلى طاعة الله -عز وجل- فعلى طالب العلم أن ينظر إلى ما أثبته الشاطبي ثم ينظر إلى ما ذكرته مع النظر والتأمل في حديث البخاري فعند ذلك يتضح الجواب إن شاء الله والله المستعان.

ومن هنا ينشأ الإشكال الثاني ألا وهو هل كان الرسول(ﷺ)يخرج العوام للدعوة إلى الله؟

فأقول وبالله التوفيق: إن خروج العوام في زمنه (ﷺ)ثابت حيث أنه (ﷺ)كان يأتيه الأعرابي فيعلمه (ﷺ) شرائع الإسلام ثم يرسله إلى قومه فيرجع إلى قومه يدعوهم إلى ما قد علمه من النبي لتقرير ذلك إليك هذين الحديثين اللذين أخرجهما البخاري في صحيحه في باب "ما جاء في العلم" حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ سَعِيدٍ هُوَ المَقْبُرِيُّ، عَنْ شَرِيكِ بْنِ

عَبْدِ اللهَّ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي المَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ فِي المَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ (ﷺ) مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ المُتَّكِئُ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (ﷺ): «قَدْ أَجَبْتُكَ». فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ (ﷺ): إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي المَسْأَلَةِ، فَلاَ تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟ فَقَالَ: «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ» فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللهَّ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهَّ، آللهَّ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهَّ، آللهَّ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: « اللَّهُمَّ نَعَمْ ». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهَّ، آللهَّ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «اللَّهُمَّ نَعَمْ». فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ (١).

وهذا الحديث واضح على ما ذكرت من أن العامي يقوم بالدعوة إلى الله حيث أن النبي (ﷺ) علم ضمام فرائض الإسلام وبعد ذلك ذهب ضمام إلى قومه يدعوهم إلى الله -عز وجل- وإلى الإسلام والدليل على أن ضماما -رضي الله عنه- لم يكن من العلماء ما يأتي:

---

(١) صحيح البخاري / ٣ - كتاب العلم / باب ما جاء في العلم. وقوله تعالى: {وقل رب زدني علما} [طه: ١١٤] / حديث رقم ٦٣.

أولاً: أنه سأل رسول الله (ﷺ) عن أصول الشريعة كسؤاله للنبي (ﷺ) آلله أرسلك إلى الناس كافة وكذلك سؤاله عن فرائض الشرع تدل دلالة واضحة على أنه عامي يتثبت من النبي عن ذلك، حيث أنه ثبت في صحيح مسلم عن ثابت عن أنس أن ضماما قال للنبي (وَزَعَمَ رَسُولُكَ) (١)، وهذا لا شك ليس شأن العالم والدليل على أن ضماماً لم يكن عالما، أوضح من أن يستدل عليه كسؤاله عن الصلاة والزكاة وغيرها، فأنت ترى أن النبي أجاز لضمام أن يقوم بالدعوة مع أن العلماء الذين أرسلهم النبي قد قاموا بهذه المهمة، فدل ذلك على أن العامي يشرع له القيام بالدعوة وهو مدار المسألة.

---

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ قَالَ صَدَقَ قَالَ فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ قَالَ اللَّهُ قَالَ فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ قَالَ اللَّهُ قَالَ فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ قَالَ اللَّهُ قَالَ فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا قَالَ صَدَقَ قَالَ فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا قَالَ صَدَقَ قَالَ فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا قَالَ صَدَقَ قَالَ فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ صَدَقَ قَالَ ثُمَّ وَلَّى قَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ.

وأما الحديث الثاني: الذي يبين أن النبي كان يرسل العوام للدعوة ففيما أخرجه البخاري في كتاب العلم تحت باب " بَاب تَحْرِيضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ ، قال البخاري حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ مَنْ الْقَوْمُ أَوْ مَنْ الْوَفْدُ قَالُوا رَبِيعَةُ قَالَ مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ وَسَأَلُوهُ عَنْ الْأَشْرِبَةِ فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصِيَامُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنْ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ عَنْ الْحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالْمُزَفَّتِ وَرُبَّمَا قَالَ الْمُقَيَّرِ وَقَالَ احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ "(١).

(١) صحيح البخاري» كتاب الإيمان» بَاب أَدَاءُ الْخُمُسِ مِنْ الْإِيمَانِ (٥٣).

ووجه الدلالة واضح جداً لقيام العامي بالدعوة إلى الله:

حيث أن النبي إنما اكتفى بتعليمهم أركان وفرائض الإسلام، ثم أمرهم بالدعوة وتبليغ العلم، وأنت ترى أن الإمام البخاري قال في تبويبه " بَاب تَحْرِيضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ " فقال البخاري: والعلم مع أنهم إنما قاموا بجزء من العلم لا غالبه، فدل ذلك على أن المسلم يقوم بتبليغ ما علمه من أجزاء العلم وإن قل وإن كان غير عالم، ولكنه لا يدعو إلا لما يعلم دون ما لا يعلم.

ولما تكلم الإمام النووي- رحمه الله - [في شرحه لصحيح مسلم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] بين أن الأمر والنهي يختلف باختلاف الشيء فقال: " فَإِنْ كَانَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ ، وَالْمُحَرَّمَاتِ الْمَشْهُورَةِ كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزِّنَا وَالْخَمْرِ وَنَحْوِهَا ، فَكُلُّ الْمُسْلِمِينَ عُلَمَاءُ بِهَا، وَإِنْ كَانَ مِنْ دَقَائِقِ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالِاجْتِهَادِ لَمْ يَكُنْ لِلْعَوَامِّ مَدْخَلٌ فِيهِ، وَلَا لَهُمْ إِنْكَارُهُ، بَلْ ذَلِكَ لِلْعُلَمَاءِ. ثُمَّ الْعُلَمَاءُ إِنَّمَا يُنْكِرُونَ مَا أُجْمِعَ عَلَيْهِ أَمَّا الْمُخْتَلَفُ فِيهِ فَلَا إِنْكَارَ فِيهِ لِأَنَّ عَلَى أَحَدِ الْمَذْهَبَيْنِ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ.وَهَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ عِنْدَ كَثِيرِينَ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ أَوْ أَكْثَرِهِمْ(١).

---

(١) صحيح مسلم» كتاب الإيمان» بَاب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ مِنْ الْإِيمَانِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ (٤٩).

وقال الحافظ بن حجر في شرح الحديث الذي فيه: (أَلَا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ) (١) فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه" قال الحافظ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ غَيْرِ مَا تَقَدَّمَ الْحَثُّ عَلَى تَبْلِيغِ الْعِلْمِ وَجَوَازُ التَّحَمُّلِ قَبْلَ كَمَالِ الْأَهْلِيَّةِ وَأَنَّ الْفَهْمَ لَيْسَ شَرْطًا فِي الْأَدَاءِ.

انظر هذا في فتح الباري، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ ".

فأنت كما ترى أن أصل مشروعية قيام العوام بالدعوة قد ثبت بما بيناه. إذن فلم يبقى من المسألة سوى إثبات الصورة التي يقوم بها جماعة التبليغ فإن الجماعة يخرجون العوام لغير بلادهم، ولكن الحديث الذي سقته عن ضمام فيه أن ضماما قام بالدعوة في قومه فقط دون غيرهم، حيث قال للنبي "وأني رسول قومي" وكذلك في حديث وفد عبد القيس الظاهر منه أن دعوتهم كانت لقومهم.

إلا أن هذا يرجع إلى أصل قولي - إن المقتضى لم يكن قائماً لإرسال العلماء من الصحابة بصورة جماعة التبليغ إلا أحياناً كما فعل رسول الله ﷺ مع أهل اليمن الذين أرسل معهم القراء فمن باب أولى أن يكون المقتضى غير قائم لإرسال العوام فإذا ثبت هذا لم يكن ترك السلف لإرسال العوام للدعوة بصورة جماعة التبليغ حجة في عدم المشروعية، حيث أنه قد وجد في زمننا المقتضى لإرسال العوام حسب ما قدمنا فثبتت مشروعية خروج العوام للدعوة بصورة

(١) صحيح البخاري» كتاب العلم» باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب(١٠٥).

خروج جماعة التبليغ، وأن لم يجر على ذلك عمل السلف ولتراجع المسألة قبل هذه فإن فيها سبب عدم وجود المقتضى(١).

إخواني وأحبابي: لو نظرنا في حياة الصحابة الكرام لوجدنا أن معظمهم أميين، فقد بين النبي أن هذه الأمة أمية، كما في الحديث: عن سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ [ﷺ] أَنَّهُ قَالَ:" إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا يَعْنِي مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ وَمَرَّةً ثَلَاثِينَ "(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ " فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ [ﷺ] فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ ، قَالَ : فَجَاءَ يَوْمًا غُلَامٌ يَبْكِي إِلَى أَبِيهِ ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ: ضَرَبَنِي مُعَلِّمِي ، قَالَ: الْخَبِيثُ ، يَطْلُبُ بِذَحْلِ بَدْرٍ ! وَاللهِ لَا تَأْتِيهِ أَبَدًا (٣).

وقال ابن القيم (رحمه الله): ثَبَتَ عَنْهُ [ﷺ] فِي الْأَسْرَى أَنَّهُ قَتَلَ بَعْضَهُمْ، وَمَنَّ عَلَى بَعْضِهِمْ، وَفَادَى بَعْضَهُمْ بِمَالٍ، وَبَعْضَهُمْ بِأَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتَرَقَّ بَعْضَهُمْ، وَلَكِنَّ الْمَعْرُوفَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَرِقَّ رَجُلًا بَالِغًا، وَفَادَى بَعْضَهُمْ عَلَى تَعْلِيمِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْكِتَابَةَ (٤).

---

(١) وجوب الدعوة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة للشيخ خالد عبد الرحمن.

(٢) صحيح البخاري» كتاب الصوم» بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ (١٨١٤).

(٣) مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » رقم الحديث: (٢١٣٤).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد» فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في الأقضية والأنكحة والبيوع » فَصْلٌ فِي حُكْمِهِ فِي الْأَسْرَى.

وإذا جاءت المصلحة للدعوة فكانوا يخرجون جميعا، وما كان رسول الله يقول للأمي لا تأتي معنا اجلس، ويقول للمتعلم أنت تأتي معنا، بل كانوا يخرجون جميعا، فمنهم من يقدم في بيان أهمية الدين أمام المدعويين ومنهم من يقوم في خدمتهم ومنهم من يقوم في الحراسة، وهكذا يتعاونون، كل واحد يدلو بدلوه في خدمة الدين.

وهناك شيء آخر أودُ أن ألفت انتباهكم إليه، أن الله تبارك وتعالى أمرنا بمخالفة طريق اليهود والنصارى، في تجميع المسلمين للصلاة، فإنه لم يعجبه ﷺ أمر البوق والناقوس، لأنها طرق اليهود والنصارى، فالذي يريد الدين الكامل فعليه بـ ((الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ)) . فالله أعطانا الدين وطريقة إقامة هذا الدين.

وكما أن الأذان شرع لتجميع المسلمين للصلاة .. فكذلك الدعوة إلى الله هدفها تجميع المسلمين على أعمال الدين .

وعندما اجتمعت قلوب الصحابة ﷺ واهتموا لهذا الأمر وكان الفكر واحد أتت النصرة .

فالصحابة بسبب وحدة فكرهم، واهتمامهم لأمر تجميع المسلمين على الصلاة، فالله أراهم الأذان، وصارت الأمة تنعم به منذ زمنهم إلى يوم القيامة بهذا الأذان .

ولما رأى الصحابي عبدالله بن زيد رؤيا الأذان قام وبلغها إلى رسول الله ﷺ ولم يكتم ما رآه بل بلغ فقط ما رآه وما عَرفهُ من هذا العلم .. وهذا هو حال كل مسلم في أمر تبليغ الدين .

ولما بلغها لرسول الله ﷺ، قال له: " فَقُمْ مَعَ بِلالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ " فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به.

والداعي يبلغ ما عنده للناس ولا يكتمه، وإن أدى ذلك إلى اشتهار من بَلَّغه ذلك العلم . فبلال ﷺ هو الذى أشتهر بهذا الأذان ، وليس عبد الله بن زيد ﷺ.

فالعبرة ليست بالاشتهار ولكن بالإخلاص.. فليس كل مشهور مقبول وليس كل مقبول مشهور .

وإن هذا هو ما يفعله البسطاء من أهل الدعوة والتبليغ عندما قاموا بهذا الهَمَّ وبالحُرقة لهذا الدين والجهد لنشر ما يعرفونه فقط من هذا الدين، وكثيرا ممن يجتهد في هذا الجهد ـ جهد الدعوة التبليغ ـ من ليس عنده ملكة الفصاحة ، يكون سببا في هداية هؤلاء الفصحاء .

وهذا الصحابي صاحب الرؤية ما حزن و ماحقد على بلال ﷺ ، وما حسده عندما قال له الرسول (ﷺ) أن يُعلمها له ويجهر بها لأنه أندى صوتا منه.. وكذلك الداعي إلى الله إذا وصل الخير على يد غيره من الناس لا يحزن ولا يحقد عليه .

والمؤذن قد يكون أقل علما ولا يعرف من الدين الكثير، ولكنه يرغب الناس للصلاة فيجتمعوا في المسجد على الإمام القارئ والأعلم.. كذلك الداعي قد يكون أقل علما ولكنه يجتهد لتجميع الناس على العلماء .

وليس على المؤذن إلا أن يكون على بصيرة بالأذان الشرعي .. وكذلك الداعي يكون على بصيرة بما يدعوا إليه فقط .

والمؤذن عند أذانه يدعو الناس لبيئة المسجد ليأتموا بالعَالِم، والعَالِم بدوره يُعلم المأمومين والمأموم يقتدي بإمامه.. فالأذان دعوة إجمالية خارج المسجد، والدعوة التفصيلية من العالم داخل المسجد.. كذلك الداعي يدعو الناس لبيئة الإصلاح، وعندما ينشرح صدر المدعو لهذا الدين نوجهه إلى العالم ليتعلم منه ما يحتاجه في دينه.

فالمؤذن قد لا يكون مفتيا ولكن المفتي قد يكون مؤذنا، كذلك الداعي إلى الله لايكون مفتيا ولكن المفتي يكون داعيا .

وبقيام العوام بالدعوة يوجهون الناس إلى العلماء ليأخذوا منهم العلم الشرعي .

والمؤذن قد لا يعرف القراءة والكتابة، وكذلك الداعي لا يشترط فيه أن يعرف القراءة والكتابة، فالمؤذن العامي يؤذن في وجود العَالِم، كذلك الداعي العامي يقوم بالدعوة في وجود العلماء.

والأذان ليس في كلماته قرآن .. كذلك الداعي في دعوته لا يشترط أن يَذكر آيات قرآنية في كلامه.

وليس شرطا أن يكون المؤذن حافظا للقرآن .. كذلك الداعي، فليدعو بما معه من آيات ولو آية ، فالصلاة لا بد لها من سبع آيات وهى الفاتحة ، أما الدعوة حتى ولو آية كونية يُذَكِّر بها.

إن علم الداعي حده آية، ولكن يحتاج إلى الصفات والأخلاقيات، وأن يكون متجرداً لله في دعوته، لا مطمع مادي ولا نفسي .

المؤذن يؤذن بالطريقة الشرعية المسنونة وبألفاظه الواردة منذ زمن النبي(ﷺ) وحتى زماننا وفي كل العالم، ويُكره التغني والتطريب واللحن، الذي

لا يغير المعنى، فإذا غير المعنى تغييرا غير مقبول شرعا، أو أدخل فيه ما ليس منه ، فإن الأذان لا يصح .

كذلك الداعي يقوم بدعوته بالطريقة الشرعية المسنونة وبأصولها الثابتة .. والدعوة إذا كانت بالطريقة غير الصحيحة المشروعة فإنها لا تصح .

وجهد الدعوة والتبليغ ترتيبه واحد في كل أنحاء العالم لا يتغير وبمنهاج النبوة ، وهذا من فضل الله علينا .

والدعوة قبل القتال ، فالأذان إذا وجد في بلد فكان الصحابة ﷺ لا يُغيروا عليها فتحفظ بسبب الأذان .

وكذلك إذا وجدت الدعوة في بلد، فيحفظ هذا البلد من العذاب، (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) (١).

والأذان دعوة إلى الصلاة، ويكون قبل الصلاة، وكذلك الدعوة مقدمة على العبادات . فالدعوة كانت قبل العبادات في التشريع .. وكما أن الأذان يكون سببا في حفظ الصلاة وإقامتها ، فالدعوة تحفظ العبادة .

والأذان دعوة لكل فئات المسلمين ، الكبير والصغير، والعالم والعامي، والحاكم والمحكوم ولجميع المهن والوظائف، والجميع يأتي لبيئة التربية في المسجد، ويقفوا في الصف خلف إمام واحد، لافرق بين عربي وأعجمي، وحاكم ومحكوم ، فالجميع سواسية، يحتاجون لهذه التربية .كذلك الأذان يقوم به جميع الفئات والأجناس في كل العالم .. والدعوة كذلك يقوم بها جميع الفئات والأجناس في كل العالم .

والمؤذن أثناء آذانه فكل من يستمع له عليه أن يردد الأذان ، فكما أن المؤذن يقوم بالدعوة والمستمعين له أيضا عليهم أن يقوموا بالدعوة .

والمؤذن يؤذن في عدم وجود الإمام فهذا ليس شرطا لصحة الأذان، كذلك الدعوة إلى الله سواء انفراديا أو جماعيا ليس شرطا لها وجود الإمام.

---

(١) سورة هود: من الآية ١٧.

والمؤذن يقوم وحده يؤذن وليس في جماعة ، بخلاف الصلاة لابد لها من الجماعة - أي صلاة الفريضة - كذلك الداعي هو وحده أمة يمكن أن يقوم بالدعوة بمفرده ولو لم توجد الجماعة ، كإبراهيم (عليه السلام) ، ومحمد (عليه السلام) وكل الأنبياء قاموا بالدعوة بمفردهم ثم وجدت الجماعة .

فالداعي له الدعوة الانفرادية التي هي أساس مهم جدا للداعي فبدون هذه الدعوة الانفرادية يضعف الإيمان في قلب الداعي .

الأذان دعوة لإقامة الصلاة في المسجد فلابد من ترك النوم والشهوات والأشغال والذهاب للمسجد وتفريغ وقت لذلك.. أي لا بد من التضحية وهذا هو أساس قيام هذا الدين .

إن الأذان له أوقات محددة ومعلومة، لإعلام الناس بوقت الصلاة .. كذلك الدعوة والتربية تحتاج إلى أوقات محددة .

لذلك كان الأذان الذي هو دعوة لبيئة المسجد مع الصحبة - أي الجماعة - مع المنهج الإصلاحي آلا وهو الصلاة، له مواقيت محددة يعلمها الناس ليجتمعوا مع بعض ، وليأتوا إلى هذه البيئة ، ويتركوا أشغالهم وشهواتهم ، للتربية على الإيمان والأعمال الصالحة .

إن الله سبحانه وتعالى سمى الأذان " النداء " فالمؤذن ماهو إلا منادي ينادي على هذه البضاعة الغـالية بضاعة الدين كذلك الداعي ينادي للإيمان .

إن الأذان يوقظ لفريضة الصلاة ، وكذلك الدعوة توقظ قلب الداعي لأعمال الدين .

وشرع آذانين في الفجر ، لأن شدة الغفلة متحققة في هذا الوقت فزيد الأذان الثاني، وهو قبل حلول الوقت، وكذلك كلما اشتدت المعاصي والذنـوب وظلمة الكفر ، احتاج الأمر إلى مضاعفة جهد الدعوة .

وكذلك الأذان أثناء النهار يكون له كلمات معينة ، ولكن أثناء النوم زيد في الترغيب على الصلاة قوله : ((الصلاة خير من النوم)) . كذلك الداعي يزيد في الترغيب كلما زادت غفلة المدعو . وماذلك إلا ليحفظ نفسه من الغفلة .

والأذان تذكير للراغب والغـافل الغير راغب . ولكن الحبيب يأتي قبل الوقت .

كذلك الدعوة لتذكير الراغب والغافل الغير راغب . ولكن الحبيب قليل .

وفي الأذان الأول يستيقظ بعض الناس وفي الثاني يستيقظ البعض الآخر ، وهناك من لايستيقظ كذلك هناك من يستجيب للدعوة أولا وهناك من يتأخر ، وكذلك هناك من لايأتي ولايستجيب .

((الصلاة خير من النوم)) قالها بلال ﷺ لخير خلق الله (ﷺ) الذي لايغفل عن ذكر الله . كذلك الدعوة يحتاجها كل الناس حتى لو كانوا الدعاة أنفسهم .

فالمؤذن في الظاهر أن أذانه دعوة للناس للحضور للصلاة ، ولكن هو المقصود أولا . كذلك الداعي هو المقصود بالدعوة لتربيته .

والمؤذن عند قيامه بالأذان فإن الشيطان يفر وله ضراط حتى لايسمع التأذين.

كذلك الذي يقوم بالدعوة فإن الشيطان يفر منه، ولايكون له سبيل على هذا الداعي .

فالداعي مثل الهـــدف المتحرك يصعب إصابتة ، أما العابد فهو مثل الهدف الساكن يسهل إصابته .. فالمتحرك يؤثر في الساكن.

الأذان دعوة للمسلمين . المؤذن يدعو المسلم للصلاة ويذكره .

أما الكافر فغير مقصود بهذا الأذان .. وإن كان من الممكن أن يتأثر به وينشرح صدره للإسلام .

كذلك الدعوة للمسلمين لا كما يظن بعض الناس أن الدعوة لغير المسلم فقط .

إن المؤذن عندما يقوم بالأذان فلا يذكر أمراض الأمة أثناء آذانه فلا يقول مثلا " ياتارك الصلاة حي على الصلاة " بل آذانه ترغيب على الصلاة ((حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ)) ((حَيَّ عَلَى الْفَلاحِ)) .

كذلك الداعي أثناء دعوته عليه أن يذكر العلاج للأمراض الموجودة في الأمة، وأن يكون كلامه ترغيب، وليس فيه توبيخ أو ذكر لهذه الأمراض .

والمؤذن عندما يرغب إلى الصلاة في البيئة الصالحة، هو في نفس الوقت ينهى عن ترك البيئة الفاسدة ومالا يعني .

ولا يشترط في المؤذن أن يكون كـامل الحال، ولكن قد يكون عنده تقصير في بعض الأوامر، وعنده ذنـوب ومعاصي.. كذلك لا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال .

إن كلمات الأذان دعوة تامة، وهي تشتمل على أمرين هما صلب الأذان وباقي الكلمات ترغيب للأمرين:

الأمـــــر الأول : هو الكلمة الطيبة كلمة الإيمان : ((أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ)) و ((حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ)) .

والأمر الثاني: فإن باقي كلمات الأذان هي تذكير بأن اللهُ أَكْبَرُ وأعظم مما في أيدينا، وترغيب على أن الفوز والفلاح في الصلاة وذهابه لبيئة المسجد، حيث البيئة والصحبة والمنهج .

كذلك منهج أهل الدعوة والتبليغ هذا المنهج مستمد من ((الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ)) فعندما قدم الشيخ محمد إلياس منهج الصفات الستة لم يتخذها بديلا عن أركان الإسلام الخمسة فهذه الصفات منهج تربوي للوصول إلى كمال الدين في حياتنا إن شاء الله تعالى .

إن المؤذن لايغير من كلمات الأذان في كل وقت من أوقات الصلاة فالتكرار مقصود في تربية الداعي والمدعو وماذلك إلا ليصير له عمق فيما يدعو إليه .. فقصة موسى عليه السلام تكررت في عشرين جزءً ، وكذلك قول الله تعالى: (فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) تكررت ٣١ مرة، وهذا التكرار مطلوب.

والأذان في مصر هو نفس الأذان في السعودية، وهو نفس الأذان في كل بقاع الأرض، بنفس الألفاظ ونفس المنهج .. كذلك الدعوة وحدة فِكرها ووحدة كلامها على مستوى العالم، وهذا واضح فيما يفعله أهل الدعوة والتبليغ .

والأذان بدأ بتكبير الله أولا ((اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ)) . كذلك الداعي يكبر الله أولا في قلوب الناس كما أمر الله رسوله ﷺ في أول الأمر (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) . ثم يذكرهم بحقوقه عليهم : ((أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ . أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ)) .

المؤذن عندما يقوم بالأذان فمن الناس من يستجيب لندائه وهناك من لا يستجيب . وعدم استجابة المدعو لهذا النداء لا يكون سببا لترك الأذان ، أو فساد الناس يكون سببا لتـرك الأذان ، فالداعي هو المقصود بدعوته.

إن المؤذن لشعوره بالمسئولية تجاه الأذان، وأنه هو المكلف بهذا العمل فهو يكون دائما مراقب لوقت هذا العمل ولا يستطيع أن يتخلف عن هذا العمل، لشعوره أنه هو المسئول الوحيد عن الأذان، وهذا الشعور يجعله دائما في المسجد قبل الأذان، وهذا مما يجعله لا تفوته صلاة الجماعة.

كذلك الداعي إلى الله أهم شيء لابد أن يكون عنده هو شعور المسئولية تجاه عمل الدعوة . وهذا يجعله دائما لا يتخلف عن أعمال الهداية .

إن المؤذن لديه شعور بالمسئولية تجاه الأذان، فهو مؤتمن - يعني أن المؤذن أمين الناس على صلاتهم وصيامهم - وكذلك لتهيئة البيئة في المسجد للمصلين، لإقامة الصلاة المفروضة، التي فيها نتربى على تكبير الله وتعظيمه في قلوبنا وامتثال أمره ﷻ حيث قال: (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (١).. كذلك نحن علينا مسئولية إقامة البيئة الإيمانية في العالم !.

والمؤذن قد يكون من العوام، ولكن هو يقوم بالدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، في وجود العالم، ومن هو أعلم وأفقه منه .. فبلال ﷺ أذن بين يدي إمام الدعاة ﷺ .

إن الأذان يكون سببا لإخماد نار الصراع النفسي، ونار الصراع بين الناس .. التي يشعلها عدونا إبليس وجنوده .. كذلك الدعوة إلى الله بمنهاج النبوة تكون سببا لإخماد نار الصراع والفتن بين الشعوب، وبين الدول، وتكون سببا لنشر الألفة والمحبة بين الناس .

---

(١) سورة العلق: من الآية ١٩.

من سنن الأذان أن يكون خارج المسجد، فكل الناس تراه، حتى البعيد عنه، ولايسمع آذانه، فإن حاله وهيئته يعلم منها أنه يدعو إلى الصلاة، فيستجيب له، أو لايستجيب .

كذلك الدعوة الحقيقة تكون خارج المسجد ويعرض نفسه على الناس ، سواء استجاب المدعو أو لم يستجيب .. كان النبي (ﷺ) يمشي في حواري مكة ويقول: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا : لا إِلَهَ إِلا اللهُ تُفْلِحُوا)) .

إن المؤذن لما يقوم للأذان يضع أصبعه في أذنه وهذا من السنة.

كذلك الداعي عليه أن يجتهد في إبلاغ الحق الذي معه وأن لايفتح أذنه لكل ماحوله من باطل ، فهو أثناء تجواله وسعيه سوف يسمع من الناس كلام الباطل.

من سنن الأذان أن المؤذن يلتفت عند قوله: ((حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ)) ((حَيَّ عَلَى الْفَلاحِ)) يمينا ويسارا ليعم صوته أقصى ما يستطيع من الجهات ولا يستطيع ذلك المصلي وإلا بطلت صلاته.. كذلك الداعي يتجول في جميع الجهات لتبليغ دين الله – عز وجل – بقدر الاستطاعة فالداعي عالمي، بخلاف المصلي ليس له إلا حدود معينة وهي مسجده ولا تشد الرحال إلا لثلاث مساجد أما الداعي فله جميع المساجد في العالم كله .

وبفضل الله كما أن الأذان لايتوقف في العالم كله ، كذلك بسبب هذا الجهد المبارك، وبسبب جهد هؤلاء الذين قدموا من أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم، لاتتوقف الدعوة في جميع أنحاء العالم .

إن قيام المؤذن بالأذان بطريقة غير مشروعة، وفيها مخالفات، وابتدع في الأذان، سواء في ألفاظه أو بالزيادة على ألفاظه، ليس هذا قدحا في منهجية الأذان الشرعي الصحيح، وهذا المؤذن المبتدع لاتكون بدعته مدعاة لترك الأذان الشرعي، ولا تقدح بدعته في باقي المؤذنين الذين يؤذنون بالطريقة الشرعية.

كذلك هل إذا شارك في هذا الجهد – الخروج في سبيل الله – من هو متلبس ببعض البدع هل نتهم كل الجهد بأنه بدعة، ونحكم على كل المشاركين في هذا الجهد بأنهم مبتدعين، وهب أنهم مبتدعين هل يتسنى لك أنت أن تترك هذا الجهد والتضحية له، وبذل ما في وسعك في سبيل الله لنشر الهداية .

إن المؤذن يكون رجلا ولا يصح الأذان من المرأة .. ولكن يشرع لها الأذان والإقامة في حدود البيت . كذلك الدعوة من الرجال بترتيب جهد الرجال . والمرأة لها حدود معينة ولها ترتيب خاص في الدعوة .

إن المؤذن يكون متطوعا ولا يأخذ على أذانه أجرا، ويكون مخلصا في أذانه لكي يقبل الله منه هذه العبادة.. كذلك الداعي إلى الله لقبول دعوته عليه أن يُخلص دعوته لله فقط .

إن الإقامة للصلاة كلماتها أقل من كلمات الأذان كما ورد في إحدى الروايتين، حيث أن الإقامة للراغبين الذين أتوا للمسجد ولكن الأذان لغير الراغبين والراغبين.

كذلك الكلام في الدعوة مع الراغبين يكون قليلا فتنشأ عندهم الرغبة للأعمال في البيئة الصالحة (المسجد) ولكن غير الراغبين يكون الكلام معهم كثيرا كالأذان .

والإقامة دعوة لإقامة عمل الصلاة داخل المسجد ، فالإقامة أذان كما في الحديث: ((بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ)) متفق عليه.. كذلك الدعوة داخل المسجد مع الراغبين لإقامة أعمال الدين .

المؤذن عند الإقامة يكون هو أول واحد قائم للصلاة - وهذا حال من أحوال الإقامة أن من يقيم يكون قائم - فهو الآن حاله استوى وكمل لما أراد أن يدعو المصلين لإقامة الصلاة، بأن يكونوا مثله . كذلك الداعي لابد أن يكون هو أولا قائما على ما يدعو إليه .

إذا كان المؤذن مع أن عمله في الظاهر بسيط، حيث أنه يحرك لسانه فقط بالدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، ولكن كم له من الأجور التي أخبر عنها رسول الله ﷺ .

فكم يكون أجر هذا الداعي الذي يحرك جسده كله وينفق ماله ويضحي بشهواته من أجل الدعوة إلى الله (١).

إخواني وأحبابي: أرجو أن المؤذن بأذانه قد وضح لنا كثير من الأسئلة التي تدور في صدورنا.. حول هذا الموضوع .

---

(١) الدعوة التامة للشيخ محمد إبراهيم، والمنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة بقلم المؤلف.

ولكن هناك دور كبير لقيام العلماء بالدعوة إلى الله مع العوام:

♦ فمثلا: **عندما تشب الحرائق فيقوم الأطفال ينادون في الشوارع:** حريق! حريق! فيتنبه لذلك الكبار فيقومون لإطفاء الحريق، فكذلك إذا شب حريق المعاصي في الأمة فيقوم العوام، وينادون: الدين! الدين!، فيتنبه العلماء ويقومون بالدعوة في الأمة لإطفاء الحريق.

♦ **وعندما ينتشر مرض وبائي: فتقرر وزارة الصحة بتجريع جميع الناس بالمصل المقرر لاستئصال هذا المرض،** فتقوم الممرضات والعمال لتجريع الناس، ولا يتم ذلك إلا في وجود الأطباء، حتى لا يتم إعطاء الجرعة بطريق الخطأ .. فكذلك عندما يستشري مرض المعصية والبعد عن الله، يقوم كل الناس للدعوة إلى الله يقوم كل الناس للدعوة والعلماء بينهم يوجهونهم إلى حكمة الدعوة وإلى منهج النبوة في الدعوة إلى الله.

♦ مهمة العلماء وعموم الأمة [**مثال لتوضيح هذا الأمر**]: مهمة كرات الدم الحمراء توصيل الغذاء إلى جميع الجسم ومهمة كرات الدم البيضاء مهاجمة الأعداء التى تريد الدخول إلى الجسم .

والاثنين فى حركة مستمرة مما يعمل على تجديد الدم وكذلك أمة النبى صلى الله عليه وسلم مأمورة بالحركة والدعوة حتى تقوم بإيصال الغذاء الروحى إلى

البشرية والعلماء مثل كرات الدم البيضاء للدفاع عن الأمة فى حالة الدعوة والاثنين فى حركة مستمرة مما يعمل على تجديد الإيمان عند الاثنين (١).

♣ وهذا المثل يوضح أهمية تكاتف العلماء مع العوام في تبليغ الدين: من الواضح أن القوات المسلحة لكل دولة فى العالم إنما هى لحماية الحدود والأعراض وكل ما هو فى داخل البلد وخارجه .

فهى تحارب العدوان على الحدود ، فإن دخل البلاد فإنها تحارب فى داخلها حسب القواعد العسكرية فتحمى شعبها من كل ضار وسوء .

فهى مسئولة عن الشعب فى سواد الليل وبياض النهار ، ومستعدة لحمايته بكل وسائل يمكن للبشر إستخدامها ، والشعب مشغول فى مآربه ، أو مستريح فى جدران البيوت والقصور .....إلخ .

ولكنه إذا غزا جيش العدو ودخل البلاد وخاصة فى العمران فلم تبق المسئولية مسئولية الجيش فقط ، وإنما تقع حينئذ المسئولية على عاتق كل من يقطن هذا البلد أن يحمى نفسه وعرضه ووطنه وأهله .

وإذا قال أحد – فى مثل تلك الظروف – أن المسئولية كانت على عاتق الجيش الذى تُصرف عليه معظم أموال الدولة ، وجلس مكتوف الأيدى فى مقاعد المتفرجين فالهلاك له ولقومه نتيجة حتمية، لا يحول دونه أحد. وكان هذا لحماية الجسم والأشياء المادية مع حماية الأعراض .

---

(١) كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله بقلم المؤلف.

أما فى مجال المسائل المعنوية وبالتحديد المسائل الإيمانية ، فنقول وبالله نستعين إن العلماء والدعاة هم أول من تقع المسئولية على عاتقهم ، ولكن العدو فى كثرة ، وأصبحت الخيانة مباحة ، ودخلت جيوش العدو فى داخل بيوت المسلمين، وتسير أفواج الشياطين كسريان الدم فى الشرايين ، وعجزت أجهزة الدعوة بسبب ضعفها - من جميع النواحى - عن حماية إيمان شعبها ، ففى تلك الظروف لم ولن تنحصر مسئولية الدعوة إلى الله أو إبلاغ رسالة خاتم الأنبياء والتمسك بالكتاب والسنة على الدعاة والمشايخ وعلماء الإسلام فحسب، بل يجب على كل مسلم ومسلمة أن يساهم فى الدفاع عن تلك الهجمات العنيفة التى يقوم بها العدو من الخارج والداخل حيث أصبحت حصوننا مهددة من داخلها، وخارجها، وأشهر العدو جميع أسلحته لتدمير الإسلام وإبادة المسلمين(١). .

٨ وعندما يفرغ العوام وقتا للدعوة: فلابد من العلماء كذلك أن يفرغوا وقتا ويخرجون معهم لتعليمهم أصول الدين وأصول الدعوة.. وقد يعترض بعض العلماء على أهل التبليغ حينما يشكلونهم على الخروج في سبيل الله فيقولون نحن أهل العلم كيف تدعوننا لنخرج معكم ونحن قد خرجنا من الجامعات وتعلمنا الدين وأصوله، ويذكرني قولا سمعته من الدكتور نعمان أبو

---

(١) أهمية الدعوة والتبليغ في الإسلام ومدى وجوب اهتمام المسلمين بها _ هل يجب تبليغ الدعوة على كل مسلم ومسلمة؟ صـ ١٠٤.

الليل(حفظه الله) قال: في الجامعة قلت لطلاب العلم أنتم الآن في سجن الدعوة، ولكن ميدان الدعوة الخروج في سبيل الله.

♠ **يقول الدكتور عبد الخالق بيرزاده: سألني فضيلة الأستاذ الدكتور يوسف صلاح الدين{ وكان رئيس قسمى اللغة الفارسية واللغة الأردية، ووكيل كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر عام ١٩٨٥ م }** ، قائلا : ماذا يقصد أهل الدعوة والتبليغ ، إنهم يأتون إلينا ويدعوننا للخروج فى سبيل الله معهم والمشاركة فى أعمالهم ، فهل نترك أعمالنا فى الجامعة ونذهب معهم إلى المساجد ، ونجلس فى حلقاتهم التى تعقد لتعليم المسائل التى تعلمناها قبل خمسين عاما ؟!.

فقلت له – باحترام شديد – هل تعتقد سيادتك أن الساكنين فى منطقتكم يعرفون جميعا أساسيات الدين من العقائد والعبادات والمعاملات ، قال: كلا ، بل أكثرهم لا يعرفون من الدين شيئا ، ولا يرغبون فى أن يعرفوا .

قلت: إذا رغب عدد منهم فى المعرفة بالدين، فهل لديكم نظام يتكفل بتعليمهم وتدريبهم العملى فى جميع شئون الحياة الدينية ؟ فقال: كلا .

فقلت: إذا رغب عدد من هؤلاء فى معرفة أساس الدين الذى فرضه الله على الجميع، واستعدوا لتعليم وتعلم مسائل الدين الأساسية ، وطلبوا من سيادتكم الإشراف على هذه الأعمال المباركة لمدة قصيرة جدا ومحدودة أوقاتها .

فماذا يكون شعورك نحو طلبهم، فقام سيادته متحمسا وقال: سأعطيهم من الوقت كما يشاءون ، وسأشرف عليهم حق الإشراف .

فقلت لسيادته: هذا هو ما يطلبه أهل الدعوة والتبليغ، وليس أكثر من ذلك.

فقال الدكتور: إذا كان كذلك فهذا أمر عظيم ، وإذا عم ذلك فى البلاد فسيكون نقطة التحول نحو أصول الدين الحقيقية (١).

♣ **و الصحابي الجليل معاذ بن جبل (رضي الله عنه) مناقبه كثيرة نذكر منها:**

١ . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ):" أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِّ عُمَرُ وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ " (٢) .

٢ . وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ): (مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ) (٣) .

---

(١) كتاب أهمية العلم والذكر في الإسلام ومدى احتياج الإنسان إليها صـــ ٩٥ .

(٢) سنن الترمذي» كتاب المناقب» بَاب مَنَاقِبِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (٣٧٩٠).

(٣) المعجم الكبير» باب الميم» من اسمه معاذ» معاذ بن جبل الأنصاري» ذكر مشاهد معاذ وسنه ووفاته ومن أخباره (٤١)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» المهاجرون من الصحابة» مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ.

٣. عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ قَالَ: بَيْنَمَا عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُهُمْ إِذْ قَالَ: إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِين. (١) .

٤. عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : قَرَأَ عَبْدُ اللهِ : إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا . فَقَالَ لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نَوْفَلٍ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ، فَأَعَادَهَا ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْأُمَّةَ مُعَلِّمُ الْخَيْرِ ، وَالْقَانِتُ الْمُطِيعُ ، وَإِنَّ مُعَاذًا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - كَانَ كَذَلِكَ (٢).

ومعاذ من الأنصار صحب النبي حوالى تسع سنوات في المدينة يشهد معه المشاهد، ولما فتح مكة تركه فيها ليفقه أهلها، وبعدما جاء إلى المدينة بعثه إلا اليمن، فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) إِلَى الْيَمَنِ ، خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يُوصِيهِ ، وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ : " يَا مُعَاذُ ! إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا وَقَبْرِي " فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ثُمَّ الْتَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : " إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِيَ الْمُتَّقُونَ ، مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا " رَوَى الْأَحَادِيثَ الْأَرْبَعَةَ أَحْمَدُ (٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مشكاة المصابيح» كتاب الآداب» كتاب الرقاق_(٥٢٢٧).

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): يَا معاذ انْطَلِقْ فَارْحَلْ رَاحِلَتَكَ ثُمَّ إِيتِنِي أَبْعَثُكَ إِلَى الْيَمَنِ. فَانْطَلَقْتُ فَرَحَّلْتُ رَاحِلَتِي ثُمَّ جِئْتُ فَوَقَفْتُ بِبَابِ الْمَسْجِدِ حَتَّى أَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذَ بِيَدِي ثُمَّ مَضَى مَعِي، فَقَالَ: يَا معاذ إِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ وَصِدْقِ الْحَدِيثِ وَوَفَاءٍ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَتَرْكِ الْخِيَانَةِ وَرَحْمَةِ الْيَتِيمِ وَحِفْظِ الْجَارِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ وَبَذْلِ السَّلَامِ وَلِينِ الْكَلَامِ وَلُزُومِ الْإِيمَانِ وَالتَّفَقُّهِ فِي الْقُرْآنِ وَحُبِّ الْآخِرَةِ وَالْجَزَعِ مِنَ الْحِسَابِ وَقِصَرِ الْأَمَلِ وَحُسْنِ الْعَمَلِ. وَأَنْهَاكَ أَنْ تَشْتُمَ مُسْلِمًا أَوْ تُكَذِّبَ صَادِقًا أَوْ تُصَدِّقَ كَاذِبًا أَوْ تَعْصِيَ إِمَامًا عَادِلًا، يَا مُعَاذُ اذْكُرِ اللهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ، وَأَحْدِثْ مَعَ كُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً، السِّرِّ بِالسِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ بِالْعَلَانِيَةِ). رَوَاهُ ابْنُ عُمَرَ نَحْوَهُ(١).

ثم يذهب إلى الشام ، ويصيبه طاعون عمواس عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ ، قَالَ : وَقَعَ الطَّاعُونُ بِالشَّامِ ، فَخَطَبَ النَّاسَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَقَالَ : هَذَا الطَّاعُونُ رِجْزٌ ، فَفِرُّوا مِنْهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ ، فَغَضِبَ ، وَجَاءَ يَجُرُّ ثَوْبَهُ ، وَنَعْلَاهُ فِي يَدِهِ ، فَقَالَ : صَحِبْتُ

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» المهاجرون من الصحابة» معاذ بن جبل» وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم له حين بعثه إلى اليمن وما يتصل بذاك.

رَسُولَ اللهِ (ﷺ) وَلَكِنَّهُ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ ، وَوَفَاةُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ . فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَصِيبَ آلِ مُعَاذٍ الْأَوْفَرَ .

فَمَاتَتِ ابْنَتَاهُ ، فَدَفَنَهُمَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ . وَطُعِنَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ ، يَعْنِي لِابْنِهِ ، لَمَّا سَأَلَهُ : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَ : الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ قَالَ : سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ قَالَ : وَطُعِنَ مُعَاذٌ فِي كَفِّهِ ، فَجَعَلَ يُقَلِّبُهَا ، وَيَقُولُ : هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ . فَإِذَا سُرِّيَ عَنْهُ ، قَالَ : رَبِّ ، غُمَّ غَمَّكَ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ .

وَرَأَى رَجُلًا يَبْكِي ، قَالَ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ: مَا أَبْكِي عَلَى دُنْيَا كَنْتُ أَصَبْتُهَا مِنْكَ ، وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي كُنْتَ أُصِيبُهُ مِنْكَ ، قَالَ : وَلَا تُبْكِهِ ؛ فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ - كَانَ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ بِهَا عِلْمٌ ، فَآتَاهُ اللهُ عِلْمًا ، فَإِنْ أَنَا مُتُّ ، فَاطْلُبِ الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةٍ : عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ ، وَعُوَيْمِرٍ أَبِي الدَّرْدَاءِ (١).أود من إيراد هذه الحياة الحافلة بالمجاهدة أن أُبين كيف تكون حياة العلماء وتضحياتهم من أجل الدين وعدم ركونهم إلى الدنيا وزخارفها.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

السؤال الرابع عشر

س: ما الفرق بين : حديث: (منْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيهِ) (١)، **وحديث** : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ (٢)، وهل ترك العبد ما لايعنيه هو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟.

ج: يقول الشيخ العثيمين :(**رحمه الله**): لا، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يعني الإنسان، كما قال الله عزّ وجل: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (٣)، فلو رأيت إنساناً على منكر وقلت له: يا أخي هذا منكر لايجوز. فليس له الحق أن يقول: هذا لايعنيك، ولو قاله لم يقبل منه، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني الأمة الإسلامية كلها.

ومن ذلك أيضاً: ما يتعلق بالأهل والأبناء والبنات فإنه يعني راعي البيت أن يدلّهم على الخير ويأمرهم به ويحذرهم من الشر وينهاهم عنه. قال الله عزّ وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (٤)(٥).

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه، عن أبي هريرة.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(٣) سورة آل عمران - الآية ١٠٤.

(٤) سورة التحريم - الآية ٦.

(٥) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

وقد سُئِلَ الإمام ابن باز (رحمه الله): ما هو الفرق بين حديث الرسول (ﷺ): (مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيهِ) (١)،، وبين حديث الرسول (ﷺ): (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ..) إلى آخر الحديث؟. فقال: ليس بينهما تعارض، هذا معناه شيء وهذا معناه شيء (مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيهِ) شيء ما يعنيه ولا له فيه دخل ولا يهمه لا يتعرض له ولا يدخل نفسه في شيء ما له فيه لزوم، إنسان يشاور أخاه، يقول: أيش تقولون؟ ويش عليه منهم، وش يضره، إنسان ذهب يزور أخاه، يقول له: ليش تزوره؟ ويش تبغي تزورة، يعني لا يسأل عما لا يعنيه ما لا يهمه الشيء ما له فيه لزوم لا يسأل عنه، لا يتدخل فيما لا يعنيه، أما المنكر فهو يعنيه، الرسول أمر بإنكار المنكر، بل الله أمر بذلك، قال- جل وعلا-: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (٢)، فالمؤمن مأمور بهذا، وقال- سبحانه وتعالى-:(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (٣)، ويقول- جل وعلا-: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه، عن أبي هريرة.

(٢) سورة آل عمران - الآية ١٠٤.

(٣) سورة آل عمران - الآية ١١٠.

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (١)، ويقول النبي [ﷺ]: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)، هذا يعني المؤمن، يعني كل مؤمن، وكل مؤمنة، بل واجب على الجميع إنكار المنكر، ليس داخل في حديث (مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيهِ) (٢)، هذا شيء وهذا شيء(٣).

۞ علاقة النهى عن المنكر وترك ما لا يعني [في منهج الشيخ إلياس- رحمه الله-] : يقول الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى[رحمه الله] : إن العمل الصالح والعلم النافع هما ثروتان، فإن لم ينورهما الإنسان بنور مصباح الذكر يسرقهما السارق ، فإن نور الذكر يحميهما ، ولكن الشيطان لا يمكث ساكتا ، بل يبذل جهوده لإطفاء جذوة هذا المصباح مثيرا للعواصف المدمرة لكل ما يملكه المؤمن من حلاوة الإيمان ، وما تلك العواصف إلا اللهو واللعب والإشتغال بما لا يعنى حياة المسلم .

أما فى شرح معانى كلمة (ما لا يَعْنِي) فكان الشيخ محمد إلياس يستخدم أساليب متعددة حتى يفهم الجميع ، فمثلا يقول: إن الزعم الباطل وتحقير

---

(١) سورة التوبة - الآية ٧١ .

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه، عن أبي هريرة.

(٣) موقع ابن باز على شبكة النت.

الناس والتجسس على أمور الآخرين وكل ما يسبب البعد عن الدعوة إلى الحق أو يمنع عن سبيلها أو يلفت النظر عنها ، كل ذلك يعتبر من قبيل (ما لا يَعْنِي) فالواجب على كل مسلم ـ سواء كان عالما أو جاهـلا ـ أن يترقب عمله ويعرف كل ما يحدث النقص فيه ، ويجب أن يستمر فى هذه المراقبة حتى آخر أنفاس حياته .

ويقول كذلك : (إن معنى (ترك ما لا يَعْنِي) هو ترك جميع الأمور التى تسبب التشكك والتردد والزعم الباطل ، واختيار كل ما يؤدى إلى اليقين الكامل ويبعده عن شر الزعم والتشكك .

ويقول : أليس القرب الإلهى فى الإتيان بالأوامر بقدر ما هو اجتناب ما نهى الله عنه .

ويقول الشيخ (رحمه الله): إن المراد بكلمة (ما لا يَعْنِي) هو جميع الأعمال التى لاصلة لها بالأوامر الإلهية ولاتفيد ولاتنفع فى الوصول إلى السعادة الحقيقية وفى إعلاء كلمة الحق) .

ويقول أيضا : معنى ترك مالا يعنى هو : ترك كل مالا يفيد من الناحية الدينية ولا تكون من المتطلبات المادية الأساسية للبشر .

ويقول : إن التحدث فيما لا يعنى أو العمل به يؤثر على جمال الصلاة وأنوارها .

ويقول : إن علاج المرض سنة أما الوقاية فهى واجبة.

ويقول : يسهل الوقوع فى اقتراف الذنوب حين إطفاء النور بسبب الوقوع فى ما لا يعنى .

ويقول: إن قوة الإشتغال فى الأمور الدنيوية أكثر من قوة الإشتغال بالأمور الدينية الحقة، إذ إن اصطلاح (فرق المراتب) يطلق ـ عند العلماء ـ على زلة النفس أمام أوامر الله، وعدم اعتبار النفس أمامها ، وجعل الأمور المادية تابعة للأحكام الدينية .

ويقول : إن المحرمات تكدر الحسنات ، والأعمال التى لا تعنى حياة المسلم تخمد بها الأنوار التى تحملها الأعمال الصالحة .

وبعد إيضاح معانى (ترك ما لا يَعْنِي) يدعو الشيخ إلى القيام بالمنهج التدريبى فى هذا المجال فيقول : قوموا بالتدريب العملى لأربعة أشهر ، حتى تكسر قوة الشهوات وأهواء النفس، فإن القيام بالأعمال التى ترغب فيها النفس الأمارة يولد الظلمات، حيث يشغل الإنسان بالمأكل والمشرب حتى تسيطر عليه أفكار طلب المعاش والمادة.

فالتدريب فى هذه الفترة يقتضى أن يركز الإنسان فكره فى أنه سيموت يوما ويدفن فى القبر، وسيمتثل بالحضور أمام مالك يوم الدين، فالمطلوب هو تغيير طريق العمل، مجبرا النفس وأهواءها على ترك المنكرات والإنشغال بالطاعات لأن هذا التغيير والإنقلاب الجذرى فى مجال تربية النفس وغصلاحها يؤدى إلى مصلحة البشرية كلها وخاصة الأجيال القادمة .

إن جميع تلك الأقوال وأمثالها للشيخ محمد إلياس تهدف إلى غرض واحد ، هو ترويج الصالحات فى الحياة الفردية والإجتماعية ، والإبتعاد عن السيئات حتى تتجلى سنة الله على مائدة الأعمال الحية فيعتاد عليها الناس ، وتبذل لها الجهود ومن ثم ترقى تلك الأعمال فى الأجيال القادمة صاعدا فصاعدا ، حتى يقوم كل واحد بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويكون الدين كله لله .

وقد استخدم الشيخ محمد إلياس (لإقناع الناس هذه الحقيقة) ، أمثلة متنوعة تحث الوجدان وتشجع القائمين عليها فمثلا يقول : (اعملوا بقدر استطاعتكم ثم اتركوا الأمر على الله ، وتوكلوا عليه ، انظروا إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ترك ابنه وزوجته فى الصحراء ـ (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) (١) ـ فهل قضى عليهما ؟ لا . بل تسببا فى إنشاء البيت المعمور وبعث منهما خير الخلق الذى جاء بنور الهدى ورحمة للعالمين وهداية للناس كافة فى الدنيا ، وشفيعا فى الآخرة) .

ونظرا لتلك الأمور ـ التى سبق ذكرها آنفا ـ حدد الشيخ بعض الأمور التى يهتم بها الإنسان أثناء الخروج، كما حدد بعض الأمور التى يجب اجتنابها ، وأكد على أن الأمور التى يجب الإلتزام بها لا تنفع إلا إذا اهتم المرء بترك الأمور التى جاء ذكرها فى المنهيات خاصة فى تلك الفترة التدريبية .

---

(١) سورة إبراهيم - الآية ٣٧ .

ولقد سبق ذكر الأمور التى يجب الإشتغال بها وهى : الدعوة ، والتعليم والتعلم ، والعبادات والذكر ، وخدمة المسلمين ، فلا يهتم المرء إلا بهذه الأمور الأربعة ولا يعمل إلا بها طبقا للمنهج المرتب لهذه المرحلة الإبتدائية ، وكما يجب الإلتزام بتلك الأمور للوصول إلى مراتب الكمال بالتدرج يجب القيام بإزالة المفاسد والرذائل والعادات الخبيثة ، وذلك باجتناب كل ما نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن أول تلك المنهيات هو (ما لا يَعْنِي) حيث إن تركها من صفة المؤمنين المخلصين المفلحين المتقين، حيث يقول سبحانه جل وعلا : (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) (١).

واجتناب اللغو هو أحد الوسائل القوية للوصول إلى الهدف المنشود والسعادة الكاملة ، كما اعتبره معظم أفذاذ البشرية قديما وحديثا .

لقد أدرك الشيخ محمد إلياس [رحمه الله] أن المجتمعات البشرية قد وقعت فى اللغو واللهو واختارت لها أسماء عديدة خادعة ومن أولها (النزهة) وقد يسمونها (الشئون الإجتماعية الترفيهية) حيث يفعلون ما يشاءون من اللغو تحت هذا الستار، فيبتعدون رويدا رويدا عن الدين حتى يفقد القلب شعور المنفعة والضرر، فيجب على الإنسان أن يجتنب كل مالا يتعلق بحياته السعيدة ، وخاصة أثناء الخروج فى سبيل الله ، حيث إنه يخرج فى هذا السبيل

---

(١) سورة المؤمنون- الآية ٣ .

للتحلى بالأمور الفاضلة داعيا الله أن يوفقه إلى كل ما يرضاه ويحفظه من كل ما نهى عنه ، لأن اللادينية والإباحية وسوء السلوك وقبح المعاملة ورداءة الخلق واتباع الشهوات النفسانية من أخطر الأمراض الإنسانية. ونظرا لهذا الأمر كان جل اهتمام الشيخ محمد إلياس هو بيان أهمية الوقت والحذر من ضياعه وقد بلغ اهتمامه غايته فى آخر حياته ، فكان إذا رأى الخارجين فى سبيل الله ، لا يقومون على المنهج كما ينبغى بل يقضون بعض أوقاتهم فيما لا يعنيهم أثر عليه ذلك ، حتى إنه ليمرض لإحساسه الشديد بمسئوليته عنهم .

يقول الشيخ أبو الحسن على الحسينى الندوى (رحمه الله): عاد الشيخ محمد إلياس من السفر من مدينة سهارن فور ـ ذات يوم ـ فلحقه المرض، فإذا سألته عن سبب هذا المرض أجاب الشيخ قائلا : إن البعثات التبليغية التى وصلت إلى (سهارن فور) لم تتمسك بالمبادىء والقواعد الأساسية للعمل ، بل إنهم وقعوا فى مالا يعنيهم ، وضيعوا أوقاتهم فى النزهة والسياحة فى المدينة ، ولم تتحمل مشاعرى الإهمال ، فمرضت .

وكان الشيخ محمد إلياس رحمه الله يهتم بهذا الأمر منذ بداية رحلته فى ميدان تبليغ الدعوة، حيث كان يلزم نفسه بتنظيم محدد للأوقات، وكان من أهم أمنياته أن يتمسك كل مسلم بنظام إسلامى محدد لوقاته كما فى الكتاب والسنة المطهرة ، حتى حين اشتد عليه مرضه فى أواخر أيام حياته كان رحمه الله متمسكا بالمنهج النبوى فى قضاء أوقاته، حتى إن دعاءه بطلب الشفاء من الله عز وجل

كان يقرنه بطلب التوفيق لقضاء وقته طبقا لما جاء فى الكتاب والسنة، لكى يعود عليه بالنفع فى الدنيا والآخرة ، فمثلا كتب الشيخ فى رسالته للشيخ أبو الحسن الندوى: (إننى أدعو الله ليشفينى من هذا المرض شريطة ألا أقضى أوقات حياتى فى مالا يعني ، بل تكون مرتبطة بالمنهج النبوى حتى لا تضيع فى أمور لا تفيد الدين ولاتعد من الحوائج الأساسية للحياة) .

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): كلنا يعرف ويؤمن بأن الله حى بصير، وهو شاهد وليس بغائب وبهذا اليقين الراسخ ينبغى ألا يكون الشغل فى غير ما أمر به الله جل وعلا ، وإلا كان حرمانا من نعم الله وسببا لغضبه سبحانه وتعالى، لأن الإشتغال فى ما نهى الله عنه عصيان ، بينما الإشتغال فى الأمور المادية، بمراعاة احكامه جل وعلا، دين خالص لله سبحانه وتعالى .

فوظيفتنا أن نركب الأعمال الطيبة على قاطرة الحياة ، بدلا من الأعمال الخبيثة ، حتى يرضى الله سبحانه وتعالى ، فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، والسعى فى جعلها جنة لقضاء الملذات هو اتباع لأهواء النفس التى ليست من صفة المؤمنين ، بل يلزم السعى فى جعل الحياة تبعا لأوامر الله حتى لا يتعدى حدود الله .

وهذا هو المراد من الحديث النبوى الشريف (الدنيا سجن المؤمن) ، وإذا تخطينا حدود الله لجعلها جنة فلا فرق بين هذا المؤمن المسجون والكافر الحر فى أعماله ، فإن سر التبليغ والخروج فى سبيل الله هو تجنب اتباع أهواء النفس ،

وعلى المرء أن يبدأ رحلته بتربية النفس من أهوائها الغالبة ، حتى تتذوق حلاوة حب الله عز وجل ، وعلامة الحب لله سبحانه وتعالى : أن تكون رغبات الإنسان مطابقة لمرضاة الله ، كما تكون الكراهية التامة لما نهى الله عنه ، والوسيلة الوحيدة للوصول إلى هذه الدرجة فى الحب هو المسابقة بهدى النبى محمد [ﷺ] كما قال الله سبحانه وتعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (١).

ويزيد الشيخ محمد إلياس توضيحه عن مراحل الكمال والحب والإمتثال لأوامر الله وترك ما نهى عنه فيقول : إن الأوامر الدينية ليست للحصول على اللذة بل هى للإمتثال فقط ، سواء أرضى القلب أو لم يرض فيجب القيام بها ، وآخر مراحل هذا الإمتثال هو أن يكون العرش السليمانى والظلم العزيزى ــ هذه إشارة إلى قصة عزير عليه السلام حينما ضاقت به الأحوال فقتله خصومه ذبحا بالمنشار انتقاما منه ومن دعوته عليه السلام ، والمراد بذلك أن المؤمن يقوم بامتثال أوامر الله سواء رغب فيه القلب أو لم يرغب وسواء عرف منفعته أو لم يعرف ــ كلها سواء فى إيمان المسلم أو فى يقينه ، أى سواء أن يصعب له القيام بها أو يفرح بقيامها.

ويقول الشيخ محمد إلياس(رحمه الله) : قدروا أوقاتكم واجتنبوا مالا يعني، وأكدوا للناس أهمية اجتنابه فإن عملكم هذا (أى تجنبكم اللغو والتمسك

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ٣١.

بالصالحات) هو قدوة للآخرين فإن نجاح الشيطان ينحصر فى أمرين هما: اشتغال الناس بمالا يعنيهم ، والوقوع فى فكر الركون إلى الراحة والسكينة ورغد العيش .

وبعد ذلك يوضح الشيخ محمد إلياس الغرض المنشود من هذه التدريبات العملية فيقول : إن الغرض من هذه الأعمال هو القيام بالمسئولية المفوضة إلى الإنسان من قبل خالقه حتى ينال هدفه المنشود فى الدنيا وفيما بعد الموت ، وإننا قد خلقنا لطلب الحق وشغلنا فى طلب الرزق ، والوسيلة لطلب الحق هى التفانى فى خدمة الدين ، ووسيلة طلب الرزق المحض هى التفانى فى اتباع الأهواء، وعملنا هو تبديل طلب الرزق المحض بطلب الحق جل وعلا ، وتبديل أهواء النفس بالإمتثال لأوامر الله، وطلب أهواء النفس قد يؤدى إلى الرزق أو يذهب هباء، أما التفانى فى خدمة الدين فسوف يصل بالإنسان إلى الرزاق ، فليس العمل مقصودا بذاته بل هو الإمتثال لأوامر الله مع اليقين بتقدير مكانتها ، أى ما جاء فى الكتاب والسنة من مكانة تلك الأعمال عند الله

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن هدف التدريبات العملية ـ أثناء السفر ـ بترك مالا يعنى ، هو أن يعود الإنسان نفسه على ترك جميع الأمور التى لا تتعلق بالدين أو تغفله عن طاعة الله ورسوله ، والتى تولد فى الإنسان قوة الصبر والتحمل ولذا يستمر الإنسان فى تدريبه حتى يتجنب كل ما يطلق عليه اسم (اللغو) فى جميع شئون حياته بما فيها الكسب والتجارة والصناعة والوظيفة والمعايشة والمعاملة والأمور الفردية والجماعية داخل الأسرة وخارجها

وفى المناسبات الأسرية والرسمية والقومية وأعيادها وفى الكلام والطعام والقعود والجلوس والنوم واليقظة، وغيرها من الأمور، حتى تكون صلاته ونسكه ومحياه ومماته كلها لله رب العالمين وحده لا شريك له .

ويقول الشيخ / محمد إلياس (رحمه الله) : إذا وجب التحلى بتلك الأمور الأساسية ـ أى المبادىء الستة ـ والإعتياد عليها والتمسك بها فمن الأولى تجنب بعض الأمور الأساسية التى تؤدى إلى الإنحطاط والفساد ، ببذل الجهود لتجنبها فى المرحلة الأولى ، حيث يعتبر هذا التجنب كمثل رجل أراد أن يحول الغابة إلى حديقة أو بستان ، فقام باقتلاع الأشجار ونزع الشجيرات الفاسدة واجتث جميع ما يضر الزهور واستأصل كل شىء يمنع زراعة البساتين.

وإذا كان من الصعب تجنب جميع الأمراض الأخلاقية فقد اخترنا هذه الأمور الأساسية لاجتنابها لكى يبدأ العمل بالتدرج إلى أن ينزع الإنسان منها الحب ويتعود على الإبتعاد عنها حتى يصل إلى ترك جميع المنكرات فى الدين بتدرج واضح ومثمر.

لقد وصل الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) فى دراسته بأن هذه الأمور الأربعة :{ السؤال والطلب، والإشراف، والإسراف ، وتجنب استعمال أشياء الآخرين} ، تعتبر كنقطة أولية للتعود على [**ترك ما لا يعني**] حتى يصل الإنسان إلى ترك جميع ما ذكر من قبل من المنهيات ، ويتعود على الصبر والتحمل كارها لجميع ما يدفعه إلى اتباع الشهوات مثل الكبرياء أو الحسد أو الحرص

حتى كثرة الأكل والنوم والرغبة فى الإستكانة ، أو حب المال أو الجاه أو الرغبة فى اقتراف الذنوب والآثام ، فإذا اجتنب الإنسان هذا اللغو وكرهته نفسه فيه، وتوافرت فيه شروط القيام بالنهى عن المنكر علما وعملا فعليه أن يقوم بالنهى عن المنكر ، حتى لا يتعدى أحد حدود الله، ولا يغرق المجتمع الإنسانى فى ظلمات البر والبحر ، وهذا هو الهدف المنشور من هذا المبدأ السابع فى منهج الدعوة والتبليغ .

وفى ذلك يقول الشيخ محمد إلياس [رحمه الله] : قوموا بالانتهاء عن المنكر ، فإن نجحتم فى ترك النواهى ، أقبلت الحسنات بنفسها .

وهنا يقصد الشيخ بأنه إذا بلغ الإنسان درجة التفانى فى خدمة الدين وتركه كل مالا ينفع لهذا الدين الحنيف تأتى درجة القيام بالنهى عن المنكر، والتى تحتاج إلى الإيمان الكامل والقيام بالعبادات والتحلى بالعلم والذكر وإكرام كل مسلم والإخلاص والقيام بالأمر بالمعروف واجتناب كل مالا يعنى فى حياة المسلم .(١).

(١) كيف تنهى عن الفحشاء والمنكر للشيخ عبد الخالق بيرزاده

السؤال الخامس عشر

س: هل الدعوة إلى الله كُلِفَ بها الإنس دون الجن ؟.

ج: إخواني وأحبابي: الله سبحانه وتعالى أرسل الأنبياء والرسل(عليهم الصلاة والسلام) من بني آدم، وهذا تشريف لآدم وذريته، حيث قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (١)، وكلف الله الأنبياء بالدعوة دون أممهم، ولما كان بعث الله نبيه محمد [ﷺ]: أرسله الله رحمة للعالمين، وختم به المرسلين: قال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).وقال تعالى:(رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (٤).

يقول الدكتور نعمان أبو الليل[حفظه الله]: مبينا وموضحا قول

---

(١) سورة البقرة _ الآية ٣٠.
(٢) سورة الأنبياء _ الآية ١٠٧.
(٣) سورة سبأ _ الآية ٢٨.
(٤) سورة الأحزاب _ الآية ٤٠.

الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ (١).

أى ليس معاملتكم لمحمد [ﷺ] معاملة الابن لأبيه ولكن معاملة النبوة والرسالة، فمعاملة الأب بأن تقبل يده، وتقدم له الطعام والشراب وتخدمه حتى يرضى عنك ولكن عليكم أن تعاملوا محمداً [ﷺ] معاملة خاتم النبوة بأن تحملوا هديه إلى المشارق والمغارب (٢).

فكلف كل أتباعه بالدعوة إلى الله، فقال تعالى:﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣).

سواء هؤلاء الأتباع من الإنس أو الجن، لذلك صرف الله إليه جماعة من الجن استمعوا له ورجعوا دعاة إلى قومهم: { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ } (٤).

---

(١) سورة الأحزاب – الآية ٤٠ .

(٢) انظر كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله للمؤلف.

(٣) سورة يوسف _ الآية ١٠٨.

(٤) سورة الأحقاف _ الآيات من ٢٩ : ٣٢ .

ويقول الشيخ السعدي[رحمه الله]: اللهُ تَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى الْخَلْقِ إِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ وَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ إِبْلَاغِ الْجَمِيعِ لِدَعْوَةِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ.

فَالْإِنْسُ يُمْكِنُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دَعْوَتَهُمْ وَإِنْذَارَهُمْ، وَأَمَّا الْجِنُّ فَصَرَفَهُمُ اللهُ إِلَيْهِ بِقُدْرَتِهِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا أَيْ: وَصَّى بَعْضَهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ، فَلَمَّا قُضِيَ وَقَدْ وَعَوْهُ وَأَثَّرَ ذَلِكَ فِيهِمْ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ نُصْحًا مِنْهُمْ لَهُمْ وَإِقَامَةً لِحُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِمْ وَقَيَّضَهُمُ اللهُ مَعُونَةً لِرَسُولِهِ [ﷺ] فِي نَشْرِ دَعْوَتِهِ فِي الْجِنِّ(١).

ولم يقف الحد عند الإنس والجن، فإن كثير من الحيوانات والطيور والحشرات والجمادات كانت لها جهد كبير في نصرة الحق، (**نذكرهم للفائدة**):

١) **الذئب يدعو إلى الله في الصحراء**: فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ: بَيْنَمَا رَاعٍ يَرْعَى بِالْحُرَّةَ إِذْ عَرَضَ ذِئْبٌ لِشَاةٍ مِنْ شِيَاهِهِ، فَحَالَ الرَّاعِي بَيْنَ الذِّئْبِ وَالشَّاةِ ، فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ، ثُمَّ قَالَ لِلرَّاعِي: أَلا تَتَّقِي اللهَ ! تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقٍ سَاقَهُ اللهُ إِلَيَّ ! فَقَالَ الرَّاعِي: الْعَجَبُ مِنْ ذِئْبٍ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ يَتَكَلَّمُ بِكَلامِ الإِنْسِ، فَقَالَ الذِّئْبُ: أَلا أُحَدِّثُكَ بِأَعْجَبَ مِنِّي: رَسُولُ اللهِ [ﷺ] بَيْنَ الْحُرَّتَيْنِ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، فَسَاقَ الرَّاعِي شَاءه حَتَّى

---

(١) تفسير السعدي .

أَتَى الْمَدِينَةَ، فَزَوَى إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ [ﷺ]، فَحَدَّثَهُ بِحَدِيثِ الذِّئْبِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِّ [ﷺ] إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ لِلرَّاعِي : قُمْ فَأَخْبِرْهُمْ، قَالَ: فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا قَالَ الذِّئْبُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ [ﷺ]: " صَدَقَ الرَّاعِي أَلا إِنَّهُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ كَلامُ السِّبَاعِ لِلإِنْسِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ شِرَاكُ نَعْلِهِ، وَعَذَبَةُ سَوْطِهِ، وَيُخْبِرُهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ " (١).

٢) **الضفدع**: كان يطفئ النار التي أشعلها النمرود لسيدنا إبراهيم :فعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ [ﷺ] قَالَ: «كَانَتِ الضُّفْدَعُ تُطْفِئُ النَّارَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ الْوَزَغُ يَنْفُخُ فِيهِ، فَنُهِيَ عَنْ قَتْلِ هَذَا، وَأُمِرَ بِقَتْلِ هَذَا«(٢)

وعلى عكس الضفدع، البرص كان ينفخ النار على إبراهيم [عليه السلام]: فعَنْ أُمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِّ (ﷺ): أَمَرَ بِقَتْلِ الوَزَغِ، وَقَالَ: كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ "(٣).

وعن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله [ﷺ]: (مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا

---

(١) سنن الترمذي_ رقم الحديث: (٢١٠٧) ، دلائل النبوة للبيهقي _ رقم الحديث: ٢٢٩٦ .
(٢) مصنف عبد الرازق.
(٣) صحيح البخاري / ٦٠ – كتاب أحاديث الأنبياء / باب قول الله تعالى: { واتخذ الله إبراهيم خليلا } [النساء: ١٢٥] / حديث رقم ٣٣٥٩.

حَسَنَةً، لِدُونِ الْأُولَى، وَإِنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، لِدُونِ الثَّانِيَةِ) (١).

وقد جاء تحديد الأجر في بعض روايات الإمام مسلم: (مَنْ قَتَلَ وَزَغًا فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ كُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَفِي الثَّانِيَةِ دُونَ ذَلِكَ وَفِي الثَّالِثَةِ دُونَ ذَلِكَ).

أما الضفدع والنمل والهدهد فقد نهى رسول الله (ﷺ) عن قتلهم لما في قلوبهم من الشفقة والرحمة: لذا رَوَى عن الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَبُو دَاوُد وَابْنُ مَاجَهْ وَصَحَّحَهُ عَبْدُ الْحَقِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ): { نَهَى عَنْ قَتْلِ النَّمْلَةِ وَالنَّحْلَةِ، وَالْهُدْهُدِ وَالصُّرَدِ } .

ورَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ): { نَهَى عَنْ قَتْلِ خَمْسَةٍ النَّمْلَةُ وَالنَّحْلَةُ وَالضِّفْدَعُ وَالصُّرَدُ، وَالْهُدْهُدُ }.

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ أَنَّهُ (ﷺ):{ نَهَى عَنْ قَتْلِ الضِّفْدَعِ }.

٣) الحجر والشجر في آخر الزمان: منه ما يكون سببا لنصرة الدين ومنه من لا ينصر الدين، كما جاء في الحديث: عن أبي هريرة ﷺ :

(١) رواه مسلم.

أنَّ رسولَ اللهِ [ﷺ] قال: " لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ اليَهُودَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِنْ وَرَاء الحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الحَجَرُ وَالشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ هذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ؛ إلاَّ الغَرْقَدَ فإنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ " (١) متفق عليه. (٢).

٤) **النَمْلَةُ**: قال تعالى:﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٣).فاستحقت النملة أن تُذْكَرَ فى كتاب الله؛ لِسَعْيِهَا لنجاة أخواتها.

لما رأت النملةُ الخطرَ يُهدد النمل بمرور جند سليمان عليه الصلاة

---

(١) تأمل كلمة (المسلمين) يقتتل المسلمون واليهود فينتصر المسلمون عليهم نصراً عزيزاً، حتى إنَّ اليهودي يختبىء خلف الحجر والشجر، فينطق الحجر والشجر بأمر الله فيقولان: يا مسلم هذا يهودي تحتي فاقتله.

أحجار تنطق وأشجار: لماذا؟ لأن القتال بين المسلمين واليهود، أما بين العرب واليهود، فهذا الله أعلم من ينتصر ؟ لأن الذي يقاتل اليهود من أجل العروبة فقد قاتل حمية وعصبية ليس= = لله ﷻ ولا يمكن أن ينتصر ما دام قتاله من أجل العروبة، لا من أجل الدين والإسلام إلا أن يشاء الله ، لكن إذا قاتلناهم من أجل الإسلام ونحن على الإسلام حقيقة فإننا غالبون بإذن الله ... شرح رياض الصالحين ٣٨٩/٤ .

(٢) رياض الصالحين _ باب المنثورات والملح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٨٣/٣) وعلق عليه الشيخ شعيب الأرنؤوط : رجاله ثقات رجال الصحيح ... ورواه الترمذي ٢١٨١ والحاكم ٤ / ٤٦٧ - ٤٦٨ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ورواه البيهقي في الدلائل ٦ / ٤١ - ٤٢ وقال هذا إسناد صحيح ! وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ٢٩١ وقال : رواه أحمد والبزار بنحوه باختصار ورجال أحد إسنادي أحمد رجال الصحيح.

والسلام من فوقها؛ قامت فدعت أخواتها من النمل إلى الدخول فى البيوت؛ حتى ينجون من ذلك الخطر، فهى لم تتفكر لنجاة نفسها فقط بل تفكرت لنجاة النمل جميعًا؛ فطافت على النِّمال: تحذرها، وتنصحها، وتُبين لها سبيل النجاة.

فاستحقت كلماتها أن تُذْكَر فى أعظم كتاب نزل من السماء لهداية البشرية؛ لتكون أسوة للساعين فى نفع الآخرين ونجاتهم .

وفيها دلالة على فضل الداعى الذى يجتهد لنجاة الآخرين، على العابد الذى يجتهد لنجاة نفسه فقط، فعَنْ الْحَسَنِ البصرى قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ) عَنْ رَجُلَيْنِ كَانَا فِى بَنِى إِسْرَائِيلَ، أَحَدُهُمَا: كَانَ عَالِمًا يُصَلِّى الْمَكْتُوبَةَ، ثُمَّ يَجْلِسُ فَيُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَالآخَرُ: يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ):" فَضْلُ هَذَا الْعَالِمِ الَّذِى يُصَلِّى الْمَكْتُوبَةَ، ثُمَّ يَجْلِسُ فَيُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ عَلَى الْعَابِدِ الَّذِى يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ كَفَضْلِى عَلَى أَدْنَاكُمْ رَجُلا "(١).

فى قوله تعالى:{ يَآ أَيُّهَا النَّمْلُ } أولى الناس بالدعوة والنصيحة قومك، وبنوا جِنسك.. فكانت دعوة النملة ونصيحتها لبنات جنسها من النمل ممن تعيش بينهنَّ فَهُنَّ أولى بالنفع وإسداء النصح والتفكر لهُنَّ.

لذلك على الداعي أن يتفكر لهداية ونجاة بنى قومه، وبنى جنسه؛ لأنه فردٌ

---

(١) رواه الدارمي (انظر مشكاة المصابيح).

منهم، ويحيَا معهم، وتربطه بهم: وشائج، وصلة قرابة، ورحم، ولهم عليه حقوق؛ لذا كانت دعوة كل نبيٍّ أولاً فى قومه:

قال نوح:﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١).

وقال هود:﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى عن نبينا (ﷺ) : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣).

وعن أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) حِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)قَالَ:" يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا: اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لا أُغْنِى عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ لا أُغْنِى عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِى عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لا أُغْنِى عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِى مَا شِئْتِ مِنْ مَالِى؛ لا أُغْنِى عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا" (٤).وفى قوله تعالى:﴿ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ (٥).

---

(١) سورة الأعراف – الآية ٥٩.

(٢) سورة الأعراف – الآية ٦٥.

(٣) سورة التوبة – الآية ١٢٨.

(٤) صحيح البخارى(٢٧٥٣)..

(٥) سورة آل عمران – الآية ١٠٤.

فإن النملة طافت على النمل؛ لِتُبين لهنَّ سبيل النجاة، وذلك بالدخول فى البيوت حذر الموت، والتحطيم، فبقولها:﴿ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾.بَيَّنَت سبيل وطريق، وكيفية النجاة، وبقولها:﴿ لا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾بَيَّنَت الخطر.

فعلى الداعى أن يُبَيِّنَ لقومه سبيل النجاة؛ ليسلكوه، ويُحَذِّرَهم من مغبة السلوك فى سُبل الغواية.

فى قوله تعالى:{ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ } دليل على أن الأنبياء والدعاة ومعلمو الناس الخير تعرفهم دواب الأرض بأسمائهم وصفاتهم.. فالنملة عرفت سليمان عليه السلام باسمه وبصفته ملِكًا وله جنود بينما الهدهد لم يذكر(بلقيس) باسمها وقال :{ إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُم } وهذا دليل على أن: الأنبياء، والدعاة، ومعلمى الناس الخير تعرفهم دواب الأرض، فتدعوا لهم، كما جاء فى الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِّ [ﷺ] : " إِنَّ اللهَّ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ " (١).

وفى قوله تعالى: (وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ): دليل حسن الظن بالآخرين، وخاصة إن كانوا صالحين.. وهذا من أدب النملة، وحسن ظنها بسليمان عليه السلام، ومن معه، حيث بَيَّنَت أنهم لا يقصدون تدمير بيوت النمل متعمدين،

(١) رواه الترمذى (٢٦٠٩).

بل لو فعلوا ذلك لفعلوه وهم غير قاصدين، فلا بد للمسلم من أن يحسن الظن بالآخرين ويدفع التهم عنهم ما وجد إلى ذلك سبيلا، وخاصة لمن عُرفوا بالتقوى والصلاح .

وفيها أن من فضل سليمان عليه السلام وجنوده، أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا إذا لم يشعروا، ولم يعلموا، وهى إشارة إلى: الدين، والعدل، والرأفة.

فى قوله تعالى:(فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا):استحباب إدخال السرور على قلب المسلم: فإن سليمان عليه السلام سُرَّ من قول النملة:﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ حيث إنها أحسنت الظن به وبجنوده؛ فتأدبت فى الخطاب عنه؛ فَسَرَّهُ ذلك وفرح به، وضحك منه.

وكذلك على الداعى أن يجتهد فى إدخال السرور على إخوانه، فيُظْهِر ما يفرحهم ويجتنب ما يحزنهم ويسوؤهم، ويعجل بنقل الأخبار التى تُثلج صدورهم وتطمئن قلوبهم، فإن الملائكة تتنزل على أهل الإيمان وتَزُفُّ لهم البشائر بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وتبشرهم بمقعدهم فى الجنة، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (١) .

فى قوله تعالى:(مِنْ قَوْلِهَا):حسن كلام الداعي، وفضله على سائر الكلام.

---

(١) سورة فصلت _ الآية ٣٠.

ولقد أظهر كذلك كلام(الهدهد) وفِكْـرَه لهدايـة(بلقيس)وقومها، ولم يعرض لِخَلْقِهِ أو لِجمال صـورته، وكـأن الله بـذلك يوجهنـا:لجمال الكـلام، وحسن المنطق، وقوة الفكر.

ولقد أقسم الله تبـارك وتعـالى بقـول الـداعى فى قولـه تعـالى فى سـورة الزخرف:﴿ وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلاء قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ ﴾(١) .

وفيها: استحسان الخير وإظهاره ومكافأة فاعله: فمن رحمة الله بخلقه أنه بلّغ كلام النملة لسليمان عليه السلام؛ ليتجنب إيذاء النمل، فلما سمع سليمان عليه السلام قول النملة، ورأى حرصها على نجاة قومها استحسن منطقها، وأعجبه فعلها؛ فأمر جنده أن يحيدوا عن وادى النمل؛ إكرامًا لها؛ فحفظ الله للنمل بيوته، وكم من الشرور يدفعها الله عن خلقه وهم لا يشعرون!.

وفيها استحسان كل فعل خير، أو قول حسـن، وإظهـاره للنـاس ومكافـأة فاعله، ليكون فى ذلك ترغيبًا للآخرين بفعله والاقتداء به، فإن من صفات النبى ﷺ ((أنه كان يُحَسِّنُ الحسنَ ويُقَوِّيهِ ويُقبِّحُ القبيحَ وَيُوَهِّيْهِ)) (٢).

فى قوله تعالى:(وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ)أن التوفيق لشكر النعم من الله: ولما أَسْمَعَ الله سبحانه وتعالى سليمان عليه السلام، وأفهمه كلام النملة لأخواتها، علم أنما ذلك بنعمة الله عليه

---

(١) سورة الزخرف _ الآية ٨٨.

(٢) سنن البيهقى (٢٤١/٧).

وفضله، وتذكر نعم الله على والده داوُد عليه السلام من قبلُ؛ فسأل الله أن ييسر له الشكر على تلك النعم ويُعينه عليه ويُوفقه له؛لأن التوفيق لشكر النعم هو أيضاً من الله.

الْهُدْهُدَ: ضرب أروع الأمثلة في الدعوة إلى الله: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ *قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي

مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

في قوله تعالى:﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ لحفظِ الملك؛ لا بد من التفقد: يُفْهَم من الآية أن سليمان عليه السلام كان من عادته تَفَقُّدُ ملكه، فحيث إنه تفقد

(١) سورة النمل – الآيات من ٢٠ : ٤٤.

الطير وهم جزء من جنده فمن باب أولى أنه كان يتفقد ويسأل عن غيره من الجنود من الإنس والجن، لأن المُلْكَ إذا ترامت أطرافه وكثرت أركانه ولم يرعْها المَلِكُ أو السلطانُ ولم يتفقد أحوالها، يستشرى الفسادُ والشَّرُّ وخاصة فى الأطراف البعيدة عن نظر الملك، فكم من الممالك زالت وكان بداية زوالها من أطرافها، فهذه دولة بنى أمية قد طرأ فيها الخلل والنقص وخاصة فى أطرافها، وشعر بذلك أحد الولاة، فأرسل للخليفة وحذره من شرور قد بدأت فى أبياتِ شِعْرٍ أرسلها إليه:

أرى تحت الرماد وميض نارٍ ويوشك أن يكون لها ضرام

فلم يلتفت لقوله ولم يأخذ حذره فزالت دولتهم وباد ملكهم،لذلك من سنة الله أنه خلق الخلقَ،وهو الذى يدبر شئونهم ويعلم أفعالهم وهو رقيب عليهم فما يعزبُ عن علمه منهم شىء قال الله تعالى﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلا فِى السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(١) لذا لحفاظة المُلْك لا بد من الملاحظة والتفقد والتعهد والرعاية، ولقد كان عمر بن الخطاب رضى

(١) سورة يونس: الآية٦١ .

الله عنه يتفقد عُماله ويسأل عن سيرتهم بين الناس حتى أقام الله به العدل وانتشر الأمن.

فى قوله تعالى:﴿ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾تفاوت العقوبة حسب الذنب: فإن سليمان عليه السلام لَمَّا سأل عن(الهدهد) فلم يحضر مُباشرة؛ أيقن أنه إما أن يكون فى الموكب بعيدًا عن نظره وقد تأخر فى المثول بين يديه، وإما أن يكون غائبًا بدون إذنه؛ لذلك جعل له عقوبتين، الأولى: العذاب الشديد؛ إن كان حاضرًا وقد قصر فى واجبه، والثانية: الذبح إن كان غائبًا بدون عذر مقبول، وفى ذلك دلالة على تشديد العقوبة مع غلظ الذنب، فكل ذنب يستحق عقوبة تتناسب مع حجم ذلك الذنب،وأثره على حقوق الآخرين.

فى قوله تعالى:﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ لا عقوبة إلا بذنب.

فإن سليمان عليه السلام لَمَّا حضر وقت الصلاة ، وأراد الوضوء؛ سأل عن الهدهد؛ ليدله إلى مكان الماء؛ حتى يقوم الجن بإخراجه، فلما علم بغيابه بدون إذن، عزم على عقوبته، وتعذيبه وأكد نيته بأربع تأكيدات .

١- لام التوكيد المفتوحة ٢- نون التوكيد الثقيلة

٣- المفعول المطلق المبين للنوع ٤- الصفة المنصوبة

وذلك لأن غياب الهدهد عن واجبه، كان سببًا فى تأخر الجيش عن إقامة الصلاة؛ فاستحق الهدهد بذلك الذنب عقوبة شديدة.

وكذلك هذه الأمة إذا تقاعست عن الدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله التى هى سبب نجاة الآخرين من نار جهنم وفوزهم بالجنة، وشُغِلَت عن ذلك بأى جهد آخر؛ تحلُّ عليها من الله العقوبة كما قال تعالى:﴿ إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾(١) .

فى قوله تعالى:﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ تدل على قِصر مدة غياب الهدهد، وأنه قضى وقتا قصيرا في ذهابه إلى(سبأ) ثم فى رجوعه، فحرف الفاء يدل على سُرعة مُثُوله بين يدى سليمان عليه السلام ليظهر سبب غيابه ويدفع التهمة عن نفسه.

فى قوله تعالى:﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ للمتهم الحق فى الدفاع عن النفس): وبدا من كلام الهدهد وجرأته فى مخاطبة سيدنا سليمان عليه السلام،أنه ما كان تحت التهديد، أو التخويف،بل دافع عن نفسه بِجُرأةٍ وقوة؛ ومبينًا سبب غيابه عن الموكب، وتأخره فى المثول بين يدى سيده.

وفيها لا بد من إعطاء المتهم الحق فى الدفاع عن نفسه،وإظهار حجته قبل إصدار الحكم بإدانته.

---

(١) سورة التوبة _ الآية ٣٩ .

وفيها الجرأة فى قول الحق وإن كان أَمام ملك يُرجى،أو سُلطانٍ يُخشى،وهذا ما أَقَرَّتْهُ الشريعة:بأن القاضى لا يحكم فى قضية حتى يسمع جواب المُدَّعَى عليه ودفاعه عن نفسه.

فى قوله تعالى:﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ يمكن للمفضول أن يعلم علماً لا يعلمه الفاضل : فإن الهدهد عَلِمَ أَمْرًا لم يعلمه سليمان عليه السلام،وهو أخبار(بلقيس) وقومها،مع قرب مملكتها من مملكة سليمان عليه السلام،وهو نبى يُوحى إليه،ومَلِك وله جنود كُثر، وفى ذلك لله حكمة بالغة وهى: إثبات كمال العلم لله وحده الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء،ولا تخفى عليه خافية،على عكس علم البشر،ولقد قال الله لنبيه:﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً﴾(١)، وهذا لا ينقص من قدر سليمان عليه السلام، وهو الذى،أُوتى الْحُكمَ وأُعطِىَ الْفَهْمَ، وعُلِّمَ منطق الطيرِ العُجمِ، قال تعالى:﴿وَكُلاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾(٢).

ولما صاحَبَ(الخضرُ) موسى عليه السلام قال له:((عندى علمٌ لا تعلمه أنت، وعندك علم لا أعلمه أنا، وعلمى وعلمك بالنسبة لعلم الله، كما أخذ هذا الطير من النهر)).

---

(١) سورة الإسراء _ الآية ٨٥.

(٢) سورة النمل _ الآية ٧٩ .

وفى قوله:﴿ أَحَطْتُ ﴾ استفصال الأخبار فإن الهُدْهُدَ جاء بمعلومات كاملة مفصلة محيطة بجميع أحوال (بلقيس) الدينية والدنيوية: فهى ملكة، وعندها جند،ولها عرش عظيم، وأوتيت من كل شىء،وتعبد الشمس من دون الله، وهذا يُغنى عن إعادة النظر فى أحوالها،أو طلب المزيد،وهذا أصل من أصول نقل الأخبار أن تكون:مفصلة،كاملة،شاملة وصادقة.

فى قوله تعالى:(وَجِئْتُك)(السرعة فى نقل الأخبار الهامة والنافعة) فإن (الهدهد) لما رأى قومًا يسجدون للشمس من دون الله؛ رجع مسرعًا إلى سليمان عليه السلام؛ ليخبره بذلك الأمر، وفى ذلك تبيان للاهتمام بأخبار الدعوة والدين.

وفى نقل الأخبار الدينية ثواب عظيم،و أجرٌ جزيل، بل ثواب الدال على الخير مثل ثواب فاعله، فَعَنْ أَبِى مَسْعُودٍ الأَنْصَارِىِّ رضى الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ (ﷺ)،فَقَالَ: إِنِّى أُبْدِعَ بِى– عطبت دابته– فَاحْمِلْنِى فَقَالَ:مَا عِنْدِى،فَقَالَ: رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهَّ أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ،فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ):" مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ؛فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ"(١) .

(١) صحيح مسلم:(٣٥٠٩).

فعلى المسلم أن ينقل أخبار الناس لمن يُرجى عونه فى هداية الناس،ومنع الشرور ، وكذلك نقل الأخبار التى فيها نصرة الداعى، أو نجاته من مكر يُحاك به، أو كيد يُدبر له،ولقد ذكر الله تبارك وتعالى مؤمن آل فرعون، ونصيحته لموسى فى القرآن الكريم،حيث قال جَلَّ وعلا:﴿ وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾(١) فقوله تعالى:﴿ يَسْعَى ﴾ دلَّ على سرعته، واشتداده فى نقل الخبر.

فى قوله تعالى:(مِنْ سَبَإٍ) المجاهدة فى سبيل الله؛ حيث قطع تلك المسافات الطويلة، ومجاهدته فى ذلك كانت سببًا فى رِفعة الهدهد، وعُلُوِّ مقامه، وفى هداية بلقيس وقومها.

وفى هذا ترغيب شديد لتحمل المشقات فى سبيل دعوة الناس إلى الحق أو دلالتهم على الهدى، وأن هذه المجاهدات سببًا للخير.

فى قوله تعالى:(بِنَبَإٍ يَقِينٍ) التأكد من الأخبار قبل نقلها.

فى قوله تعالى:﴿ إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ فيها دلالة على أن تنصيب المرأة ملكة هى من عادة أهل الكفر والملل الأخرى، ولكن فى الإسلام لا تكون المرأة:خليفة، أو والية، أو حاكمة، أو قاضية،ولا تكون إمامة فى

(١) سورة القصص _ الآية ٢٠ .

الصلاة إلا بمثلها،ولاتعمل فى عمل تخالط فيه الرجال، وَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ رضى الله عنه: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِّ (ﷺ) أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى قَالَ:"لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً " (١) .

وفيها دلالة على قوة شخصية(بلقيس) وقبول قومها لها مَلِكَة وخضوع:الرجال،والقادة،والوزراء لملكها،واستتباب الأمر لها.

وفيها دلالة على استقرار ملكها،واجتماع رأيهم عليها.

فى قوله تعالى:﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ : من كمال الملك، امتلاك الأسباب المختلفة، فإن (بلقيس) قد أوتيت من كل الأسباب اللازمة لكمال ملكها من:جند وسلاح،ومال، وما يتبع ذلك من أسباب العمران والبناء.

وفيه دلالة على أن تمام الملك الدنيوى، وكماله أن يُؤتَى الْمَلِكُ من كل شىء، بما فى ذلك أسباب:الحكمة، والعلم، والمعرفة، وأسباب القوة من:جند، وسلاح، وعتاد وخبرات حربية، قال الله سبحانه وتعالى:﴿وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾(٢) .

وسخر الله له الجبال يسبحن والطير وألان له الحديد؛ ليعمل سابغات من الدروع وكان أول من صنعها.

---

(١) رواه البخارى:(٤٠٧٣).

(٢) سورة البقرة _ الآية ٢٥١.

وقال عن سليمان عليه السلام:﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾(١) وسخر الله له الريح والجن،وأسال له عين القطر شهرًا كاملاً؛فصنع منها:المحاريب والتماثيل،والقدور الراسيات.

وفيها أن(الْهُدْهُدَ) الذى عاشر سيدنا سليمان عليه السلام ورأى عظمة ملكه، وواسع سلطانه قد تأثر من عرش بلقيس، فوصفه بأنه عرش عظيم!.

فى قوله تعالى:﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ فيها أن عبادة الشمس والسجود لها عبادة قديمة،كانت منذ زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام، وانتهت،ثم عادت من جديد فى زمن بلقيس وما زالت إلى الآن، فالشمس تُعبد فى(الهند) وغيرها من البلاد، فَمَن لنا بهدهد غيور على دين الله؟! ومن لنا بداعٍ ينقل لهم رسالة الإيمان لإخراجهم من الظلمات إلى النور؟! ، إنها مسئولية كل متبع لمحمد ﷺ.

وفيها دلالة،أن الناس يرجعون للكفر؛ إذا انقطعت الدعوة،ولذلك جاء فى الحديث:أن الناس يرجعون لعبادة الأصنام فى آخر الزمان، فعن أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) قَالَ:" لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ

(١) سورة النمل _ الآية ١٦.

دَوْسٍ عَلَى ذِى الْخَلَصَةِ وَذُو الْخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِى كَانُوا يَعْبُدُونَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ "(١) ، وفيها أن الناس إن رأوا النفع من الأشياء وغفلوا أن الله هو الذى خلقها وجعل فيها النفع؛ تعلقت قلوبهم بالأشياء؛ فعبدوها من دون الله.

فى قوله تعالى:﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾(ما عُصِىَ الله إلا بإتباع الشيطان) فيها دلالة على معرفة الْهُدْهُدَ وغيره من الدواب للحق وبصيرته بالأمور،ومعرفته أن الشيطان للإنسان عدوٌ مبين،وأنه حريص على إضلال الناس وإيقاعهم فى المعاصى؛وذلك بتزيين الباطل وتحسين الشر.

وفيها دلالة على أن جهد الشيطان هو تزيين المعاصى والمنكرات فى أنفس أهل الباطل؛حتى يقعوا فيها، فإن الكافر يعمل المنكر ويظن نفسه على الحق،بل يحسب أنه أهدى من الذين آمنوا سبيلا.

وفيها دلالة على أن الفواحش والمنكرات قبيحة بذاتها، تُنكرها النفس السوية وتنفر منها، ولكن الشيطان يجتهد فى تزيينها للنفوس الضعيفة التى حُرمت نور الهداية؛ فتراها حسنة.

وفيها دلالة على حرص الشيطان الشديد لإدخال الناس فى المعصية وصرفهم عن الطاعة،وذلك كما تَوَعَّدَ بنى آدم:﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلاً ﴾(٢) .

---

(١) رواه البخارى:(٦٥٨٣).

(٢) سورة الإسراء: من الآية ٦٢.

وفيها تسلط الشيطان على أهل الباطل،وامتناع أهل الحق عليه،قال تعالى:﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(١)، فذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا سلك طريقًا،سلك الشيطانُ طريقًا آخر؛فرارًا منه.

فى قوله تعالى ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ بَيَّنَ الهدهد أن سبيل الحق واحد،وهو إفراد الله بالتوحيد والإخلاص فى الطاعة،وذلك لا يكون إلا بالطريق التى أرسل الله بها رسوله وبينها فى كتابه،قال تعالى:﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.(٢).

وأن جهد الشيطان هو إخراج الناس عن هذا السبيل؛ لإقحامهم فى سبل الغواية والضلالة:﴿ ثم لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾(٣)،وعَنْ عَبْدِ اللهَّ قَالَ:"خَطَّ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) خَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ"هَذَا سَبِيلُ اللهَّ مُسْتَقِيمًا" قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ:"هَذِهِ السُّبُلُ وَلَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلا عَلَيْهِ

(١) سورة النحل: الآية ٩٩.
(٢) سورة الأنعام: الآية١٥٣.
(٣) سورة الأعراف: الآية١٦.

شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾(١) .

وفيها ترغيبٌ للمؤمن بطلب الهداية من الله لهذا السبيل والثبات عليه،وعدم التنكب عنه،والحذر من جهد الشيطان وإغوائه فى الصد عن هذا السبيل،لذلك فرض الله تبارك وتعالى فى سورة الفاتحة على كل مؤمن الدعاء لهذا السبيل كل يوم أقل القليل سبع عشرة مرة،وذلك فى ركعات الفرض وهو الدعاء الوحيد الذى جُعل فرضًا فى القرآن الكريم قال تعالى﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾(٢) .

فى قوله تعالى:﴿ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴾(سلامة فطرة الهدهد والدواب والطير) فإن الهدهد لما رأى بلقيس وقومها يسجدون للشمس من دون الله عاكفين عليها تاركين السجودَ للواحد القهار، متبعين سبيلَ الشيطان الرجيم، حكم أنهم تنكبوا سبيل الهداية؛ فهم لا يهتدون،بل هم فى غيهم يعمهون.

وفيها أن المخلوقات غير الإنس والجن مفطورة على عبادة الله وتمجيده وتسبيحه قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤٢٠٥).

(٢) سورة الفاتحة : الآيتان ٦ ، ٧ .

(٣) سورة النور : الآية٤١ .

وقوله تعالى:﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(١).

وفيها دليل على أن الذى: يعصى الله،ويخالف أمره، ويغفل عن ذكره، ويتبع هواه، ويخرج عن الفطرة التى فُطر عليها الخلق؛ تمقته دواب الأرض من:طير، ووحش،وتعاديه، فهذه السماوات،والأرض، والبحار تستأذن ربها كل يوم أن تبطش بعبده الكافر، لكن الله يمهله لأَجَلٍ هو يعلمه، فهو العليم بعباده، الخبير بأحوالهم.

وفيها دليل على أن من اتبع سبيل الشيطان، يُحرم نور الهدى فيُظلِم قلبه وتعمى بصيرته؛ فلا يعرف معروفا ولا يُنكر منكرًا؛فيُزَيَّنُ له الباطل؛ فيُصرف عن اتباع الحق ويعدم الرشد.

فى قوله تعالى ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا للهِّ ﴾ أن السجود عبادة لا تصرف إلا لله.

وفى قوله تعالى ﴿ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ : إظهار كمال قدرة الله: فإن الهدهد لما أراد أن يُعرِّف بالله،ذكر من صفات الله ما يتناسب مع علمه بمخبوء الأرض وارتبط برزقه،فإن رزق الْهُدْهُدَ مما خَبَّأَهُ الله فى الأرض من: حبوب، وبذور، وبقول،وأقوات، فَبَيَّنَ أن ذلك الخبء وُضع بعلم الله، وأن الله هو الذى يُخرج مخبوء الأرض من حبوب

(١) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .

وبذور،ومخبوء السماوات من مياه وأمطار،فكم من الدول قد حباها الله بما خبأه فى جوف أرضها، من:بترول، ومعادن،وغازات، وغيرها، وهو جل جلاله يخرجها لهم متى يشاء؛ لتكون سببًا لرزقهم وأقواتهم.

وفيها إظهار لقدرة الله الذى لا يعجزه شىء، فهو الذى ينبت النباتات، والزروع،والثمار قال تعالى﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾(١).

وفيها إظهار لعلم الله،حيث إن الله يعلم كل ذرة،وكل بذرة أين يضعها،ثم يخرجها متى يشاء.

وفيها ملائمة لطبيعة الهدهد،حيث جعله الله يرى الماء فى تخوم الأرض وتحت الثرى،وفيها تنبيه على أن علم الْهُدْهُدَ لما فى الأرض إنما هو من تعليم الله للهدهد،وما هداه الله له كما بين ذلك فى كتابه على لسان موسى عليه السلام فى رده على فرعون حين سأله عن ربه:﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(٢).

فى قوله تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾(كمال علم الله)حيث إنه أظهر أن الله يعلم كل ما يُسِرُّ الناسُ وما يعلنون،فلا تخفى عليه خافية فهو الذى يعلم السرَّ وأخفى،ويستوى فى علمه السرُّ والعلنُ.

---

(١) سورة الأنعام _ الآية ٩٥ .

(٢) سورة طه _ الآية ٥٠ .

وفى تقديم﴿مَا تُخْفُونَ﴾زيادة فى إظهار كمال العلم،حيث إن الله يعلم ما يُخفى الناس ويجتهدون فى إخفائِه.

فى قوله تعالى:﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ فيها(دلالة على عظمة عرش الله، وتصغير لعرش بلقيس).

وفيها إذا أظهر المخلوق قدرته،فعلينا أن نظهر قدرة الله وعظمته وكبرياءه لتظهر حقيقة صغر المخلوق وضعفه،ولقد قال أحد العلماء:هم يخوفوننا بالمدمرات الإنسانية،ونحن نخوفهم بالمدمرات الإلهية،وهم يرغبوننا فى اللذائذ الدنيوية ونحن نرغبهم باللذائذ الأخروية الأبدية.

فيجب علينا أن ندعو إلى:كبرياء الله،وجلاله،وعظمته،وإظهار كمال صفاته وأسمائه؛حتى يَعظُمَ اللهُ فى قلوبنا وقلوب جميع الناس،ويصغر كل ما سواه.

فإذا جاءت عظمة الله الآمر فى قلوب الناس يسهل عليهم القيام على الأوامر وترك النواهى واجتناب الزواجر .

وفيها **عاطفة الداعى**: الشفقة على الخلق، والغيرة للحق: فنصيحة (النملة)كانت من باب الشفقة على الخلق،حيث إنها أشفقت على أخواتها؛ فخافت عليهم من الهلاك، ثم تفكرت لنجاتهم، وأظهرت الرحمة بهن، بينما كانت دعوة الهدهد، من باب الغيرة للحق.

فى قوله تعالى(سَنَنْظُرُ) الاهتمام بأخبار الدين،والدعوة: فإن سليمان عليه السلام لما سمع مقالة الهدهد وما أخبره به عن قوم سبأ؛ لم يهمل الأمر ولم يغفله،بل قال:﴿سَنَنظُرُ﴾ونتفكر فى ذلك الأمر،وربما شاور من حوله،ثم سارع فى إرسال كتاب دعوة لأؤلئك القوم الذين سجدوا للشمس من دون الله.

وفى هذا دلالة على الاهتمام بأخبار الناس وخاصةً ما يتعلق بأمر دينهم،واعتقادهم.

والتعبير بِحرف السين فى﴿سَنَنظُرُ﴾ دون سوف، يدل على: سرعة التفكر،والنظر،ومتابعة الأمر.

فى قوله تعالى:(أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ):التَّبَيُّنُ من الأخبار قبل الحكم عليها أو إشاعتها.

فى قوله تعالى:﴿اذْهَبْ﴾العفو عمن اشتغل بالدعوة والجهاد فى سبيل الله.

لذلك قال الشيخ إلياس (رحمه الله):من اشتغل بالجهد الأعلى وجاء النقص فى الجهد الأدنى؛ يُجبر هذا النقص . .ولكن بالعكس: من اشتغل بالجهد الأدنى،وجاء النقص فى الجهد الأعلى؛لا يُجبر هذا النقص.

ففى قصة سليمان عليه السلام لما استعرض الخيل وَفَاتَه وِرْدُه من صلاة أو ذِكرٍ حتى غابت الشمس قال:﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ

وَالأَعْنَاق﴾(١)، فأهدرها؛ لأنها شغلته عن ورده، فعوضه الله عنها بالريح، ولَمَّا تركت الأمة جهد الدعوة إلى الله تعالى ما جُبِرَ نقصها؛ فحلَّت عليها العقوبة وأصابتها الأحوال الشديدة.

وفيها (استحباب صفة العفو) فإن سليمان عليه السلام أخذ بصفة العفو؛ فعفا عن الهدهد لما جاءه وبَيَّن عذره وسبب غيابه،كذلك على ولاة الأمر ألا يعدموا العفو عن المسيء إذا اعتذر، واستعتب ،فمن صفة الله العَفْوُ أى: يعفو عمن يسيء ويغفر لمن يذنب، فالله سبحانه وتعالى غفر لأهل بدر ما قدموا وما أخرّوا،ففى قصة حَاطِب ابن أبى بلتعة قبل فتح مكة،وكتابه الذى أرسله إلى قريش يخبرهم بخبر النبى [ﷺ] من عزمه على فتح مكة،فقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ،فَدَعْنِى فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ،فَقَالَ رسول الله[ﷺ]:" أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ"؟ فَقَالَ:" لَعَلَّ اللهَّ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ،فَقَالَ:اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ،أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ،وَقَالَ اللهُّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ "رواه البخارى.

وعفا الله عمن خالف أمر النبى (ﷺ) فى(أُحد)قال تعالى:﴿وَلَقَدْ عَفَا اللهَّ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢)، وأمر نبيه (ﷺ) أن يعفو عنهم﴿فَاعْفُ

(١) سورة ص _ الآية ٣٣ .
(٢) سورة آل عمران _ الآية ١٥٥.

عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾(١)، وكذلك كان النبى (ﷺ) من صفته العفو،فعلى المسلم الداعى أن يتصف بهذه الصفة،كما أمر الله سبحانه وتعالى﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢) . فيعفُو عن كل من قدم خدمات جليلة ونافعة للأمة والدين،ويَغفر له ذنبه.

وذلك يوسف عليه السلام وقد آذاه إخوته قد عفا عنهم وقال لهم: ﴿لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ﴾(٣).

وفيها (عظيم ثواب الداعى) فإن الْهُدْهُدَ لما عمل فى جهد الهداية،وكان سببًا لإخراج(سبأ) من الغواية ، أجزل الله تبارك وتعالى له العطاء، وبالغ له فى الثناء، فذكره فى خير الكتب الْمُنْزَلة، ورفع له المقام والْمُنْزِلَة، وكان من ثوابه؛أن الله رفع عنه الذبح، والتهديد، ونَجَّى نسله من الذبح إلى يوم الوعيد،فلا يجوز أن يذبح الهدهد فى شريعتنا،كما أخبر بذلك حبيبنًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما قَالَ: إِنَّ النَّبِىَّ (ﷺ)" نَهَى عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنْ الدَّوَابِّ:النَّمْلَةُ، وَالنَّحْلَةُ، وَالْهُدْهُدُ، وَالصُّرَدُ"(٤).

وكذلك يُعْطَى هذا الثواب لكل من نحا نحو الهدهد، ودعا مثله، فجاء فى الحديث أن رسولنا-ﷺ-أرسل سَرِيَّةً لدعوة أهل قرية،فلما اقتربوا منها أسرع

---

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٥٩.
(٢) سورة الأعراف _ الآية ١٩٩.
(٣) سورة يوسف _ الآية ٩٢ .
(٤) رواه أبو داوود:٤٥٨٣.

مسلم بن الحارث رضى الله عنه إليهم،وأمرهم أن يُبادروا بالشهادة،فلما وصل الجيش وجدوهم مسلمين، فلما رجعوا قصوا ذلك على النبىﷺ فكافأه وجازاه، وكتب له الكتاب إلى ولاة المسلمين من بعده؛ ليكرموه فما زال معه يعرضه على الولاة فينال التكريم، ويُعطى الجزيل، وورثته ذريته حتى بلغ الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه؛فَقَبَّله، وأَكرم حاملَه.

وكذلك يُعطى هذا الثواب من الله الكريم لمن دعا للإسلام،واجتهد فى هداية الأقوام،فيجزل الله له الثواب ويُعافيه من العقاب،جاء فى الأثر"من ردَّ لى شاردًا؛كتبته فى الملأ الأعلى جِهبذا، ومن كتبته جهبذا؛لا أعذبه أبدًا"(١).

هذا الثواب لمن كان سببًا فى رد شارد واحد إلى الله فكم ثواب من كان سببًا لهداية أمَّة أو إسلام قبيلة كاملةٍ كالصحابى الجليل(سعد بن معاذ)رضى الله عنه كبير بنى عبد الأشهل.

فى قوله تعالى:﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِى ﴾: تكليف الذى فى قلبه الهمَّ،والرغبة لهداية الآخرين: فإن سليمان عليه السلام لما عزم على إرسال كتاب ليدعو فيه أهل سبأ للإسلام والإيمان، تفكر فيمن يحمل ذلك الكتاب،وليوصله إلى بلقيس وقومها، فنظر إلى من حوله، فوجد الهدهد أشد الموجودين

---

(١) تاريخ واسط:(١٩٣).

حرصًا على هداية سبأ، فكلفه بحمل كتاب الدعوة وتبليغه لأهل سبأ،مع أن الهدهد ليس الاسرع فى توصيل الرسالة، وليس الأقوى، فقد كان فى خدمة سليمان عليه السلام من الطيور من هو أسرع وأقوى من الهدهد بكثير.

وكذلك لم ينظر من الأفصح لسانًا،والأكثر جدلاً من الإنس ممن حوله من العباد والحكماء والأولياء،بل قَدَّم عليهم جميعًا صاحب الهمَّ مع ضعفه وبطئه وقلة فصاحته.

وكذلك اختار الله فى مقام الدعوة من كان فى قلبه الهمَّ لهداية الناس،فذلك موسى قال عن أخيه هارون:﴿ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا ﴾(١).لكن الله يبعث فى كل أمة من هو حريص على هدايتهم،كما قال عن نبينا محمد [ﷺ] ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾(٢).

ولقد أظهر الله لنا عاطفة الداعى حتى بعد موته وكم هى محبته لنجاة قومه فذلك(حبيب النجار)يتفكر لقومه بعد قتله،ورؤيته مقامه فى الجنة،فقال:﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ*بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾(٣).

---

(١) سورة القصص _ الآية ٣٤ .

(٢) سورة التوبة _ الآية ١٢٨ .

(٣) سورة يوسف _ الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

فى قوله تعالى:﴿ بِكِتَابِي هَذَا ﴾:دليل على الدعوة الكتابية، فيها دليل على أن الدعوة الكتابية هى أحد أشكال الدعوة إلى الله جَلَّ وعلا، وذلك بإرسال الكتب لدعوة الناس إلى الله، وتلك كانت من سنة الرسول ﷺ وسيرة الصحابة الكرام، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : كُنَّا نَقُولُ : مَا لِأَحَدٍ تَوْبَةٌ إِنْ تَرَكَ دِينَهُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ } فَكَتَبْتُهَا بِيَدِي، ثُمَّ بُعِثْتُ بِهَا إِلَى هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ فَصَاحَ بِهَا فَجَلَسَ عَلَى بَعِيرِهِ، ثُمَّ لَحِقَ بِالْمَدِينَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١).

وكذلك فعل الوليد بن الوليد رضى الله عنه عندما أرسل كتابًا إلى أخيه خالد بن الوليد يدعوه إلى الله فى عمرة القضية،حينما طلبه فلم يجده فكتب له: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَعْجَبَ مِنْ ذَهَابِ رَأْيِكَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَعَقْلُكَ عَقْلُكَ! وَمِثْلُ الْإِسْلَامِ جَهِلَهُ أَحَدٌ ؟! وَقَدْ سَأَلَنِي رَسُولُ اللهِ [ﷺ] عَنْكَ، وَقَالَ: " أَيْنَ خَالِدٌ ؟ " فَقُلْتُ: يَأْتِي اللهُ بِهِ. فَقَالَ: " مَا مِثْلُهُ جَهِلَ الْإِسْلَامَ، وَلَوْ كَانَ جَعَلَ نِكَايَتَهُ وَحَدَّهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ ". فَاسْتَدْرِكْ يَا أَخِي مَا قَدْ فَاتَكَ، فَقَدْ فَاتَكَ مَوَاطِنُ

---

(١) رواه البيهقي، المستدرك على الصحيحين كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ذِكْرُ مَنَاقِبِ هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٥٠٤٨)، الطبراني في الكبير – هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ – حديث رقم ١٧٢٠٧ .

صَالِحَةٌ. قَالَ: فَلَمَّا جَاءَنِي كِتَابُهُ نَشِطْتُ لِلْخُرُوجِ، وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَسَرَّنِي سُؤَالُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) عَنِّي، وَأَرَى فِي النَّوْمِ كَأَنِّي فِي بِلَادٍ ضَيِّقَةٍ مُجْدِبَةٍ، فَخَرَجْتُ إِلَى بِلَادٍ خَضْرَاءَ وَاسِعَةٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا فَلَمَّا أَنْ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ قُلْتُ: لَأَذْكُرَنَّهَا لِأَبِي بَكْرٍ. فَقَالَ: مَخْرَجُكَ الذى هَدَاكَ اللهُ لِلْإِسْلَامِ، وَالضِّيقُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ. (١).

فى قوله تعالى:﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ شرف التكليف بالدعوة :حيث إن سليمان عليه السلام كلف بنفسه الهدهد بتسليم الكتاب لبلقيس ولم يوكل غيره بالأمر،فنسب الكتاب لنفسه،وأعطى بنفسه الهدايات والتوجيهات للهدهد وأعلمه كيف يعمل.

وفى قوله:﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِم﴾التأكد من وصول الكتاب.

وفى قوله:﴿تَوَلَّ عَنْهُم﴾الإمهال؛ لينظروا فى أمرهم.

وفى قوله:﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾العودة والرجوع برأيهم،وما هى خلاصة مشورتهم،ففيه دلالة أنه لابد من إعطاء المُرْسَلِ الإرشادات اللازمة للقيام بمهمته،وهذه سنة الرسول [ﷺ]، فكان يُرسل الرسل ويبعث البعوث ويوصيهم بوصايا تامة،ويُرشدهم كيف يفعلون.

---

(١) البداية والنهاية» سنة ثمان من الهجرة النبوية» طَرِيقُ إِسْلَامِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ (ﷺ) قَالَ:" انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللهِّ وَبِاللهِّ،وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِّ،وَلا تَقْتُلُوا:شَيْخًا فَانِيًا،وَلا طِفْلاً،وَلا صَغِيرًا،وَلا امْرَأَةً،وَلا تَغُلُّوا "(١).

وذلك أبو بكر رضى الله عنه عندما ودع أسامة بن زيد رضى الله عنه أوصاه وأرشده قائلاً له:" أَسْتَوْدِعُ اللهَّ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ، إن رسول الله (ﷺ) أوصاك، فأنفُذْ لأمر رسول الله (ﷺ) ، فإنى لست آمرك، ولا أنهاك عنه،إنما أنا منفذ لأمر أمر به رسول اللهﷺ) (٢) .

فى قوله تعالى:﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ﴾بيان لفضيلة المشورة: حيث إن(بلقيس) لما تلقت الكتاب وقرأته ما استشاطت غضبًا، وما رَدَّته ابتداءً، بل عرضت الأمر على الملأ من قومها، فجلَّت لهم الأمر وقرأت عليهم الكتاب، وطلبت منهم النصيحة، وسألتهم الرأى، والمشورة؛ فأشركتهم فى الأمر وحمَّلتهم المسؤولية،وهذا فعل القائد الحكيم والأمير المسدَّد.

وفيها بيان لسرعة استجابتها للأمر،فما أهملت الكتاب،بل أخذت الأمر بالجد؛فجمعت له أهل مشورتها،ثم عرضته عليهم،طالبةً منهم النصح والرأى، لذلك كمّل الله لها رأيها،مع أنها امرأة (وهى بنصف عقل الرجل) فيُفهم من هذا، أن ضعف الرأى عند الأمير يُجْبَرُ بالمشورة، قال عمر

(١) رواه أبو داود(٢٢٤٧).
(٢) كنز العمال (٣١٢/٥).

(ﷺ)الرجال ثلاثةٌ: رجل ذو رأيٍّ ويُشاوِر، ورجل ذو رأى ولا يُشاوِر بنصف رجل، ورجل لا رأى له ولا يُشاوِر فهو حائرٌ بائرٌ (١) .

فى قوله تعالى:﴿إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ﴾ (قوة المبعوث من قوة الباعث):فإن الهدهد أتى(بلقيس)وهى تجلس بين قومها وأركان ملكها، فألقى الكتاب فى حجرها،ثم تولى قريبًا منهم ينظر بم يرجعون،كما أمره سيدنا سليمان عليه السلام،فلما قرأت الكتاب ورأت عليه ختم سليمان عليه السلام، علمت أن ذلك الهدهد مبعوث من سليمان عليه السلام فأخذت الأمر بالاهتمام وأولته الإعتبار؛لأنها علمت أن من وراء الهدهد قوة سيدنا سليمان عليه السلام،وأنه ينتظر ردّها،فَعُلِمَ أن قوة المبعوث من قوة باعثه،فلو كان الشأن من الهدهد لكانَ طفلٌ صغيرٌ بحجارةٍ قليلةٍ يَكفى لِيَرُدَّ الهدهدَ على أعقابه،ويكفيها أمره.

ولَمَّا جاء كتاب النبى [ﷺ] إلى(كسرى) يدعوه فيه إلى الله، استهان بأمر الكتاب ومزقه، كَتَبَ كِسْرَى إِلَى بَاذَانَ عَامِلِهِ عَلَى الْيَمَنِ أَنِ ابْعَثْ مِنْ عِنْدِكَ رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بِالْحِجَازِ فَلْيَأْتِيَانِي بِخَبَرِهِ، فَبَعَثَ بَاذَانُ قَهْرَمَانَهُ وَرَجُلا آخَرَ، وَكَتَبَ مَعَهُمَا كِتَابًا فَقَدِمَا الْمَدِينَةَ فَدَفَعَا كِتَابَ بَاذَانَ إِلَى النَّبِيِّ [ﷺ]، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِّ [ﷺ] وَدَعَاهُمَا إِلَى الإِسْلامِ وَفَرَائِضُهُمَا تُرْعَدُ، وَقَالَ: " ارْجِعَا عَنِّي يَوْمَكُمَا هَذَا حَتَّى تَأْتِيَانِي الْغَدَ فَأُخْبِرَكُمَا بِمَا أُرِيدُ ". فَجَاءَاهُ مِنَ الْغَدِ ، فَقَالَ لَهُمَا: " أَبْلِغَا صَاحِبَكُمَا أَنَّ رَبِّي قَدْ قَتَلَ رَبَّهُ

(١) الكنز(٨/٢٣٥).

كِسْرَى فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِسَبْعِ سَاعَاتٍ مَضَتْ مِنْهَا "، وَهِيَ لَيْلَةُ الثُّلاثَاءِ لِعَشْرِ لَيَالٍ مَضَيْنَ مِنْ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ سَبْعٍ: " وَأَنَّ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَلَّطَ عَلَيْهِ ابْنَهُ شِيرَوَيْهِ فَقَتَلَهُ "، فَرَجَعَا إِلَى بَاذَانَ بِذَلِكَ فَأَسْلَمَ هُوَ وَالأَبْنَاءُ الَّذِينَ بِالْيَمَنِ " (١).

وكذلك قوة كل داعٍ هى من قوة الله الذى كلفه بتلك الدعوة،وله من الله حفاظة﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس﴾(٢)، وقال لموسى وهارون عليهما السلام﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾(٣)،وقال للوط عليه السلام﴿ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ ﴾(٤).

فى قوله تعالى:﴿ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾(كرامة كتاب الدعوة،وكرامة الداعى) فإن بلقيس احترمت كتاب سليمان عليه السلام وقالت:إنه كتاب كريم وما احتقرته،أو انتقصت منه، بل أظهرت التقدير وأفصحت بالتبجيل للكتاب وما فيه،لذلك قال بعض العلماء:إن الله هدى قلبها لّما أظهرت الاحترام والتقدير لكتاب الدعوة، وقالت﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ بعكس(كسرى) الذى مزق كتاب رسول الله ﷺ لما جاءه؛ فمزّق الله ملكه؛ وأزال دولته.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد» ذِكْرُ بِعْثَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ...رقم الحديث: (٦١٣).

(٢) سورة المائدة _ الآية ٦٧.

(٣) سورة طه _ الآية ٤٦.

(٤) سورة هود _ الآية ٨١.

وفيها أن كل كتاب فيه كلام الله، أو كلام الدين هو كريم؛ لأن الله من أسمائِه (الكريم)، وجبريل عليه السلام رسول كريم، والنبى كريم ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾(١) ، والقرآن كريم﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾(٢)، وكل من يحمل الكتاب يصبح كريمًا، وفى هذا بيان أن الهدهد ارتقى من مقام التهديد إلى مقام التكريم؛ بتوصيله الكتاب،وأى كرامة أعظم من أن يَذكرَ اللهُ تبارك وتعالى الهدهدَ الضعيف فى أعظم كتبه!ويبلغ كلامه لأعظم رسله!حتى يكون عظة لأكرم أمة خلقها الله، واختارها لتقوم بجهد الأنبياء بعد ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك فيها دلالة على كرامة هذه الأمة التى كُلفت بهذا الجهد بعد نبيها عليه الصلاة والسلام، لما روى عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:"إِنَّكُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ" (٣) .

أما الفرق بين جهد النملة وجهد الْهُدْهُدَ:

١ - النملة خوفها على بني جنسها.. ورسالتها موجهة للنمل فقط .. النملة فكرها محلي فقط .

والهدهد خوفه على غير بني جنسه.. الهدهد فكره عالمي .

---

(١) سورة الحاقة _ الآية ٤٠.

(٢) سورة الواقعة _ الآية ٧٧.

(٣)الترمذى:(٢٩٢٧).

٢-النملة خوفها على فوات الدنيا.. لا يحطمنكم ؟؟؟؟؟ مساكن الدنيا.

أما الهدهد لا يرضى بعبادة غير الله .." وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ" ففكر الهدهد للآخرة وليس للدنيا.

٣-النملة مدى حركتها قريب .

أما الهدهد فحركته إلى أقصى مكان ممكن يصل إليه.

٤-سليمان ـ عليه السلام ـ تبسم من قول النملة ..؟؟؟؟ ضحك من خوفها على تحطيم المسكن.

أما الهدهد ـ فقد أخذ عليه السلام ـ غيابه مأخذ الجد(لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَو لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ)، لأن الأمر فيه نجاة قوم من نار جهنم .

هل عرفتم الفرق بين النملة والهدهد؟.

فجهد النملة محمود لأنها خافت على بني جنسها من الهلاك في الدنيا، أما جهد الهدهد (فهو أحمد منه) لأنه خاف على أمة مكلفة بالعبادة من الهلاك في الدنيا والآخرة، وهم من غير بني جنسه.

السؤال السادس عشر

يقول الشيخ عبد الجبار[١]: خرجنا في سبيل الله إلي قارة إفريقيا، ثم ذهبنا إلي الصومال فقمنا بزيارة الجامعة الإسلامية، فجاءت الانتقادات، قال أحد الطلبة: لماذا تخرجون في سبيل الله ، هل أصلحتم بلدكم ؟

ج : فقلت له: لو قلت لك أن الدين قد انتشر في ديارنا وتمسك الناس بالإسلام، فكان لزاما عليك أن تذهب إلي بلادنا لتري كيف انتشر الدين .. وكيف تمسك الناس بالإسلام .

والشيء الثاني: لماذا هاجر الرسول ﷺ من مكة إلي المدينة المنورة مع أن الإسلام لم ينتشر بمكة ؟!.أ.هـ.

فقدوتنا في الحركة والتجوال من مكان إلى مكان ومن قرية إلى قرية ومن مدينة إلى مدينة أخري، هو رسول الله [ﷺ]، فعندما لم يستجيب له أهل مكة ذهب إلى الطائف، ولما رجع من الطائف أخذ في التجول على القبائل المختلفة، وكان إذا لقيه مسافر أو غريب دعاه إلى الإسلام وإلى وحدانية الله تعالى، ففي تلك الأيام ذهب إلى قبيلة كنده وكان اسم زعيمها (**مليح**)، ثم وصل إلى

---

(١) من مشايخ الدعوة والتبليغ بالباكستان، وهو أحد أمراء الدعوة بإحدى مناطق باكستان وقد خرج معيَ تشكيل لمدة ثلاثة أسابيع، ونحنُ في طريق عودتنا بالقطار إلى رايوند كان يجلس بجواري وحكى لي مدة خروجه سنة كاملة، مع ذكر أحوال مصر وإفريقيا .

بني عبد الله وأخبرهم أن اسم أبيهم كان عبد الله فقال لهم كونوا اسماً على مسمى (**أي كونوا عباداً لله حقاً**) وغير ذلك من القبائل .. ثم أذن الله له بالهجرة إلى المدينة المنورة.

فالداعي إلى الله لا يقتصر في دعوته على أناس معينين أو قرية أو منطقة معينة، بل يحرص أن يَعم هذا الخير العظيم جميع الناس وطبقاتهم المختلفة، حتى ولو كانوا بعيدين عنه أشد البعد، وقبور الصحابة الكرام المنتشرة في بلادنا وغيرها أكبر دليل على هذا .

فهم تركوا أحب البلاد إليهم، وتركوا صحبة سيد البشر، لأنهم عرفوا أنّ هناك أمرٌ عظيم وهو تبليغ الدين .

الشيء الثالث: أن الله أرسل كل نبي في قومه فقط، فيقول:﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾ ونبينا (ﷺ)أرسل لكل العالم، قال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

فنحن أمة عالمية أرسلنا لكل العالم، وقد أصل ربعي بن عامر هذا الأصل عندما وقف أمام ربعي بن عامر، وصدع في وجهه بمقولته المشهورة حين سأله: مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ قَالَ: اللهُ ابْتَعَثَنَا، وَاللهُ جَاءَ بِنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلامِ،

(١) سورة سبأ _ الآية ٢٨.

فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ مِنَّا ذَلِكَ قَبِلْنَا ذَلِكَ مِنْهُ، وَرَجَعْنَا عَنْهُ وَتَرَكْنَاهُ وَأَرْضَهُ يَلِيهَا دُونَنَا، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللهِ . قَالَ: وَمَا مَوْعُودُ اللهِ ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفْرِ لِمَنْ بَقِيَ. فَقَالَ رُسْتُمُ: قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تُؤَخِّرُوا هَذَا الأَمْرَ حَتَّى نَنْظُرَ فِيهِ وَتَنْظُرُوا ؟ قَالَ: نَعَمْ كَمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ، أَيَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ؟، قَالَ: لا بَلْ حَتَّى نُكَاتِبَ أَهْلَ رَأْيِنَا وَرُؤَسَاءَ قَوْمِنَا، وَأَرَادَ مُقَارَبَتَهُ وَمُدَافَعَتَهُ. فَقَالَ: إِنَّ مِمَّا سَنَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ [ﷺ] ، وَعَمِلَ بِهِ أَئِمَّتُنَا أَلا نُمَكِّنَ الأَعْدَاءَ مِنْ آذَانِنَا وَلا نُؤَجِّلَهُمْ عِنْدَ اللِّقَاءِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثٍ، فَنَحْنُ مُتَرَدِّدُونَ عَنْكُمْ ثَلاثًا، فَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ وَأَمْرِهِمْ، وَاخْتَرْ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاثٍ بَعْدَ الأَجَلِ: اخْتَرِ الإِسْلامَ وَنَدَعُكَ وَأَرْضَكَ، أَوِ الْجِزَاءَ فَنَقْبَلَ وَنَكُفَّ عَنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ عَنْ نَصْرِنَا غَنِيًّا تَرَكْنَاكَ مِنْهُ، وَإِنْ كُنْتَ إِلَيْهِ مُحْتَاجًا مَنَعْنَاكَ، أَوِ الْمُنَابَذَةِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ، وَلَسْنَا نَبْدَؤُكَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَوْمِ الرَّابِعِ إِلا أَنْ تَبْدَأَنَا، أَنَا كَفِيلٌ لَكَ بِذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِي وَعَلَى جَمِيعِ مَنْ تَرَى. قَالَ: أَسَيِّدُهُمْ أَنْتَ ؟ قَالَ: لا وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَسَدِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، يُجِيرُ أَدْنَاهُمْ عَلَى أَعْلاهُمْ. (١) فهذه الأمة الله وضع علي عاتقها مسئولية العالم كله.

(١) تاريخ الطبري ـ (١١٥٦).

السؤال السابع عشر

س : سأل أحد الأحباب، الشيخ عبد الوهاب[١]: عن زحمة الأعمال كل الوقت، وقال له: بيان الفجر ثم دعوة انفرادية ثم إفطار ثم هدايات، ثم تعليم أين وقت الذكر؟

ج : **فقال الشيخ**: اسأل صح، فقل: صلاة الفجر من الدين، ثم البيان من الدين، ثم دعوة الناس إلى الله من الدين، ثم الذكر من الدين، ثم هدايات الخارجين في سبيل الله من الدين، ثم السؤال: متى وقت الطعام ؟.

إذا المشكلة متى الإفطار وليس متى الذكر فالأعمال تكون في مواعيدها ثم حاجة النفس بعد ذلك.. والتسبيح قبل الشروق وقبل الغروب له فضل كبير بخلاف تأدية الأذكار بعد الشروق وبعد الغروب.

والاستغفار قبل صلاة الفجر ثوابه أعلى بكثير من بعد الفجر، فالله حدد أوقات للاستغفار والأذكار.

والله يحب أن كل عمل يؤدى في وقته، فالصلاة في وقتها والصيام في شهره والحج في وقته، والزكاة في وقتها، ومثلا: زكاة الفطر قبل صلاة العيد زكاة، وبعد الصلاة صدقة.

وأيضا الذكر والدعاء يكون بالمسنون والوارد عن الرسول [ﷺ] (

---

(١) أمير الدعوة والتبليغ بالباكستان.

والقاعدة الفقهية تقول لا اجتهاد مع النص) وأيضا يكون بالكيفية الواردة، فعن الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ (ﷺ) قَالَ إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْاللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلَامِكَ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالَ فَرَدَّدْتُهُنَّ لِأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ قَالَ قُلْ آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ [1]. فالعبادات توقيفية.

وأيضا الرسول (ﷺ) تأخر على وفد ثقيف لدعوتهم، ثم علل سبب التأخر، حتى يقضي حزبه، وكره أن يطلع عليهم قبل أن يتمه، فقد أخرج أحمد وأبو داود، وابن ماجه عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِّ بْنِ أَوْسٍ عَنْ جَدِّهِ أَوْسِ بْنِ حُذَيْفَةَ قَالَ قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِّ (ﷺ) فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ فَنَزَّلُوا الْأَحْلَافَ عَلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَأَنْزَلَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ) بَنِي مَالِكٍ فِي قُبَّةٍ لَهُ فَكَانَ يَأْتِينَا كُلَّ لَيْلَةٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ فَيُحَدِّثُنَا قَائِمًا عَلَى رِجْلَيْهِ حَتَّى يُرَاوِحَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَأَكْثَرُ مَا يُحَدِّثُنَا مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَقُولُ وَلَا سَوَاءَ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ

(١) صحيح مسلم» كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار» بَاب مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ (٢٧١٠).

مُسْتَذَلِّينَ فَلَمَّا خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَتْ سِجَالُ الْحَرْبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ نُدَالُ عَلَيْهِمْ وَيُدَالُونَ عَلَيْنَا فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَبْطَأَ عَنْ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ يَأْتِينَا فِيهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ أَبْطَأْتَ عَلَيْنَا اللَّيْلَةَ قَالَ إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبِي مِنْ الْقُرْآنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَخْرُجَ حَتَّى أُتِمَّهُ قَالَ أَوْسٌ فَسَأَلْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ قَالُوا ثَلَاثٌ وَخَمْسٌ وَسَبْعٌ وَتِسْعٌ وَإِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ (١).

فهكذا كان اهتمام النبي بأعماله الانفرادية مع كثرة المشاغل الدعوية وتعليم الناس والجلوس معهم لتزكيتهم وتربيتهم.. اللهم فهمنا.

(١) سنن أبي داود » كتاب الصلاة » أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله » باب تحزيب القرآن _ رقم الحديث (١٣٩٣)، سنن ابن ماجه » كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها » باب في كم يستحب يختم القرآن _ رقم الحديث (١٣٤٥) .

السؤال الثامن عشر

س: ما هي آداب الدعـاء؟

ج : يقول الله تعالي: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَـرُّعًا وَخُفْيَـةً إِنَّـهُ لاَ يُحِـبُّ الْمُعْتَـدِينَ﴾(١)،

وقال تعالي :﴿ أَمَّن يُجِيـبُ الْمُضْـطَرَّ إِذَا دَعَـاهُ وَيَكْشِـفُ السّـوَءَ وَيَجْعَلُكُـمْ خُلَفَآءَ الأَرْضِ أَإِلَـهٌ مّعَ اللهِ قَلِيلاً مّا تَذَكّرُونَ﴾ (٢).

وعَنْ أَبِي نَعَامَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ، سَمِعَ ابْنَهُ، يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْـأَلُكَ الْقَصْرَ الأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ، إِذَا دَخَلْتُهَا . فَقَـالَ أَيْ بُنَـيَّ سَـلِ اللَّهَ الْجَنَّـةَ وَتَعَوَّذْ بِهِ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُـولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُـولُ: " إِنَّـهُ سَـيَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالدُّعَاءِ " أبو داود، وابن ماجة .

وقول ابن عباس في معنى المعتدين: قال في الدعاء ولا في غيره(٣).

ومعروف أن الذكر والدعاء من العبادة.. والعبادة لا تتم إلا بما أمر بـه الشـرع.. وبالكيفية التي فعلها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومعنى تضرعا: التَّضَـرُّعُ تَفَعُّلٌ مِنَ الضَّـرَاعَةِ مَعْنَـاهُ تَكَلُّفُهَـا أَوِ الْمُبَالَغَـةُ

---

(١) سورة الأعراف _ الآية ٥٥.

(٢) سورة النمل _ الآية ٦٢.

(٣) تفسير ابن كثير.

فِيهَا أَوْ إِظْهَارُهَا وَاخْتَارَهُ الرَّاغِبُ، وَهِيَ مَصْدَرُ ضَرَعَ كَخَشَعَ إِذَا ضَعُفَ وَذَلَّ، وَتَلَوَّى وَتَمَلْمَلَ، وَمَأْخَذُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ ضَرَعَ إِلَيْهِمْ إِذَا تَنَاوَلَ ضَرْعَ أُمِّهِ، وَإِنَّ حَاجَةَ الصَّغِيرِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْإِنْسَانِ إِلَى الرَّضَاعِ مِنْ أُمِّهِ لَمِنْ أَشَدِّ مَظَاهِرِ الْحَاجَةِ وَالِافْتِقَارِ بِشُعُورِ الْوِجْدَانِ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ لَا يَتَوَجَّهُ إِلَى غَيْرِهِ مَعَهُ، وَلِذَلِكَ خُصَّ اسْتِعْمَالُ التَّضَرُّعِ فِي التَّنْزِيلِ بِمَوَاطِنِ الشِّدَّةِ، (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) (١)، وَذَلِكَ أَنَّ دُعَاءَ اللَّهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَلَا سِيَّمَا فِي حَالِ الشِّدَّةِ هُوَ مُخُّ الْعِبَادَةِ وَرُوحُهَا، وَلَهُ مَظْهَرَانِ: التَّضَرُّعُ وَالِابْتِهَالُ، وَالْخُفْيَةُ وَالْإِسْرَارُ.

أَيِ ادْعُوا رَبَّكُمْ وَمُدَبِّرَ أُمُورِكُمْ مُتَضَرِّعِينَ مُبْتَهِلِينَ إِلَيْهِ تَارَةً، وَمُسِرِّينَ مُسْتَخْفِينَ تَارَةً أُخْرَى، أَوْ دُعَاءُ تَضَرُّعٍ وَتَذَلُّلٍ وَابْتِهَالٍ، وَدُعَاءُ مُنَاجَاةٍ وَإِسْرَارٍ وَوَقَارٍ، وَلِكُلٍّ مِنَ الدُّعَاءَيْنِ وَقْتٌ، وَدَاعِيَةٌ مِنَ النَّفْسِ، فَالتَّضَرُّعُ بِالْجَهْرِ الْمُعْتَدِلِ تَحْسُنُ فِي حَالِ الْخَلْوَةِ وَالْأَمْنِ مِنْ رُؤْيَةِ النَّاسِ الدَّاعِيَ وَمِنْ سَمَاعِهِمْ لِصَوْتِهِ، فَلَا جَهْرُهُ يُؤْذِيهِمْ وَلَا الْفِكْرُ فِيهِمْ يَشْغَلُهُ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى الرَّبِّ وَحْدَهُ ، أَوْ يُفْسِدُ عَلَيْهِ دُعَاءَهُ بِحُبِّ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ.

وَالْإِسْرَارُ يَحْسُنُ فِي حَالِ اجْتِمَاعِ النَّاسِ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَشَاعِرِ وَغَيْرِهَا إِلَّا مَا وَرَدَ رَفْعُ الصَّوْتِ فِيهِ مِنَ الْجَمِيعِ، كَالتَّلْبِيَةِ فِي الْحَجِّ وَتَكْبِيرِ الْعِيدَيْنِ، وَهُوَ

(١) سورة المؤمنون _ الآية ٧٦.

مُشْتَرَكٌ لَا رِيَاءَ فِيهِ، وَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ سَتْرًا وَلِبَاسًا شُرِعَ فِيهِ الْجَهْرُ فِي قِرَاءَةِ الصَّلَاةِ، وَهُوَ لِلْمُجْتَهِدِ فِي خَلْوَتِهِ يَطْرُدُ الْوَسْوَاسَ، وَيُقَاوِمُ فُتُورَ النُّعَاسِ، وَيُعِينُ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَبُكَاءِ الْخُشُوعِ لِلرَّحْمَنِ.

وَمِنْ مُفَسِّرِي السَّلَفِ مَنْ جَعَلَ التَّضَرُّعَ وَالْخُفْيَةَ مُتَّفِقَيْنِ غَيْرَ مُتَقَابِلَيْنِ، بِتَفْسِيرِ التَّضَرُّعِ بِالتَّخَشُّعِ وَالتَّذَلُّلِ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي سَفَرٍ فَجَعَلَ النَّاسَ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ [ﷺ]: " أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ " هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ .

قَالَ النَّوَوِيُّ(رحمه الله): فَفِيهِ خَفْضُ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ إِذَا لَمْ تَدْعُ حَاجَةٌ إِلَى رَفْعِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا خَفَضَهُ كَانَ أَبْلَغَ فِي تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ، فَإِذَا دَعَتْ حَاجَةٌ إِلَى الرَّفْعِ رَفَعَ كَمَا جَاءَتْ بِهِ أَحَادِيثُ. إ. هـ .

وَالْمُتَبَادَرُ مِنَ الْعِبَارَةِ أَنَّ الْإِنْكَارَ إِنَّمَا كَانَ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي الْجَهْرِ وَنَاهِيكَ بِكَوْنِهِ مِنْ جَمَاعَةٍ كَثِيرِينَ، وَرُبَّمَا كَانَ بَعْضُهُمْ يَظُنُّ أَنَّ الْجَهْرَ بِتِلْكَ الصِّفَةِ أَرْضَى لِلرَّبِّ وَأَرْجَى لِلْقَبُولِ، وَقَالَ تَعَالَى: (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) (١).

---

(١) سورة المؤمنون _ الآية ١١٠.

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ فَقِهَ الْفِقْهَ الْكَثِيرَ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ الطَّوِيلَةَ فِي بَيْتِهِ وَعِنْدَهُ الزُّوَّارُ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ، وَلَقَدْ أَدْرَكْنَا أَقْوَامًا مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَمَلٍ يَقْدِرُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ فِي السِّرِّ فَيَكُونَ عَلَانِيَةً أَبَدًا، وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَمَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتٌ إِنْ كَانَ إِلَّا هَمْسًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَّ تَعَالَى يَقُولُ: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) وَذَلِكَ أَنَّ اللهَّ ذَكَرَ عَبْدًا صَالِحًا رَضِيَ فِعْلَهُ فَقَالَ: (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) أ.هـ .

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: يُكْرَهُ رَفْعُ الصَّوْتِ وَالنِّدَاءِ وَالصِّيَاحِ فِي الدُّعَاءِ وَيُؤْمَرُ بِالتَّضَرُّعِ وَالِاسْتِكَانَةِ (١).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ادْعُوا، أَيُّهَا النَّاسُ، رَبَّكُمْ وَحْدَهُ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ، دُونَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ ". تَضَرُّعًا "، يَقُولُ: تَذَلُّلًا وَاسْتِكَانَةً لِطَاعَتِهِ.

" وَخُفْيَةً "، يَقُولُ بِخُشُوعِ قُلُوبِكُمْ، وَصِحَّةِ الْيَقِينِ مِنْكُمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، لَا جِهَارًا وَمُرَاءَاةً، وَقُلُوبُكُمْ غَيْرُ مُوقِنَةٍ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، فِعْلَ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالْخِدَاعِ للهَّ وَلِرَسُولِه.

---

(١) تفسير المنار» سورة الأعراف» تفسير قوله تعالى:(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً).

وعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَمَا يَشْعُرُ جَارُهُ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ فَقُهَ الْفِقْهَ الْكَثِيرَ، وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ الطَّوِيلَةَ فِي بَيْتِهِ وَعِنْدَهُ الزَّوْرُ، وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ.

وَلَقَدْ أَدْرَكْنَا أَقْوَامًا مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَمَلٍ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَعْمَلُوهُ فِي السِّرِّ فَيَكُونُ عَلَانِيَةً أَبَدًا! وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ، وَمَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتٌ، إِنْ كَانَ إِلَّا هَمْسًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَّ يَقُولُ:(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً)، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَّ ذَكَرَ عَبْدًا صَالِحًا فَرَضِيَ فِعْلَهُ فَقَالَ :{ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا }(١) (٢).

الدعاء والذكر من أقوى الأعمال التي تعين على الدعوة.

والذي ليس عنده دعاء قوي بربه لا يترقى إيمانه، ولا يستمر في دعوته.

وأيضا الذكر والدعاء من أقوى الأسباب للخشوع في الصلاة.

ولذا نجد الأمر بقيام الليل قبل الأمر بالدعوة، لأنه الزاد في دعوته بعد ذلك نهارا، لأن الله عنده خزائن كل شيء.

فالهداية والإيمان من أغلى الأشياء في خزائن الله، لأن الإنسان بتحقيق

---

(١) سورة مريم _ الآيتان ٢ ، ٣.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري.

العبودية لله، يكون معه أسباب العزة والكرامة والقوة وسعادته في الدنيا والآخرة.

ولذا لا بد من الطلب منه باستمرار، ولذا نجد سيدنا سليمان يقول: { وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي[1] أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ }(٢).

فلا بد للداعي من وقت يذكر فيه ربه، حتى يملأ قلبه بالخشية والاطمئنان والسكون والمحبة والأنس والقرب من ربه سبحانه وتعالى.

وأيضا يكون له وقت يدعو فيه ربه لأنه ضعيف ذليل مهين، محتاج إلى ربه.

والموانع التي تمنع انطلاق العبد لربه كثيرة، فلا بد من الاستعانة بقوي وعزيز وغني ورحيم ورءوف وعفو حتى يستطيع السير في الطاعة التي تجعله في كنف الله وولايته وحفاظته ورضاه.

ومن فوائد الدعاء لله: تمنع تسلط النفس على صاحبها بسبب الطاعة، أيضا والحديث من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمى نفسه فقد كفر وحبط عمله ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيء فقد كفر بما أنزل على أنبيائه .

إذا واجب علينا في الذكر تعلم الآتي: تعلم ألفاظ الذكر المسنون، ومعرفة

---

(١) أَوْزِعْنِي: أي ألهمني، وأولعني أن أشكر نعمتك بحيث لا أنفكُّ عن شكرها.

(٢) سورة النمل _ الآية ١٩ .

وقت كل نوع والأداء بالكيفية والآداب الواردة عن الرسول [ﷺ] واستحضار من أذكر في قلبي وفكري، واستحضار ذنوبي.

وأيضا عند الدعاء واجب أن نعرف الآتي:

- **تعلم المسنون: قال ابن تيمية(رحمه الله):** وينبغي للخَلق أن يدعوا بالأدعية المشروعة التي جاء بها الكتاب والسنة ، فإنَّ ذلك لا ريب في فضله وحسنه، وأنَّه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقا .

- معرفة دعاء كل حال معرفة الأوقات المستحبة للدعاء مثل : ليلة القدر – ليلة ويوم الجمعة – يوم عرفة – أثناء الصيام وعند الإفطار – بعد الصلاة – بعد تلاوة القرآن – بعد مجالس العلم – في السفر رضاء الله – عند نزول المطر.

- معرفة ترتيب الدعاء بأن يكون الاستفتاح بأسماء الله الحسنى أو بعض منها – أدعية الاستفتاح – ثم أدعية القرآن التي وردت على لسان الأنبياء – ثم المسنون عن الرسول (ﷺ) وهو نوعان من جوامع الدعاء ومفصل الدعاء.

- معرفة آداب الدعاء مثل الطهارة المعنوية الحسية .

- يبدأ الدعاء لنفسه ثم للوالدين (أحياء وأموات) ثم للأهل ثم للأخوة وأولادهم ثم للخارجين ثم لصلة رحمي وجيراني والزملاء في العمل ثم المسلمين ثم العالم أجمع .

- الدعاء في الرخاء: " تَعَرَّفْ إِلَى اللهَّ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ

مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ " (١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رضي الله عنه] قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ [ﷺ] :" مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ(٢)وَالْكَرْبِ؛ فَلْيُكْثِرْ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ "(٣).

وَخَرَّجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ أَنَسٍ يَرْفَعُهُ أَنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا دَعَا فِي بَطْنِ الْحُوتِ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ هَذَا صَوْتٌ مَعْرُوفٌ مِنْ بِلَادٍ غَرِيبَةٍ ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَمَا تَعْرِفُونَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ: عَبْدِي يُونُسُ ، قَالُوا : عَبْدُكَ يُونُسُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ مُتَقَبَّلٌ وَدَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: يَا رَبِّ ، أَفَلَا تَرْحَمُ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِي الرَّخَاءِ فَتُنْجِيَهِ مِنَ الْبَلَاءِ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَأَمَرَ اللهُ الْحُوتَ فَطَرَحَهُ بِالْعَرَاءِ(٤) .

وَقَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ : اذْكُرُوا اللهَ فِي الرَّخَاءِ ، يَذْكُرْكُمْ فِي الشِّدَّةِ ، إِنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى ، فَلَمَّا وَقَعَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ :

---

(١)أخرجه الحاكم ٣/٥٣٧ ، والقضاعي في "مسند الشهاب" (٧٤٥) ، والطبراني (١١٠٨٧) ، والضياء في "المختارة" (٣٨٥٨).

(٢) قال العلامة المباركفوري في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي": قَوْلُهُ : " الشّدَائِدِ" جَمْعُ الشّدِيدَةِ وَهِيَ الْحَادِثَةُ الشّاقّةُ "وَالْكُرَبِ" جَمْعُ الْكُرْبَةِ وَهِيَ الْغَمّ الّذِي يَأْخُذُ بِالنّفْسِ " فِي الرّخَاءِ" أَيْ فِي حَالَةِ الصّحّةِ وَالْفَرَاغِ وَالْعَافِيَةِ لِأَنّ مِنْ شِيمَةِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُرَيّشَ السّهْمَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ وَيَلْتَجِئَ إلَى اللّهِ قَبْلَ الاضْطِرَارِ" .

(٣) أخرجه الترمذي (٤٦٢/٥ ، رقم ٣٣٨٢) وقال: غريب. والحاكم (٧٢٩/١ ، رقم ١٩٩٧) وقال: صحيح الإسناد، وأبو يعلى (٢٨٣/١١ ، رقم ٦٣٩٦) ، وابن عدى (٣٥٢/٥ ، ترجمة ١٥١١ عبيد بن واقد) وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٢ / ١٤٢).

(٤) جامع العلوم والحكم» الْحَدِيثُ التَّاسِعَ عَشَرَ _ حديث: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، ..... .

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(١) وَإِنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ طَاغِيًا نَاسِيًا لِذِكْرِ اللهَّ ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ ، قَالَ : آمَنْتُ ، فَقَالَ اللهُّ تَعَالَى : آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٢) (٣).

قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ دَعَّاءً فِي السَّرَّاءِ ، فَنَزَلَتْ بِهِ ضَرَّاءُ ، فَدَعَا اللهَّ تَعَالَى ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : صَوْتٌ مَعْرُوفٌ فَشَفَعُوا لَهُ ، وَإِذَا كَانَ لَيْسَ بِدَعَّاءٍ فِي السَّرَّاءِ ، فَنَزَلَتْ بِهِ ضَرَّاءُ ، فَدَعَا اللهَّ تَعَالَى قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : صَوْتٌ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ ، فَلَا يَشْفَعُونَ لَهُ (٤).

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ: أَوْصِنِي ، فَقَالَ: اذْكُرِ اللهَّ فِي السَّرَّاءِ يَذْكُرْكَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ فِي الضَّرَّاءِ (٥).

وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ادْعُ اللهَّ فِي يَوْمِ سَرَّائِكَ لَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكَ فِي يَوْمِ ضَرَّائِكَ (٦).

ويقول ابن القيم(رحمه الله): وَإِذَا جَمَعَ مَعَ الدُّعَاءِ حُضُورَ الْقَلْبِ وَجَمْعِيَّتَهُ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى الْمَطْلُوبِ ، وَصَادَفَ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ السِّتَّةِ،

---

(١) سورة الصَّافَّاتِ : الآيتان ١٤٣ – ١٤٤.
(٢) سورة يُونُسَ : الآية ٩١.
(٣) المرجع السابق .
(٤) المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق .
(٦) المرجع السابق .

وَهِيَ : الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ، وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَأَدْبَارُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَعِنْدَ صُعُودِ الْإِمَامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ حَتَّى تُقْضَى الصَّلَاةُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَآخِرُ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ .

وَصَادَفَ خُشُوعًا فِي الْقَلْبِ، وَانْكِسَارًا بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ ، وَذُلًّا لَهُ ، وَتَضَرُّعًا، وَرِقَّةً وَاسْتَقْبَلَ الدَّاعِي الْقِبْلَةَ. وَكَانَ عَلَى طَهَارَةٍ . وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللهَّ . وَبَدَأَ بِحَمْدِ اللهَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ . ثُمَّ ثَنَّى بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ [ﷺ]. ثُمَّ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ حَاجَتِهِ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى اللهَّ ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَتَمَلَّقَهُ وَدَعَاهُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً . وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوْحِيدِهِ . وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ دُعَائِهِ صَدَقَةً ، فَإِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ لَا يَكَادُ يُرَدُّ أَبَدًا ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ صَادَفَ الْأَدْعِيَةَ الَّتِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ (ﷺ) أَنَّهَا مَظَنَّةُ الْإِجَابَةِ ، أَوْ أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِلاسْمِ الْأَعْظَمِ . (١).

وإذا اشتمل الدعاء على هذه الآداب ولم تر أثراً للإجابة فاعلم أن الله صرف عنك من السوء ما هو أنفع لك، أو ادَّخر لك في الآخرة ما تكون أحوج إليه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، قَالَ:" مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَنْصِبُ وَجْهَهُ للهَّ، يَسْأَلُهُ مَسْأَلَةً إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا، إِمَّا عَجَّلَهَا لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَخَّرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَدَعَوْتُ فَلا أَرَاهُ

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء» فَصْلٌ أَوْقَاتُ الْإِجَابَةِ.

يُسْتَجَابُ (١)، وفي رواية أحمد:" مَا مِنْ مُسْلِم ....." .

يقول الشيخ إلياس (رحمه الله): حقيقة الدعاء هو أن يعرض الداعي حاجته الى صاحب المقام العظيم الله جل جلاله فيتوجه إليه بالقلب لتلك العظمة، وأن يكون دعاءه بألفاظ التضرع والانكسار، ويدعو وهو على يقين بأن الله يستجيب له.

لأن الله جل جلاله هو المسئول وهو الجواد الكريم بعباده، وخزائن السموات والأرض كلها بيده جل جلاله. (٢) .

.. والتوفيق بالله تعالى..

(١) شعب الإيمان للبيهقي» الثاني عشر من شعب الإيمان بَابٌ فِي الرَّجَاءِ مِنَ ...(١٠٨٥)، مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » بَاقِي مُسْنَد المُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ(٩٥٧٢) لدعوات الكبير للبيهقي(٣١٢).

(٢) أقوال الشيخ الياس للعلامة محمد منظور النعماني ص٤٨

السؤال التاسع عشر

س: ما معني قوله تعالي: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّار ﴾ [1]؟.

ج: قال مجاهد (رحمه الله): أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها. وكذا قال السدي ذكرهم للآخرة وعملهم لها.

وقال مالك بن دينار(رحمه الله): نزع الله من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها . وكذا قال عطاء الخراساني .

وقال سعيد بن جبير (رحمه الله): يعني بالدار الجنة يقول: أخلصناها لهم بذكرهم لها. وقال في رواية أخري: ذكرى الدار (عقبى الدار).

وعَنْ قَتَادَةَ(رحمه الله): (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قَالَ : بِهَذِهِ أَخْلَصَهُمُ اللهُ، كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الْآخِرَةِ وَإِلَى اللهِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ أَخْلَصَهُمْ بِعَمَلِهِمْ لِلْآخِرَةِ وَذِكْرِهِمْ لَهَا .

وقال ابن زيد (رحمه الله): جعل لهم خاصة أفضل شيء في الدار الآخرة.

وقوله : (وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ[2]) أي: لمن المختارين المجتبين الأخيار فهم أخيار مختارون .

---

(١) سورة ص – الآية ٤٦ .

(٢) سورة ص – الآية ٤٧ .

ويقول ابن القيم (رحمه الله) : وَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِّ عَلَى الْعَبْدِ: أَنْ يَرْفَعَ لَهُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ ذِكْرَهُ، وَيُعْلِي قَدْرَهُ، وَلِهَذَا خَصَّ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَآ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدّارِ﴾ (١).

أَيْ: خَصَصْنَاهُمْ بِخِصِّيصَةٍ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ الَّذِي يُذْكَرُونَ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَهُوَ لِسَانُ الصِّدْقِ الَّذِي سَأَلَهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَيْثُ قَالَ: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾ (٢) وقال سبحانه: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾ (٣).

وَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ }(٤).

فَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مِيرَاثِهِمْ مِنْ طَاعَتِهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ، وَكُلُّ مَنْ خَالَفَهُمْ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مُخَالَفَتِهِمْ وَمَعْصِيَتِهِمْ(٥).

---

(١) سورة ص – الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٢) سورة الشعراء – الآية ٨٤.

(٣) سورة مريم – الآية ٥٠ .

(٤) سورة الشرح – الآية ٤ .

(٥) الداء والدواء المسمى بـ «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي».

السؤال العشرون

س: كيف نعرف ضروريات الحياة ؟.

ج : يقول الشيخ طه عبد الستار (حفظه الله) [١]: في الحديث عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، أَنّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ، قَالَ:« كُلُّ شَيْءٍ سِوَى ظِلِّ بَيْتٍ، وَجِلْفِ الْخُبْزِ، وَثَوْبٍ يُوَارِي عَوْرَتَهُ، وَالْمَاءِ، فَمَا فَضَلَ عَنْ هَذَا فَلَيْسَ لابْنِ آدَمَ فِيهِ حَقٌّ». [٢].

وفي رواية الترمذي: " لَيْسَ لابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هَذِهِ الْخِصَالِ: بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ" أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح (٣).

فما تعدي ذلك فهو من شهوات الحياة، مع أنها حلال لكنها تشغله.. فيبذل وقته وجهده ليأتي بالمال ليقضي هذه الشهوات.. فعندما يطلب منه الوقت للجهد فيقول: ما عندي وقت !.. أو ما عندي مال.. لأنه مديون.. ثم يقول: العمل عباده.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ رَأَى فِي يَدِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِّ دِرْهَمًا فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّرْهَمُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ بِهِ لَحْمًا لِأَهْلِي، قَرِمُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَفَكُلَّمَا

---

(١) من مشايخ الدعوة والتبليغ بمصر.

(٢) مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » مُسْنَدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ» مُسْنَدُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ _ رقم الحديث: ٤٣٠.

(٣) مشكاة المصابيح باب الرقاق ١٤٣٢/٣ .

اشْتَهَيْتُمْ شَيْئًا اشْتَرَيْتُمُوهُ؟! أَيْنَ تَذْهَبُ عَنْكُمْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (١) (٢).

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، فِي "الزُّهْدِ" عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: مَرَّ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مُتَعَلِّقًا لَحْمًا عَلَى عُمَرَ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جَابِرُ؟ قَالَ : هَذَا لَحْمٌ اشْتَرَيْتُهُ اشْتَهَيْتُهُ. قَالَ: وَكُلَّمَا اشْتَهَيْتَ شَيْئًا اشْتَرَيْتَهُ؟ أَمَا تَخْشَى أَنْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةَ:[أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا] (٣).

فإذا اشتهي الإنسان شيئا ولم يستطيع أن يشتريه فماذا يفعل؟ يسرق؟!.

فنأخذ من الدنيا بقدر الضرورة، مثل ما نأخذ من مال اليتيم، قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَىَ بِاللّهِ حَسِيباً ﴾ (٤).

(١) سورة الأحقاف – الآية ٢٠ .

(٢) أَخْرَجَه سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ" (الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي).

(٣) المرجع السابق.

(٤) سورة النساء – الآية ٦ .

السؤال الحادي والعشرون

س: **ما الفرق بين الواعظ والداعي ؟**

ج: الواعظ: يعطي ما يحفظه للناس.

- أما الداعي: رجل مؤمن بدعوته مخلصا لها، مهموما متألما بـألآم أمتـه يعيش همومها.. يقوم علي أمر ربه ويقيم غيره، ولذلك يتابع من يـدعوهم إلى الله ﷻ، ويـزورهم، ويكـرمهم، ويأخـذ بأيـديهم إلى الله ﷻ، مـرة بالابتسامة، ومرة بالكلمـة الطيبـة، ومـرة بالسـؤال عـن أحـوالهم، ومـرة بإكرامهم.
- فالداعي مثل: الراعي الشفوق علي غنمه، والأب الحاني عـلي ولـده.. متوجها إلى الله ﷻ أن يفتح له قلوب الناس.. وأن يقبل دعوته وأن يجعلـه الله ﷻ من الذين قال الله فيهم:﴿ وَالَّذِيـنَ يُمَسِّـكُونَ بِالْكِتَـابِ وَأَقَـامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّـا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (١).
- وميدان عمل الداعية أوسع من ميدان الواعظ: فالواعظ يقول ويمضى، ولكن الداعي كالمـدرس في المدرسـة؟ يشرـح، ويوضـح، ويتـابع نشـاطه وجهده ولا يترك جهده يضيع .

---

(١) سورة الأعراف _ الآية ١٧٤.

- **والداعي:** يعايش الناس، ويشاركهم في أفراحهم وأحزانهم، ويساعد فقيرهم، ويأسى لمريضهم.
- **والداعي:** يجعل من نفسه مثالا يحتذى به في مظهره وسلوكه وأخلاقه.
- **والداعي:** مهمته أن يجمع قلوب الناس، فلا تبدو منه كلمة أو عبارة منفرة، أو تثير الضغائن، أو تفتح بابا للشيطان .
- **والواعظ:** يلقي كلمته ويذهب .
- **فالبعض** يتصور أن الداعية هو الذي يعتلي المنابر خطيبا، أو الذي يظهر في وسائل الإعلام متكلما في أمور الدين ومبينا، أو الذي يحرر الفتاوى دالاً الناس بها على حكم الله عز وجل وموضحاً، أو الذي يقوم بالكتابة والتأليف مرشداً، أو الذي يقوم بتنظيم الناس في هيئات أو جمعيات ذات أهداف متعلقة بخدمة الدعوة.(**نعم هذه الأشياء جزء من عمل الداعي**).

ولكن الداعية حقيقةً: هو الذي امتلأ قَلْبه بِهَمّ وفكر الرسول صلى الله عليه وسلم، هو الذي امتلأ قلبه بِهِمَّة ومُهِمَّة جَمْع الخَلْق على الخَالِق.

السؤال الثاني والعشرون

س: **هل الإنسان يتبع عقله، أم قلبه ؟**

ج : **يقول الشيخ طه عبد الستار** (حفظه الله) (١): القلب يحب، والعقل يفهم، فلما الإنسان يحب فيعمل خلاف عقله، مثل إبراهيم عليه السلام لما دخل حب الله في قلبه عمل خلاف عقله وامتثل أمر الله في ذبح إسماعيل، لو عرضنا علي العقل فيقول ما ذنب إسماعيل عليه السلام، من أجل رؤيا ؟ ولكن رؤيا الأنبياء وحي من الله تعالي.. فسيطر الذي في قلب إبراهيم علي عقله، قال تعالي:﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢)،﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ (٣).

والله ﷻ أمر الرسول ﷺ وأمته باتباع ملة إبراهيم عليه السلام العقل لا يقول: لما يفقد الإنسان الماء في الطهارة يضع التراب علي وجهه، ولكن التكليف خلاف العقل.. تقبل بقلبك ولا بعقلك ؟.

ليس من المقصود أن تقبل المعلومة بعقلك، ولكن المقصود ترسيخها في القلب.. فكثير من الدكاترة يحضر دكتوراه في أضرار التدخين ولو اقتربت منه لوجدته مدخنا، وكم من طبيب نهي عن التدخين، وهو مدخن.

ولذا كان جهد الأنبياء عليهم مركز على قلب الإنسان.

---

(١) من مشايخ الدعوة والتبليغ بمصر.

(٢) سورة النحل – الآية ١٢٠.

(٣) سورة النجم – الآية ٣٧.

السؤال الثالث والعشرون

س: ما هي مقدمات السعادة ومقدمات الشقاوة ؟

ج: يقول الشيخ عبد المنعم عبد الله (حفظه الله)(١): المرأة تشتري طقم التوابل، وكل علبه مكتوب عليها، إحداهن عليها: سكر، والثانية: شاي، والثالثة: ملح، وهكذا فالمرأة أمية ووضعت الملح في علبة السكر، والسكر في علبة الملح.. وهكذا.. وجاء زوجها من العمل، فأراد أن يشرب كوب شاي، فأخذ العلبة المكتوب عليها سكر، ووضع منها علي كوب الشاي فبعد أن أذابه ذاق طعمه فوجده ملح.. فكل الأشياء أواني فارغة فالله ﷻ قادر أن يجعل في الشيء الذي فيه سعادة تعاسة، والشيء الذي فيه تعاسة سعادة.. النار آنية فارغة، يضع فيها نار تحرق، أو يجعل فيها برد وسلام، كما فعل مع إبراهيم عليه السلام .

الله ﷻ يضع في البحر الهلاك لفرعون، والنجاة لموسى عليه السلام، نفس المكان الذي أنجي فيه موسى أغرق فيه فرعون وجنوده.. فالبحر إناء يضع فيه النجاة، ويضع فيه الهلاك .

السكين يذبح ولكن ما ذبح إسماعيل، وبنفس السكين ذبح كبش

---

(١) من مشايخ الدعوة والتبليغ بمصر.

الفداء.. فلا السكين ولا الذي يمسكها يذبح، ولكن الذبح بيد الله ﷻ.

الآنية واحدة، يخرج منها شيء لواحد، وشيء آخر لواحد ثاني.

الأواني الإلهية واحد يغرف منها سعادة، وواحد يغرف منها شقاوة.

ائت باثنين أطباء.. أو مهندسين.. الخ واحد يبتسم وهو نائم، والثاني مذعور، يري وحوش وعقارب.. والاثنين في آنية النوم.. الذي فعل معهم وهم نائمين، يفعل معهم وهم غير نائمين .

وائت باثنين أطباء.. مهندسين مثلا واحد حياته طيبة، والثاني حياته نكده مع أن المستوي الاجتماعي واحد، والمهنة واحدة، والدخل واحد، ومستوي جمال الزوجة واحد.. لأن السعادة من الله، الله سبحانه وتعالي ما يجعل الحياة مرة إل لمن يستحقها مثل فرعون .

السكين لم يذبح إسماعيل ليس عبط أو عشوائي.. ولكن كل شيء له مقدمات.

إبراهيم ما ذبح أمر الله.. فالله ما ذبح ابنه إسماعيل.. قال إسماعيل: ﴿ يا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ اللهُ مِنَ الصّابِرِينَ ﴾ [1] ، فهل يستحق السكين تمشي فوق رقبته ؟

---

(١) سورة الصافات – الآية ١٠٢.

كل شيء له مقدمات :

- **مقدمات موسى:** التمسك أمر الله، فكانت النجاة من فرعون .
- **مقدمات فرعون:** الكفر بالله، فكان له الهلاك والغرق في البحر .

والذي يكون مع الله، فكل شيء في الكون يسعده.

والذي لا يقف في صف الصلاة في المسجد بالسعادة الله يوقفه في طابور الخبز بالتعاسة (**معادلات**) السعادة كلها في رضا الله سبحانه وتعالي.

السؤال الرابع والعشرون

س: ماذا نفعل حتى تستمر الدعوة ؟

ج : يقول الشيخ فريد العراقي (رحمه الله): الولد بضعة من أبيه، كما جاء في البخاري: عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي (١) فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي" (٢)، وفي رواية: مَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي".

فنحمل الأولاد مسئولية الدعوة، فبذلك تستمر الدعوة، فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - بَايَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ جَعْفَرٍ وَهُمْ صِغَارٌ، وَلَمْ يَبْقُلُوا (٣)، وَلَمْ يَبْلُغُوا، وَلَمْ يُبَايِعْ صَغِيرًا إِلَّا مِنَّا.رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَهُوَ مُرْسَلٌ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ (٤).أ. هـ.

ففي يوم من الأيام قمنا بزيارة رجل في قريتنا (كفر ميت العز)، وكأنه ينظر إلينا على أننا شباب وغدا نترك الدعوة وننشغل بدنيانا، وأننا عدد

---

(١) أي قطعة مني .

(٢) صحيح البخاري » كتاب فضائل الصحابة » باب مناقب فاطمة عليها السلام .

(٣) يقال بقل وجهة : أي نبت لحيته .

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» كتاب المغازي والسير» بَابُ بَيْعَةِ مَنْ لَمْ يَحْتَلِمْ (٩٨٧٥)، وانظر كتاب حياة الصحابة باب بيعه من لم تحتلم ٢٣٧/١.

قليل لا يأبه له، فلما رأى أخي عيسى عبد العزيز ذلك في مخيلات وجهه، قال له: اسمع كأنك ترانا عدد قليل وغدا سوف نترك الدعوة، أبداً إن شاء الله أولادنا يكبرون ويحملون معنا هذا الفكر، وفعلا قد حدث ما ذكره أخي عيسى، نسأل الله أن يستخدمنا وأولادنا لفكر الرسول وجهد الرسول حتى نبلغ دين الله للعالم كله.

السؤال الخامس والعشرون

س: **ما هي معطيات الدعوة للداعي ؟**

ج : يقول الشيخ طه عبد الستار: بالقيام بالأعمال الأربعة (الدعوة إلى الله [ﷻ]– التعليم والتعلم– العبادات والذكر– الخدمة).. تصلح النفوس.. فنفسك تطيعك ولا تتمرد عليك.. فالنفس أحيانا تطيع ولكن في أمر معين، أو بنسبة معينة.. وهذا هو العطاء الأول.

أما العطاء الثاني علي الدعوة: انشراح الصدر.. قوة الأعمال.. قوة الدعاء .. قوة الذكر .. قوة الصلاة ... الخ.

والعطاء الثالث: الحكمة في الأقوال والأفعال.. وبهذه العطاءات تنصلح النفوس.. يعني الإنسان يحيى علي أوامر الله ﷻ بدون شروط.

معصية إبليس: الحسد.. فأحيانا يأتي في البعض هذا الأمر.. لماذا هو الأمير؟.. لماذا هو يبين ؟.. ثم يقول أنا أتكلم لمصلحة العمل.. وفي الحقيقة هو يتكلم من أجل نفسه.

والحسد في النفس.. والحسد منشأه الكبر.. فالذي يأتي بالتواضع وإنكار الذات هو الخدمة.. يعني أخدم لاحتياج نفسي ـ للخدمة.. وليس لاحتياج الناس لخدمتي أبو بكر ﷺ يذهب لخدمة العجوز وكذلك عمر

ﷺ وذلك حاجة أنفسهما .. نخدم الصغير والكبير .. الجديد والقديم (خدمة القدماء فقط تأتي بالكبر) نخدم من نعرفه ومن لا نعرفه .. الأكل مع الأولاد من التواضع ... خدمة الأهل من التواضع .. ومن الخدمة ستر العيوب ... العفو عن زلات الآخرين .

السؤال السادس والعشرون

س: **ما سبب ضعف العمل الاجتماعي والانفرادي ؟ .**

فعَنْ شُفَيٍّ (١)، قَالَ : " إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونَانِ فِي الصَّلاةِ مَنَاكِبُهُمَا جَمِيعًا ، وَلَمَا بَيْنَ صَلاتِهِمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَإِنَّهُمَا لَيَكُونَانِ فِي صِيَامٍ وَاحِدٍ وَلَمَا بَيْنَ صِيَامِهِمَا لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ " . (٢).

الله لا ينظر للإنسان كم عمل؟ ولكن بأي كيفيات القلب أدى هذا العمل، فالمنافقين كانوا يعملون، ولكن غير مقبولة لما في قلوبهم.

نسأل الله أن ينجينا من النفاق ويجعلنا من المقبولين.

(١) شُفَيٌّ بْنُ مَاتِعٍ الْأَصْبَحِيُّ وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي صُحْبَتِهِ (المعجم الكبير الطبراني).
الكنيه: أبو عثمان، أبو سهل، أبو عبيد، النسب : الأصبحي، المصري _ الرتبة : ثقة _ عاش في : مصر، ومات في : مصر(موسوعة الحديث).
(٢) الزهد لنعيم بن حماد » بَابٌ فِي دُعَاءِ السَّاهِي فِي الصَّلاةِ _ رقم الحديث:(١٠١)، الصلاة وحكم تاركها – ابن قيم الجوزية، مجموع رسائل ابن رجب ٣٥٢/١.

السؤال السابع والعشرون

س: كيف يكون العمل صحيحا ومقبولا عند الله ؟ .

ج : يصح العمل بشيئين:

الأول: امتثال أمر الله ومتابعة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

الثاني: الإخلاص وحضور القلب في الأعمال.. وحضور القلب بمداومة الذكر.

واحد يضع الماء في الطلمبة، ولكن الطلمبة معطلة من زمان فتحتاج منه ماء كثير حتى تستعيد إخراج الماء.

والذكر يأتي بالانقياد للحق، يجعله يعطي الناس حقوقهم، وإلا يعطي حسناته لأعدائه وخصومه، وحقه الذي عند غيره ينمي له .

وقبول الأعمال علي أساس الإخلاص، فليس مجرد القيام بالعمل يقبل العمل، ولكن إذا قمنا عليه بالإخلاص يقبله الله ﷻ، يكون الإنسان دائم القلق من جهة القبول أم لا .

فنعمل العمل الصحيح.. نعمل الشكل والله ﷻ يأتي بالروح في العمل، والإخلاص.. مع متابعة الإخلاص، والاستقامة علي العمل، ينشأ الإخلاص في القلب.

السؤال الثامن والعشرون

س: على أي أساس يكون الداعي مقبولا عند الله ؟.

ج : يكون الداعي مقبولا عند الله بإخلاصه كما بينا في قبول العمل في الإجابة على السؤال السابق، فالقبول على أساس الصفات((**التواضع والإخبات وإنكار الذات، ....)) وليس القبول على أساس الشهرة**.. فكم من مقبول وليس مشهور، وكم من مشهور ليس مقبول.. الكل يعرف مؤذن الرسول (بلال بن رباح الحبشي ﷺ).. والقليل لا يعرف من بات مهتما لهمِّ رسول الله (ﷺ) كيف يجمع الناس للصلاة: فقد روى قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: اهْتَمَّ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ) بِالأَذَانِ لِلصَّلاةِ، وَكَرِهَ أَنْ يُنْقِسَ كَمَا يَصْنَعُ أَهْلُ مَكَّةَ، فَكَانَ يَبْعَثُ رِجَالا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَيَشْغَلُهُمْ عَنِ الصَّلاةِ، وَرَجَعَ عَبْدُ اللهِّ بْنُ زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ مُهْتَمًّا بِهَمِّ رَسُولِ اللهِّ (ﷺ)، فَأُتِيَ فِي النَّوْمِ، وَقِيلَ: لأَيِّ شَيْءٍ اهْتَمَمْتَ؟ قَالَ: لِهَمِّ رَسُولِ اللهِّ (ﷺ)، فَقَالَ الَّذِي أَتَاهُ: ائْتِ النَّبِيَّ (ﷺ)، فَمُرْهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِالصَّلاةِ: اللهُّ أَكْبَرُ، اللهُّ أَكْبَرُ، اللهُّ أَكْبَرُ، اللهُّ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُّ، مَرَّتَيْنِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِّ، مَرَّتَيْنِ، حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ، مَرَّتَيْنِ، حَيَّ عَلَى الْفَلاحِ مَرَّتَيْنِ، اللهُّ أَكْبَرُ اللهُّ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إِلا اللهُّ، ثُمَّ قَالَ: اجْعَلْ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ مِثْلَ ذَلِكَ،

قَالَ: فَأَتَى عَبْدُ اللهِ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): عَلِّمْهَا بِلالا، وَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: رَأَيْتُ مِثْلَ مَا رَأَى عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ، وَلَكِنَّ عَبْدَ اللهِ سَبَقَنِي. هَذَا مُرْسَلٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَهُوَ شَاهِدٌ جَيِّدٌ لِحَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ الْمَخَرَّجِ فِي السُّنَنِ (١).

فعَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ ليس في الشهرة مثل بلال، فبلال يعرفه الصغير والكبير أما عبد الله القليل من يعرفه.

وهذا الصحابي الجليل الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ: يُحَدِّثُ: أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِهَا، فَمَشَى إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الطُّفَيْلُ رَجُلًا شَرِيفًا شَاعِرًا لَبِيبًا، فَقَالُوا لَهُ: يَا طُفَيْلُ ، إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلَادَنَا، وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَدْ أَعْضَلَ بِنَا، وَقَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتْ أَمْرَنَا، وَإِنَّمَا قَوْلُهُ كَالسِّحْرِ يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَبِيهِ ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ، وَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مَا قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا، فَلَا تُكَلِّمَنَّهُ وَلَا تَسْمَعَنَّ مِنْهُ شَيْئًا . قَالَ: فَوَ اللهِ مَا زَالُوا بِي حَتَّى أَجْمَعْتُ أَنْ لَا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا أُكَلِّمَهُ، حَتَّى حَشَوْتُ فِي أُذُنَيَّ حِينَ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ كُرْسُفًا فَرَقًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ. قَالَ: فَغَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ

(١) كتاب: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ــ باب الأذان ــ لابن حجر.

الْكَعْبَةِ. قَالَ: فَقُمْتُ مِنْهُ قَرِيبًا فَأَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ. قَالَ: فَسَمِعْتُ كَلَامًا حَسَنًا قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاثُكْلَ أُمِّي، وَاَللهِ إِنِّي لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شَاعِرٌ مَا يَخْفَى عَلَيَّ الْحَسَنُ مِنْ الْقَبِيحِ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ فَإِنْ كَانَ الَّذِي يَأْتِي بِهْ حَسَنًا قَبِلْتُهُ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا تَرَكْتُهُ قَالَ: فَمَكَثْتُ حَتَّى انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي قَالُوا، فَوَ اَللهِ مَا بَرِحُوا يُخَوِّفُونَنِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنَيَّ بِكُرْسُفٍ لِئَلَّا أَسْمَعَ قَوْلَكَ، ثُمَّ أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي قَوْلَكَ، فَسَمِعْتُهُ قَوْلًا حَسَنًا، فَاعْرِضْ عَلَيَّ أَمْرَكَ.

قَالَ: فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ [ﷺ] الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَلَا وَاَللهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ. قَالَ: فَأَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي امْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي، وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ ، وَدَاعِيهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً تَكُونُ لِي عَوْنًا عَلَيْهِمْ فِيمَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً [الْآيَةُ الَّتِي جُعِلَتْ لَهُ] قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى قَوْمِي، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِثَنِيَّةٍ تُطْلِعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ مِثْلُ الْمِصْبَاحِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي، إِنِّي أَخْشَى، أَنْ يَظُنُّوا أَنَّهَا مُثْلَةٌ وَقَعَتْ فِي وَجْهِي لِفِرَاقِي دِينَهُمْ. قَالَ: فَتَحَوَّلَ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوْطِي.

قَالَ: فَجَعَلَ الْحَاضِرُ يَتَرَاءَوْنَ ذَلِكَ النُّورَ فِي سَوْطِي كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ، وَأَنَا أَهْبِطُ إِلَيْهِمْ مِنْ الثَّنِيَّةِ، قَالَ: حَتَّى جِئْتُهُمْ فَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ قَالَ : فَلَمَّا نَزَلْتُ أَتَانِي أَبِي، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قَالَ: فَقُلْتُ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا أَبَتِ، فَلَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي قَالَ: وَلِمَ يَا بُنَيَّ ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَسْلَمْتُ وَتَابَعْت دِينَ مُحَمَّدٍ [ﷺ] ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، فَدِينِي دِينُكَ ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: فَاذْهَبْ فَاغْتَسِلْ وَطَهِّرْ ثِيَابَكَ، ثُمَّ تَعَالَ حَتَّى أُعَلِّمَكَ مَا عُلِّمْتُ. قَالَ: فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ، وَطَهَّرَ ثِيَابَهُ. قَالَ: ثُمَّ جَاءَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، فَأَسْلَمَ.

(قَالَ) ثُمَّ أَتَتْنِي صَاحِبَتِي، فَقُلْتُ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَلَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي، قَالَتْ: لِمَ؟ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ: (قُلْتُ: قَدْ) فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْإِسْلَامُ، وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ قَالَتْ: فَدِينِي دِينُكَ، قَالَ: قُلْتُ فَاذْهَبِي إِلَى حِنَا ذِي الشَّرَى - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: حِمَى ذِي الشَّرَى - فَتَطَهَّرِي مِنْهُ .

(قَالَ): وَكَانَ ذُو الشَّرَى صَنَمًا لِدَوْسٍ، وَكَانَ الْحِمَى حِمَى حَمَوْهُ لَهُ، وَبِهِ وَشَلٌ مِنْ مَاءٍ يَهْبِطُ مِنْ جَبَلٍ. قَالَ: فَقُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَتَخْشَى عَلَى الصَّبِيَّةِ مِنْ ذِي الشَّرَى شَيْئًا، قَالَ: قُلْتُ: لَا، أَنَا ضَامِنٌ لِذَلِكَ، فَذَهَبَتْ فَاغْتَسَلَتْ، ثُمَّ جَاءَتْ فَعَرَضْتُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ، فَأَسْلَمَتْ. ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَبْطَئُوا عَلَيَّ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهُ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى دَوْسٍ الزِّنَا فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا

ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ وَارْفُقْ بِهِمْ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْضِ دَوْسٍ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمَضَى بَدْرٌ وَأُحُدٌ وَالْخَنْدَقُ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَنْ أَسْلَمَ مَعِي مِنْ قَوْمِي وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيْبَرَ. حَتَّى نَزَلْتُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا مِنْ دَوْسٍ، ثُمَّ لَحِقْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِخَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ(١).

ومن ضمن الذين أسلموا من قومه أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي الذي ذاع صيته، والذي روى لنا الكثير من حديث الرسول ﷺ ، ولا تخلوا كتب الحديث عن ذكر اسمه، وربما يذكر اسمه في كل صفحة، ويذكر اسمه في كل مجلس من مجالس العلم، فأين شهرته من شهرة الطفيل بن عمرو الدوسي الذي لم يذكر اسمه في غير الحديث السابق.

فعندما نرى بستان جميل، لا بد أن نعلم أن هناك حبات وبذور قد فنت في الأرض حتى يظهر لنا ذلك البستان الجميل.

وعندما ننظر إلى قصر مشيد جميل، فلنعلم أن هناك صخور عظيمة في باطن الأرض تحمل هذا البنيان الجميل.

فكثير من الناس المغمورين غير المشهورين كانوا سببا في نشر الخير ولكن، لا يعلمهم إلا الله عز وجل، فعَنْ مُدْرِكِ بْنِ عَوْفٍ الْأَحْمَسِيِّ قَالَ : بَيْنَا

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام» قِصَّةُ إسْلَامِ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ [تَحْذِيرُ قُرَيْشٍ لَهُ مِنْ الِاسْتِمَاعِ لِلنَّبِيِّ ﷺ .

أَنَا عِنْدَ عُمَرَ إِذْ آتَاهُ رَسُولُ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ النَّاسِ، قَالَ فَذَكَرُوا عِنْدَ عُمَرَ مَنْ أُصِيبَ يَوْمَ نَهَاوَنْدَ، فَقَالُوا: قُتِلَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَآخَرُونَ لَا نَعْرِفُهُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: لَكِنَّ اللهَّ يَعْرِفُهُمْ، قَالُوا: وَرَجُلٌ اشْتَرَى نَفْسَهُ يَعْنُونَ عَوْفَ بْنَ أَبِي حَيَّةَ أَبَا شُبَيْلٍ الْأَحْمَسِيَّ، قَالَ مُدْرِكُ بْنُ عَوْفٍ، ذَاكَ وَاَللهَّ خَالِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّهُ أَلْقَى بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبَ أُولَئِكَ، وَلَكِنَّهُ مِنْ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْآخِرَةَ بِالدُّنْيَا، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: وَكَانَ أُصِيبَ وَهُوَ صَائِمٌ فَاحْتَمَلَ وَبِهِ رَمَقٌ فَأَبَى أَنْ يَشْرَبَ حَتَّى مَاتَ(١).

فهناك كثير في جهد الدعوة غير معروفين وليسوا مشهورين، قد قام عليهم الجهد، عملوا في حقل الدعوة إلى الله وما نظروا لأنفسهم ومكانتهم، ولكن نظروا لربهم وعملوا له، جاء وصفهم في البخاري ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَ: " تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهَّ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ "(٢).

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة» كتاب التأريخ » فِي تَوْجِيهِ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ إِلَى نَهَاوَنْد.

(٢) صحيح البخاري» كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ» بَاب الْحِرَاسَةِ فِي الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...رقم الحديث: ٢٦٨٧.

يعملون في صمت وثبات وتجديد للنيات ونيل للدرجات، غير معروفين في الأرض، معروفين في السماء، وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ [ﷺ] فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَاعِدًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ [ﷺ] يَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ: يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ [ﷺ] يَقُولُ: إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَمَنْ عَادَى للهِ وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُتَفَقَّدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُقَرَّبُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ " . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، والْبَيْهَقِيُّ فِي (شُعَبِ الْإِيمَانِ) (١).

وقال ابن عطاء في الحكم: ادْفِنْ وجُودَكَ فِى أَرْضِ الخُمُولِ: فَمَا نَبَتَ مِمَّا لَمْ يُدفَنْ لاَ يَتِمُّ نَتَاجُه .. ادْفِنْ وجُودَكَ فِى أَرْضِ الخُمُولِ، البذرة عندما تدفنها فى الأرض وتُحْسِنُ دَفْنَهَا ثم يأتيها الرِّىّ بالماء تنبت وينتج منها نتاج وثمرة وزرع، لكن لو أنها كانت على الأرض غير مدفونة تدوسها الأقدام أو تذروها الرياح أو يأتى الماء فبدلا من أن يطعمها ويسقيها يأخذها ويجرفها(٢).

وقَالَ شُعَيْبُ بْنُ حَرْبٍ : مَنْ طَلَبَ الرِّئَاسَةَ نَاطَحَتْهُ الْكِبَاشُ، وَمَنْ رَضِيَ بِأَنْ يَكُونَ دنيًّا أَبَى اللهُ إِلا أَنْ يَجْعَلَهُ رَأْسًا (٣)..

---

(١) مشكاة المصابيح» كتاب الآداب» باب الرياء والسمعة(٥٣٢٨).

(٢) الحكم لابن عطاء.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب» بَابُ ذِكْرِ أَخْلاقِ الرَّاوِي وَآدَابِهِ وَمَا يَنْبَغِي ... » مَا قِيلَ فِي طَلَبِ الرِّئَاسَةِ قَبْلَ وَقْتِهَا _ رقم الحديث: ٧٢٢ .

وقال بعض العارفين: كلما دفنت نفسك أرضاً أرضاً سماً قلبك سماء سماء (١).

وقيل:

- أخفى الله القبول : لتبقى القلوب على وجل.
- وأبقى باب التوبة مفتوحا : ليبقى الانسان على أمل.
- وجعل العبرة بالخواتيم : لئلا يغتر أحد بالعمل.
- لو كان الشكل والجسم أهم من الروح.. ما كانت الروح تصعد للسماء.. والجسم يدفن تحت التراب!!
- كم من مشهور في الأرض مجهول في السماء، وكم من مجهول في الأرض معروف في السماء.
- المعيار التقوى وليس الأقوى" إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ".

(١) شرح الحكم العطائية لابن عجيبة.

السؤال التاسع والعشرون

س: ما هي الفائدة التي يتحصل عليها الداعي من الخروج في سبيل الله تعالى؟.

ج: **يقول الدكتور نعمان ابو الليل (حفظه الله)** بعد أن قرأ هذه الآية: { وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }(١) .

- الخروج في سبيل الله يحقق أعظم عبودية؛ لأنك تحرك كل جسدك وعقلك وقلبك ومشاعرك وإحساسك وتقوم على المقصد.
- في الخروج نتدرج في عملية القبض أولاً على الجسد، ثم على النفس، ثم على العقل، ثم على القلب، ثم على الروح.. وبعدها يصبح الإنسان من رأسه إلى أخمص قدميه لله تعالى ويحقق قوله تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }(٢).
- الذي يخرج ولا ينوي إصلاح نفسه لا يستفيد ولا يفيد.
- هذا الجهد مثل المطر سبب لإحياء جميع الأوامر.
- نزور الناس ونقول لهم نحن خرجنا لنستفيد من علم العلماء وجهد

---

(١) سورة النساء _ الآية ١٠٠.

(٢) سورة الأنعام _ الآية ١٦٢.

القدماء، ولا نتأثر من أشياء المسئولين والأغنياء.

- نخرج في سبيل الله تعالى حتى نفك قيد الأسباب من الدنيا.
- الخروج في سبيل الله تعالى مشروع لاستغلال الوقت أحسن استغلال.
- في الدعوة والخروج في سبيل الله نتعلم عملي وعن طريق الإيثار، لكن في العبادات صلاة أو الحج يكون فيها الاستئثار: (الصف الأول، تقبيل الحجر الأسود).
- نهتم في الخروج بالجهد، ولكن علينا أن نكثر من التوجه بالدعاء والبكاء.
- كيف لو ترك جهد الزراعة ما هو أثره على البشرية، ولما ترك جهد النبي ضلت البشرية.
- فعلينا القيام بهذا الجهد الضروري لكل إنسان؛ لأنه يحيي القلوب بإحياء الدين وإحياء أوامر الله تعالى.
- يقولون تتركون أزواجكم وأولادكم وآباءكم وأمهاتكم وتخرجوا؟ نقول: نعم، من أجل جميع الزوجات وجميع الأولاد والآباء والأمهات في العالم نترك .
- الذي يخرج في سبيل الله تعالى ويتحصل على الصفات الله يستعمله لنشر الصفات.
- إذا تحرك من يحمل الرائحة الطيبة ينشرها.
- إذا تحرك الفرد يؤثر في الفرد والجماعة في الجماعة، ولكن في الزمن الأول

تحركت الأمة فأثرت في الأمم في فارس والروم.

- المسلم اليوم يسير في طريق الشهوات والشبهات والظلمات والموديلات الموصلة إلى المصائب والويلات، فكيف نخرجه منها إلى طريق الحق ومنبع الخيرات والبركات.
- إذا نخرج في سبيل الله تعالى نزداد: فقه في الجهد، الهداية، المعية، الإحسان.
- وإذا تركنا الخروج نزداد: عجز، كسل، جبن، بخل.

السؤال الثلاثون

س: ما هي أسباب الوساوس في الصلاة وما علاجها ؟

ج: هذه الوساوس علامة ــ إن شاء الله ــ على صحة الإيمان ووجوده في القلب، فإن الشيطان إنما يحاول أن يتسلط بالوسوسة على القلوب العامرة بالإيمان، وأما القلوب الخالية من الإيمان فهي كالبيوت الخربة لا يطمع اللص في أن يحصل منها شيئا، فقد جاء في التحفة: رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ الصَّلَاةُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا وَسْوَسَةٌ إِنَّمَا هِيَ صَلَاةُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَمِنَ الْأَمْثَالِ: لَا يَدْخُلُ اللِّصُّ فِي بَيْتٍ إِلَّا فِيهِ مَتَاعٌ نَفِيسٌ.(١).

وفي الهند: قال أحد عباد الأصنام لأحد علماء المسلمين: أنتم يا مسلمون تتكلمون عن الوساوس في عبادتكم، ونحن لا نجد الوساوس عندما نسجد للأصنام ؟!

فأجابه الشيخ فاروق(٢) ***قائلا*** : إن الرجل الذي يحمل صندوقا من الذهب والجواهر، واللآلئ الثمينة، لابد أن يكون معه حُراس، حتى لا يُسْرق منة الصندوق، ولكن الذي يحمل صندوقا من القمامة **(الزبالة)** يظهرها للناس، ولا يقترب منه أحد، بل الكل يسد أنفه حتى لا يشم

---

(١) تحفة الأحوذي ـ شرح صحيح الترمذي.

(٢) من علماء الدعوة والتبليغ بكراتشي ـ باكستان.

الرائحة الخبيثة التي تنبعث من الصندوق.. فالشيطان لا يقترب منكم في عبادتكم لأنها نتنة وخبيثة، ولكن الشيطان يريد أن يقترب من المسلمين ليسرق منهم عبادتهم، لأنها غالية وثمينة.أ. هـ.

فاعْلَمْ أَنَّ الْقُلُوبَ ثَلَاثَةٌ :

قَلْبٌ خَالٍ مِنْ الْإِيمَانِ وَجَمِيعِ الْخَيْرِ فَذَلِكَ قَلْبٌ مُظْلِمٌ قَدْ اسْتَرَاحَ الشَّيْطَانُ مِنْ إلْقَاءِ الْوَسَاوِسِ إلَيْهِ، لِأَنَّهُ قَدْ اتَّخَذَهُ بَيْتًا وَوَطَنًا وَتَحَكَّمَ فِيهِ بِمَا يُرِيدُ، وَتَمَكَّنَ مِنْهُ غَايَةَ التَّمَكُّنِ .

الثَّانِي: قَدْ اسْتَنَارَ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَوْقَدَ فِيهِ مِصْبَاحَهُ، لَكِنْ عَلَيْهِ ظُلْمَةُ الشَّهَوَاتِ وَعَوَاصِفُ الْأَهْوِيَةِ، فَلِلشَّيْطَانِ هُنَاكَ إقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ، وَمُجَاوَلَاتٌ وَمَطَامِعُ، فَالْحَرْبُ دُوَلٌ وَسِجَالٌ.

وَتَخْتَلِفُ أَحْوَالُ هَذَا الصِّنْفِ بِالْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَوْقَاتُ غَلَبَتِهِ لِعَدُوِّهِ أَكْثَرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْقَاتُ غَلَبَةِ عَدُوِّهِ لَهُ أَكْثَرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ تَارَةً وَتَارَةً .

الثَّالِثُ: قَلْبٌ مَحْشُوٌّ بِالْإِيمَانِ، قَدْ اسْتَنَارَ بِنُورِ الْإِيمَانِ، وَانْقَشَعَتْ عَنْهُ حُجُبُ الشَّهَوَاتِ، وَأَقْلَعَتْ عَنْهُ تِلْكَ الظُّلُمَاتُ، فَلِنُورِهِ فِي صَدْرِهِ إشْرَاقٌ، وَإِيقَادٌ لَوْ دَنَا مِنْهُ الْوَسْوَاسُ لَأَدْرَكَهُ الِاحْتِرَاقُ، فَهُوَ كَالسَّمَاءِ الْمَحْرُوسَةِ بِالنُّجُومِ ، فَلَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ وَلَا هُجُومٌ، وَلَيْسَتْ السَّمَاءُ بِأَعْظَمَ

حُرْمَةً مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّتِي حَرَسَهَا بِالنُّجُومِ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ.

فَكَمَا أَنَّ السَّمَاءَ مُتَعَبَّدُ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ وَمُسْتَقَرُّ الْوَحْيِ السَّدِيدِ ، فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ مُسْتَقَرُّ التَّوْحِيدِ، وَالْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَمَعْرِفَةِ الْمَجِيدِ، فَهُوَ حَرِيٌّ أَنْ يُحْرَسَ وَيُحْفَظَ وَيُبْعَدَ عَنْهُ الشَّيْطَانُ وَيُدْحَضَ، قَدْ امْتَلَأَ مِنْ جَلَالِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَمُرَاقَبَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ.

فَأَيُّ شَيْطَانٍ يَجْتَرِئُ عَلَى هَذَا الْقَلْبِ، وَإِنْ أَرَادَ سَرِقَةَ شَيْءٍ مِنْهُ رَشَقَتْهُ الْحَرَسُ بِنَبْلِ الْيَقِينِ ، وَسِهَامِ الدُّعَاءِ، وَمَنْجَنِيقِ الِالْتِجَاءِ، وَسُيُوفِ الْمَحَبَّةِ وَالْقُرْبِ، وَرُبَّمَا ظَفِرَ مِنْهُ بِخَطْفَةٍ يَخْطَفُهَا أَوْ شُبْهَةٍ يَقْذِفُهَا عَلَى غَفْلَةٍ مِنْ الْعَبْدِ وَغَيْرَةٍ فِيهِ فَيُشَبِّهُ لَهُ وَتَكُونُ لَهُ عَلَيْهِ الْكَرَّةُ ، لِأَنَّهُ بَشَرٌ، وَأَحْكَامُ الْبَشَرِيَّةِ جَارِيَةٌ عَلَيْهِ (١).

وقد مُثل ذلك بمثال حسن.. وهو ثلاثة بيوت.. بيت للملك فيه كنوزه وزخائره وجواهره.. وبيت للعبد، فيه كنوز العبد وزخائره وجواهره.. وليس جواهر الملك وزخائره.. وبيت خال صفر لا شيء فيه.

فجاء اللص يسرق من أحد البيوت.. فمن أيها يسرق ؟؟

فإن قلت: من البيت الخالي.. كان محالا.. لأن البيت الخالي ليس فيه شيء يُسرق.

---

(١) انظر كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم، وكتاب غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» مطلب القلوب ثلاثة _ للسفاريني.

ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما: إن اليهود تزعم أنها لا توسوَس في صلاتها.. فقال: وما يصنع الشيطان بالبيت الخراب.

وإن قلت: يسرق من بيت الملك.. كان ذلك كالمستحيل الممتنع.. فإن عليه من الحراس والأجناد ما لا يستطيع اللص الدنو منه وهو كذلك.. كيف وحارسه الملك بنفسه.. وكيف يستطيع اللص الدنو منه وحوله من الحرس والأجناد ما حوله، فلم يبق للص إلا البيت الثالث، فهو الذي يشن عليه الغارات. . فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل(١).

إنما يقوى العبد على حضوره في الصلاة واشتغاله فيها بربه عز وجل إذا قهر شهوته وهواه، وإلا فقلب قد قهرته الشهوة وأسره الهوى ووجد الشيطان فيه مقعداً تمكن فيه كيف يخلص من الوساوس والأفكار؟ والقلوب ثلاثة: قلب خال من الإيمان وجميع الخير فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه، لأنه قد اتخذ بيتاً ووطناً وتحكم فيه بما يريد وتمكن منه غاية التمكن، القلب الثاني: قلب قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية، فللشيطان هنالك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع، فالحرب دول وسجال، وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر، ومنهم من هو تارة وتارة، القلب الثالث: قلب محشو بالإيمان قد استنار

---

(١) المرجع السابق.

بنور الإيمان، وانقشعت عنه حجب الشهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات، فلنوره في صدره إشراق، ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به، فهو كالسماء التي حرست بالنجوم فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق، وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن، وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء، والسماء متعبد الملائكة ومستقر الوحي وفيها أنوار الطاعات، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان وفيه أنوارها، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو فلا ينال منه شيئاً إلا خطفة. انتهى.

فامضي في مجاهدة نفسك وإحضار قلبك عند الصلاة والتلاوة والذكر مستعينة في ذلك بالله تعالى متعوذة من الشيطان وكيده، ولن يخيب سعيك مع المجاهدة والصدق، وأما الوسوسة في الطهارة ونحوها

نسأل الله أن يرزقنا الإقبال عليه وأن يعيذنا من الالتفات عنه سبحانه، والحمد لله رب العالمين.

السؤال الحادي والثلاثون

س: عندما كان الشيخ عبد الوهاب في دكا – ببنجلاديش في عام ١٩٦٩ وذهب إلي الجامعة الإسلامية، وبدأ الشيخ في البيان أمام الطلبة، فبدأت الاعتراضات، قام طالب وقال: متى تتركون طلب الخروج في سبيل الله ؟ .

فأجاب الشيخ: نطلب من المسلمين الخروج إلي أن يصعب عليهم البقاء في البيوت، كما أن أهل الدنيا يخرجون إلي دنياهم مائه في المائة بدون ترغيب.

فقام طالب آخر فقال: من يزرع ومن يصنع ؟

فأجاب الشيخ عبد الوهاب، قال: في زمن أيوب خان كان نازلا في فندق دكا العالي، وركب في الطائرة فهل يدفع تذكرة للطائرة، أو الفندق ؟ قالوا: لا، قال: فهل الطائرة والفندق لأبيه أو لجده ؟ فقالوا: لا.

فقال: فلماذا يركب الطائرة مجانا ؟ ويبيت في الفندق ويأكل ويشرب مجانا ؟ لأنه يتفكر لراحة ورفاهية جميع المملكة، فكيف لو تفكرنا لهداية جميع الأمة وفي إنقاذها من نار جهنم ؟ فالله يعيننا، ويربينا.

السؤال الثاني والثلاثون

س: يقول الشيخ محمد أحمد الأنصاري (حفظه الله): عندما ذهبنا إلى مصر سألني أهلها هذا السؤال، لو خرج الناس كلهم لهذا الجهد، فمن للمصانع، ومن للمتاجر ومن للمستشفيات، ومن لزراعة الأرض ؟

ج: **قلت لهم:** تريدون الجواب العقلي أم الجواب النقلي من الرواية عن الله ورسوله ؟.

قالوا: نريد الجواب العقلي. قلت: هذا رئيسكم جمال عبد الناصر.. أين يحرث ويزرع ؟ وأين الدكان الذي يتجر فيه؟ قالوا: هذا رئيس الدولة لا يحتاج لهذه الأشياء الدنيئة.

قلت : فالله يقول لكم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) أنتم نواب ورؤساء العالم بعد نبيكم وهذه الأعمال الدنيئة لا تناسب شأنكم .

لما ترك أصحاب النبي ﷺ أشغالهم وخرجوا للدين، فماذا فعل الله معهم ؟ سخر الله ﷻ جميع الخلائق تحت أقدامهم.. ولكن الكفرة اجتهدوا في نفوس المسلمين، وردوهم عن الجهد والسيادة والقيادة، إلى الأشياء الدنيئة فقعد المسلم.

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١١٠.

فالترقي: أن الملائكة كانت تنزل عليهم والرياح تسخر لهم.. والبحار تسخر لهم.. والنيران تسخر لهم.. بحركتهم كانت تتحرك العوالم.. فترقى الإنسان ليس في الأشياء بل في حياة الأنبياء عليهم السلام.

فإذا قامت هذه الأمة على مقصدها فكل شئ يسخر لهم.. الناس يقولون: كانوا صحابة فماذا نفعل ؟

بل نقول: كانوا عبدة الأحجار والأصنام، ولما أصبحوا على طريق النبي صلى الله عليه وسلم، فازوا لأنهم عزموا.

فمن يقول: الذي يأتي بعدهم لا يستطيع أن يفعل مثلهم.

نقول له: بل تريد أن تقول لا أستطيع أن أترك الأشياء الدنيئة لتاج العزة.

الصحابة رضي الله عنهم أجمعين لما ضحوا بأشغالهم، فما كانوا يرفعون أقدامهم إلا ومعهم نصرة الله عز وجل.

الآن يريد الإسلام، فإذا ضر بدنياه يقول: التبليغ صعب، نحن مقصرين .

فأول شيء هو ترتيب النبي (ﷺ).. الدعوة إلى الله ﷻ.. نحن نريد النور والكهرباء موجودة والسلك موجود واللمبة موجودة ولكن بدون المصدر (المحول) لا يكون النور.

فنفرغ الوقت ونضحي بالنفس والمال لجهد الدعوة إلى الله ﷻ ونقوم به كما قام به أولنا: **" لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها "**.

وعندما تقومون بالجهد، ترون كيف العالم يتغير، كما تغير في عهد النبي

(ﷺ).. يخرج ليقتل النبي (ﷺ) ولكن بالدعوة يتغير ويدخل في الإسلام وينور قلبه بالإيمان.

نحن بحاجة لتقوم طائفة تضحى بحوائجها وشهواتها لإقامة هذا الجهد، كما كانت التضحية فى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

إيمان الصحابة رضي الله عنهم كان قوياً لأنهم يرون النبي (ﷺ) والوحي ينزل عليه.. ولكن نحن بيننا وبينه أربعة عشر قرناً، فنحتاج إلى الجهد أكثر ليتقوى الإيمان.

الآن يتكلم مع الزوجة.. ولكن كلمة واحدة من الزوجة تطفئ عاطفته.. فنحن لا نبلغ المسلمين فقط.. بل نجتهد لنتحصل على الصفات ويأتي فينا الاستعداد لتبليغ الكفار، ونقول لهم: كونوا مثلنا، أما الآن فنقول: لا إله إلا الله، ونفعل ما يأتي في نفوسنا.

في غزوة بدر الكبرى خرج الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين) لأخذ العير وليس معهم عدة ولا عدد ولا يدرون أنهم سيقاتلون، والله ﷻ صور حالهم: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (١).

فالله ﷻ أراد أن يحق الحق، ويبطل الباطل، ويعلم الأمة إلى يوم القيامة كيف تكون التضحية. فليس المقصود قتل الكفار، ولكن المقصود إدخالهم في الإسلام.

---

(١) سورة الأنفال – الآيتان ٥ ، ٦ .

السؤال الثالث والثلاثون

س: ما الحكم على حالة الناس اليوم من ركونهم بقلوبهم إلي الأسباب، ونسيانهم مسببها ؟

الجواب: أن من أضاف شيئا من النقم، أو النعم إلي غير الله ﷻ، مع اعتقاده أنها ليست من الله ﷻ فهو شرك حقيقي، لاعتقادهم أن غير الله يجلب نفعا أو ضرا.. وإن كان يعتقد أن كل شيء من الله ﷻ ، فهو نوع من الشرك الخفي، ويدل علي ضعف الإيمان، ففي الحديث: عن مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ ، يَقُولُ: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ ؟ قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ " (١).

(١) الأدب المفرد للبخاري ـ بَابُ : فَضْلِ الدُّعَاءِ.

السؤال الرابع والثلاثون

س: إن من العجب العجاب أن تري الرجل المسلم، الذي انتظم في عمل الدعوة والتبليغ، وتنور قلبه، وفكره، وانشرح صدره، وحَسُنَتْ أخلاقه، والتزم بشرع الله ﷻ ، وظهرت عليه آثار السنة النبوية .. فإذا ترك هذا الجهد العظيم ، تجده انقلب حاله، وساءت أخلاقه، ولا تجده يرجع إلي ما كان عليه قبل الدعوة فحسب ، بل يزداد سوءً عما كان عليه قبل الدعوة إلي الله ، فما السبب ؟ .

ج: إن هذا السؤال كان يدور في خلدي كثيرا، ولكن ما أعرف السبب .. لأن الإنسان إذا رجع إلي ما كان عليه من سوء أو تقصير قبل الدعوة فهذا شيء طبيعي .. ولكن إذا ازداد سوءً عما كان عليه من سوء ..فهذه الطامة الكبرى التي تُحير العقول، وتُشغل الأذهان.. فإذا بي أُطالع كتيب " ردة ولا أبا بكر لها " لشيخنا أبو الحسن الندوي(رحمه الله) .. فإذا فيه الجواب الشافي إذ يقول تحت عنوان ظلام بعد نور: إنكم تعرفون جميعا، أن المصباح إذا انطفأ أحدث ظلاما شديداً .. نأخذ غرفتين علي سبيل المثال، غرفة لم يكن فيها مصباح، وهى مظلمة جداً، قد تمضي عليها أيام وليال من غير نور، فالإنسان إذا دخل هذه الغرفة ربما يهتدي إلي أشياء بنظره الحديد.. ولكن بجوار هذه الغرفة غرفة أخري يضيء فيها سراج منير، وفجأة انطفأ هذا السراج، وذهب النور

وتواري الضياء الذي أشرقت به هذه الحجرة، التي لم يكن فيها منفذ للنور، فأصبحت كالقبر، وأوحشت علي أهلها .

وهكذا القلب الإنساني، إذا لم يشرق بنور رباني سماوي، فهو قلب مظلم لا شك، ولكن القلب الذي أكرمه الله بالنور فأشرق وأضاء ثم أزيل عنه النور أو ضعف، كان أشد ظلاما، وأشد سوادا، وأشد قسوة، وأشد وحشة، وضيق صدر، وقلة صبر، وأشد شراسة، وأكثر ضجرا، وأسرع غضبا وأخف عقلا، من القلب الذي لم يذق حلاوة الإيمان، ولم يشرق بنور الدعوة إلي الله ﷻ ، في يوم من الأيام.

وإذا تتبعنا القرآن الكريم، ودرسناه دراسة عميقة، عرفنا أن عقوبة الله تبارك وتعالي تنزل أشد علي من أكرمه الله ﷻ بنعمة الإيمان ثم جحد بها وكفر، وحرم نفسه إياها، وكذلك من منَّ الله عليه بجهد الدعوة إلي الله ﷻ ثم جحد بها وتركها، قال تعالي: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ *

(١) سورة إبراهيم – الآية ٧.
(٢) سورة النحل – الآية ١١٢.

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

هذه عقوبة الجاحد بنعمة الله ﷻ، الكنود الذي أكرمه الله ﷻ بأكبر نعمة ثم جحد بها وجرد نفسه عنها.. فالذي منّ الله ﷻ عليه بنعمة الإيمان .. ثم أذاقه الله ﷻ حلاوة الإيمان .. ثم أقامه علي وظيفة الأنبياء وهي الدعوة إلي الله ﷻ فازداد نوراً علي نور.. ثم صرف نفسه عن هذه النعمة التي لا نعمة فوقها.. فيعاقبه الله ﷻ، وتنقلب الحقائق في عينية وتفسد وتختل موازين عقله، ويفقد قلبه كل صلاحية لقبول الحق، وكل معني من معاني الرقة والرأفة والرحمة ، ويصبح إنسانا منكوسا.

وكل في غضب الله ﷻ بحسب ما ترك من الدين، أو جهد الدين. (٣).

يتبع الجزء الثاني إن شاء الله

(١) سورة إبراهيم – الآية ٢٨، ٢٩.

(٢) سورة الأعراف – الآية ١٧٥، ١٧٦.

(٣) انظر كتيب – ردة ولا أبا بكر لها – لأبي الحسن الندوي (بتصرف قليل) .